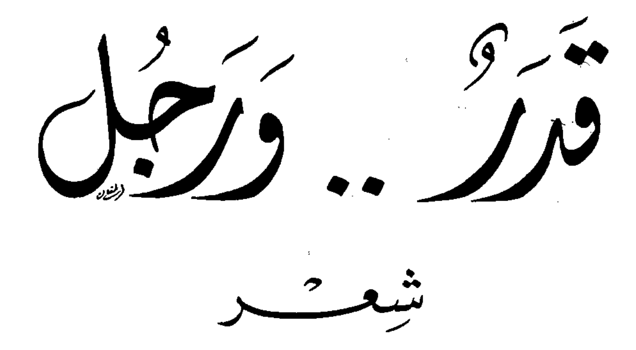
محمد حسن فقي

قدر ... ورجل

الدار السعودية للنشر

محمد حسن فقي



قدر .. ورجل

شعر

الناشر
الدار السعودية للنشر

الطبعة الأولى

١٣٨٦ هـ – ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة وتحليل

للاستاذ عبد العزيز الربيع
مدير التعليم في المدينة المنورة

(نفس تبحث عن نورها) .. ذلك هو في رأيي مفتاح شخصية شاعرنا الكبير السيد محمد حسن فقي .

وبالرغم من ان أولى قصائد الديوان ، هي قصيدة (من أنا ؟) وهو الطبيعي دائماً في كل أثر فني ينبع من أعماق الذات ، فانني أستميح القارىء العذر ، لأبدأ رحلتي مع الشاعر على ضوء هذه القصيدة ، لنتعرف معاً على تجربته الشخصية ، وهو في طريقه الطويل للبحث عن سكينة نفسه ونور ضميره ، وحقيقة الحياة من حوله .

ونحن هنا على موعد ، مع عدد من المشاهد الطبيعية التي عبر بها ، وتحدث اليها ، وبثها أحزانه وآلامه ومواجده .

على موعد مع الأنجم المضيئة ، والروض الذي كسته الطبيعة برود الحسن والطيب ، والعاصف المدمر الذي استباح حمى البحر وزلزل الأرض ، والشاطىء الحزين الذي يلطم الخضم العملاق جنبيه ، والبلبل المغرد الذي

راعه فراق الأليف ، والشمس التي أنارت الدياجير ، ولكنها لم تنر ديجور نفسه .

القصيدة تبدأ بالحديث مع النجوم ، وتنتهي بالتحدث إلى الشمس ، وفي ذلك تناسق فني ملحوظ ، يستحق الاشارة اليه ، ونحن نستعرض مشاعر النفس التي تبحث عن نورها :

قلت للأنجم المضيئة حولي أي نجم يضيء ظلمة ليلي ؟

ولم تتركه خواطره الحزينة وهو في غمرة الأسى والألم ، أن يسترسل في حديثه وتساؤلاته مع الأنجم المضيئة ، فانتقل إلى الحديث مع الليل :

سرمديّ الظلام ، هذي دياجيك ، تراكمن في فؤادي وعقلي
حندس فوق حندس – أيها الليل ، وهول يسير في أثر هول
و – الخ –

ونتساءل عن السر وراء هذا الشقاء النفسي الذي يغمر الشاعر فيقول انه :

اغتراب يحن للدار والأهل ، فيشقى بكل دار وأهل
ومسير إذا استراح إلى السير ، تصدى لوقفه ألف غل

ويعود ليقول :

ان في وحدتي فراراً من الناس ولكنه فرار المدل
ما الذي أبتغيه منهم سوى الجهل وحسبي اني أضيق بجهلي ؟

ولا يسعنا هنا إلا ان نقف أمام : ما الذي أبتغيه منهم سوى الجهل؟ فقد تكون كلمة (أبتغيه) (ألتقيه) أو يعني بها الشاعر هنا أتوقعه.. وحينما قال الشاعر بعد ذلك :

رب مستوحد تجلى له الأنس ومستصحب عداه التجلي

قَدَرٌ .. وَرَجُل

شِعر

الطبعة الأولى
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

كان يتوقع أن نقول له : ولمــاذا اذن تشكو وتتوجع وأنت تعيش في وحدتك بعيداً عن الناس ؟ فأسرع يقول :

ان روحي لو استظل من الشمس .. ليحسو الهجير في كأس ظل
قــد تولت سعادتي ، فتجلدت .. ولكن عـزتي لم تولِ

وحينما نضم الى هذين البيتين قوله :

ان في وحـــدتي فراراً من الناس .. ولكنه فرار .. المدل

نلمس أعمــاق الجرح ، الذي لا يزال ينزف بالدماء ، رغم مظاهر الفتنة والسرور التي يسند رأسه المتعب في ظلها الوارف الممدود ، ولذلك لم يكن من العجيب ، أن نقرأ في المقطع الثاني من القصيدة :

قلت للروض: هل تعيد الى الغبطة .. قلباً يا روض عاش كئيبا؟

وقبل ان يستمع الى اجابــة الروض ، أو قبل ان يتيح له الفرصة للاجابة يقول له :

ان شدو الطيور ، والالق الضاحيَ ، والماء سلسلا والطيوبا
ان هذي الآلاء لن تسعد النفس .. ولن تطفىء الجوى واللهيبا

ولماذا ؟ فيقول :

ان نفساً ترى الجديب خصيبا .. هي نفس ترى الخصيب جديبا
وهي نفس تضيق بالحسن والمتعة .. ما دام نحسهــا مكتوبا

وتلك هي المأساة الأبدية للفنان :

انه يخلق عالمه ويبنيه من مشاعره وأحاسيسه ، ويلونه بمـــا يعتلج في نفسه ، وينبض بـــه قلبه .. فيحيل الصحارى الجديبة الى مروج خضر

يانعة ، والصخور الصم الصلبة إلى ينابيع وجداول وأنهار ، والدياجير الحالكة المدلهمة ، الى آفاق واسعة يتراقص فيها النور المتألق ، وتتعانق على حواشيها الظلال الحالمة .. وتلك هي الانسانية أو البشرية في ذروتها، ولكنه مقابل ذلك يحمل في صميمه بذور الشقاء الأبدي ، حين يقدر عليه أن يصبح قلبه المرهف الحساس ، مسرحاً للألم والعذاب .

فلا الأنجم المضيئة ، ولا الشمس المشرقة ، ولا الظلال الوارفة ، ولا الرياض اليانعة ، ولا الينابيع المتدفقة ، ولا كل ما في الطبيعة من مرائي الحسن والفتنة والجمال ، بقادرة بعد ذلك ، على ان تحيل الدموع في عينيه الى بسمة ضاحكة ، ولا النشيج في قلبه الى اغرودة مرحة .

وهذه الحساسية المرهفة عند شاعرنا الكبير ، ليست متقوقعة او مغلقة، ولكنها منفتحة على الطبيعة والحياة .. والبشر جميعاً .. فهو يقول للعاصف المدمر الذي زلزل الأرض ، واستباح حمى البحر .. هذا العاصف الذي لا يبالي بما يلاقي ضحاياه التي لا تستطيع اتقاء الخطوب .

يقول له الشاعر : هل أنت رب الحروب ؟ ثم يقول له :

قف ترفق قبل الوثوب فما ثم .. سبيل للرفق بعد الوثوب
ان نفسي تعاف بادرة الظلم .. ويرثى غفرانها للذنوب

ولكن التجارب المريرة التي مر بها الشاعر ، وخاصة مع الناس ، حملته على أن يقول :

لتمنيت — يا عسوف — ضميراً .. ما يبالي بنكبة المغلوب

ومع ذلك فهو يحس بأن هذه الأمنية ، ليست نابعة من أعماق رغباته الحقيقية ، الرغبات الانسانية الخيرة التي تحب الانسان وتؤمن به فيستدرك:

أنا في رجفة الصراع مع النفس .. اغذي محامدي بعيوبي
هي في ظلمة .. فان أشرق النور عليها .. تحفزت للغروب

لأنه يعرف تماماً الدوافع التي ألجأتــه الى الوحدة والفرار فليس هناك من سبب إلا أن هذه النفس :

قادها الناس للزهادة في الناس .. فعاشت في وحدة المستريب

وهو لذلك يقف أمام الشاطىء الحزين ، المستكين أمام لطمات الخضم العملاق ، وهو في موقف الضعيف الذي يرده العجز للهون ، فيرضى بصفقة المغبون ، ليصرخ في وجه البحر :

أيهذا الخضم .. يا رب سجان .. تهاوى من نقمة السجون

غير انه يتحامل على نفسه ، فيرتمي على الشاطىء ، يطوي شجونـه في شجونه ، ثم يلتفت الينا ليقول :
انه هو أيضاً شاطىء غزته الأواذي ، ولكنه لم يرضخ ولم يستسلم فما دكت الامواج من حصونه . ويقارن بينه وبين الشاطىء ، فهو مثله في وحدته واكتئابه ، ولكنه غيره في محنته وظنونه .
وفي المقطع الخامس من القصيدة ، أخذ يستمع الى البلبـل المغرد في الروض ، وقد راعه فراق الأليف .. وظل البلبل يشدو ، وجرح الشاعر يعاني من حرقة ونزيف ، فهما سيان ، غير ان أغــاني البلبل للربيع ، وأغاني الشاعر للخريف .. ولذلك قال له :

غنِ للروض .. للغدير .. لأحلامك نشوانـة الرؤى والطيوف

وفي اطار التجربة التي عاشها الشاعر مع الحب ، وعلى ضوء فلسفته في الجمال ، يقول البلبل :

وإذا لم يعــد أليفك للعش .. فــلا تبكه بدمع الأسيف
حطم العش ، وانطلق في الفراديس .. فليس الطليق مثل الرسيف

(وحيثيات الحكم) في هذه الدعوى – حسب تعبير رجال الفقه أو القانون .

أولاً : انه كان مثله هيماناً ، فأبلى تالده وطريفه،دون أي جدوى.

ثانياً : ان الحسن موضوع نسبي ، وهو لا يزهو إلا (في عيون أساراه) ومن خلال لمحات الرضى والحنان ، لهذه العيون .

أما في المقطع الأخير من القصيدة ، حين يتحدث الى الشمس ، فقد تكثفت الظلمة من حوله وتمادى في الهدى وفي الضلال ، وأصبح الطهر يقوده كما يقوده الرجس ، وغدا في حيرة مطبقة تساوى عنده فيها الوصل والهجر ، والمأتم والعرس ، ومعطيات السعادة ومعطيات النحس حتى ليقول :

أفسعدي الذي يُسِمُّ حياتي .. وينمي الشكوك أم هو نحسي ؟

وهذه الفلسفة الثنائية ، التي نلمحها بوضوح عند شعراء المهجر في العصر الحديث ، وعند عدد من شعراء الصوفية في العصور القديمة، هي التي تمثل اتجاهات شاعرنا الفلسفية ، وخاصة في قصائده التأملية ، وهي في نفس الوقت ، مفتاح شخصيته كما سبق أن أشرنا .

* * *

نعود بعد ذلك إلى قصيدة (من أنا ؟) فاتحة الديوان ، وهي التي تبدو وكأنها تفسر لنا هذه الثنائية العجيبة ، في قصيدته السابقة التي يقول فيها :

أنا في حيرة فقد عاد وصلي مثل هجري ، ومأتمي مثل عرسي
وتماديت في الضلال وفي الهدى فطهري يقودني مثل رجسي
مسّني طائف من الخير ليلاً ثم أصبحت أرتضي شر مسي
أفسعدي الـذي يُسم حيـاتي وينمي الشكوك أم هو نحسي ؟
أيها الدهر قـد شقيت بيومي مثلما قد شقيت فيك بأمسي

فالأمس الذي يشير اليه الشاعر ، قد يكون أمسه القريب الذي عاشه قبل أيام ، أو قبل سنوات ، وقد يكون أمسه البعيد الذي يقول عنه :

منذ عهد من الزمان بعيد لست أدري عن بدئه وانتهائه

والواقع ان معرفتنا للأدوار الحياتية التي يتصور الشاعر انه عاشها قبل ان ترده الحياة لدنياه بشراً بعد طول المسير ، تعمق مفهومنا لنفسيته ، وللنوازع السلوكية التي يتصور انها تحدد علاقاته بالبشر .

ففي خلال هذا التاريخ الطويل كان الشاعر : طيراً مرفرفاً فوق غصن مائس باخضراره وروائه ، وحواليـه ألف لون من الحسن ، تناثرن في البساط الرحيب ، وحولن الوجود كله روضاً أنيقـاً : طرزت أرضه اكف سمائه . وفي غمرة هذه النضرة التي شملت كل شيء حواليه،تحول هو نفسه إلى وردة ، تبرأت من الشوك في أحضان الربيع الخصيب .. فلمسته الأكف لمس حنان ، ورعته العيون رعي حبيب ، وعمر طويلاً بنضرته وطيوبه .. ثم تحول إلى غدير عـذب ، يترامى العشب النضير حواليه ويشدو الغنـاء الحلو الشجي .. غدير سمح كريم ، لم يمنـع من الورود لا الطير ولا الوحش ، ولا الظامئـين من البشر .. حتى رعته الحياة فأصبح دوحاً ظليلاً في قلب الصحراء،يشتكي السائر الهجير اليه ، ويستروح النسيم العليل ان لاذ به .. ولكنه في هذه المـرة ، بدأ يعاني مرارة التجربة ، فقد كان رأسه يدور من وقدة الشمس ويغلي .. ولكنه

لم يفقد ايمانه بالحياة وبالأحياء ، فقد كان قلبـــه رغم ذلك ، ينضح بالطيب والشذا والنضرة ، وكان سعيداً لأنه ، على شقوته كان المكان الجميل ، لمن يلوذ به من الأحياء .

وفي الطور الخامس بدأت تقسو عليـه الحيـاة أكثر فأكثر .. فأمسى صخرة فوق سلسلة من الجبال الشاهقة ، التي تهيم فيها الوحوش، مستكيناً يتلظى تحت وقدة الشمس .. أية شمس ؟؟ انها في هذه الجبال شموس — هكذا .. شموس .. وكأن الشاعر وهو يستعرض هذه المرحلة القاسية ، من أطوار حياته الماضية ، شغل حتى عن القافية ، فجعلهـــا سيناً بدل الشين ، لأنه كان في شغل عنها ، بذكريات العذاب الذي كان يعانيه ويكابده !!

وأي عذاب أكثر من أن يصبح الغمام الذي كان يهزج وهو يترشفه — حتى عاد قطراً ندياً مثله — سحاباً يغري وهو يسح عنـاصره ؟ وان يغدو وليس حوله بعد البشاشة والانس والهناء ، وجه بشوش ؟

ولكن المرحلة التالية ، كانت في رأيه أعنف وأقسى ، فقـد تحول رغم أنفـه الى عقاب جارح ، لا يعرف من الحرام والحلال ، الا ما اتفق ورغباته وشهواته .. وكان من الطبيعي وهو الانسان الرقيق الشعور، المرهف الاحساس ، ان يصرخ من أعماق قلبه :

أي روح هذه التي تنشد العيش .. رخياً .. فتزهق الأرواحا

وتوسل للحياة .. فأعادته بعد هذه الرحلة الطويلة المضنية الى دنيـــا البشر .. لتبدأ المشكلة :

فهو لا يعرف غير اليسير عنهم ، وهو غريب ليس ينكر أنه يخاف مصيره بينهم ، وهو مع ذلك يحيا على أرض لم يكن من أهلها ، بعد ان عاش شكولاً من الحياة ، في جنة وجحيم . ولذلك بـدأ يتساءل : أفي الناس سعير يذيبهم كسعيري ؟ ولكنه بدأ ينفصل عن عالمه القديم،

شيئاً فشيئاً .. فأخذ يشكك فيه ، وفيما بقي له من آثار :

أفأمسي قد كان مني وإلا .. لم يكن غير رحلة في السديم؟
قد تولى فلم يعد غير حس ، باهت . باهت .. ككل قديم

ويمضي به المطاف ، ليعرف انه مثل الألوف في هــذه الارض ، رسيف ما بين شتى القيود فيعود يصرخ من جديــد ، ولكن كأنسان يحس بآلام البشر :

أيهذي السدود .. هل نصرم العمر هباء .. ونحن خلف السدود ؟

غير ان نزعة الشك والحيرة تعود وتطغى عليه فيؤكد غربته عن دنيا البشر ، ويستعرض بسرعة الأطوار التي مر بها ، ثم يتساءل :

أي عمر هذا ، وهل كان خيراً .. يشتهيه الأنام أم كان شرا ؟
وأنا من رأى الحيــاة أفانين وحيداً ، ام الخــلائق طرا ؟

وتنتهي القصيدة بهذه الأبيات الرائعة :

يا غريباً عن الديار .. عن الناس .. عـن الخلق كلهم أجمعينا
يا وحيداً طوى السنين .. فراضته .. وما استطاع ان يروض السنينا
خل ذكراك .. ليس في الأرض ذكرى.. مثل ذكراك تستثير الشجونا
انها أنت .. حين كان بلك الغيب ضنينا .. وكنت فيــه جنينا
نمط – كان للزمان – فريــد .. ثم شاء الزمان الا يكونا

هذه هي الخطوط العريضة للقصيدة ، تشكل لنا في مجموعها ملامح انسان يشعر بغربته بين بني جنسه ، ملامح انسان حــائر متشكك ، لم يزده اقترابه من الناس إلا بعداً عنهم . ولم يتح له مزاجه الفني الخاص،

ان يضع الحدود الفاصلة بين الخير والشر ، والقبح والجمال ، أو بتعبير آخر لم يكيف نفسه كفنان ، ليتجاوب واقعياً مع منطق الحيـــاة ولكن قصيدته : (ازميل وتماثيل) تقترب به كثيراً من الواقعيـة ، فهي معرض يضم في رحابه عـــدداً من التماثيل الصغيرة التي نحت الكثير منها بدقة وبراعه .. فهناك مثلاً تمثال الشاعر وهو ينحني على الغدير ، ولكنـــه يدير وجهه عنه وهو يقول :

عفت الغدير وما يعاف .. لأنني .. حاولت شرب نميره فتمنعا

وهناك تمثال الذي هفت به الذكرى إلى آماسه ، بعد أن وهَى بنيانه وتصدع ... وتمثال المغرور الذي تغلغلت في نفسه اسطورة ، لم تبق فيها موضعاً للحقيقة .. وتمثال الحسناء الجامحة ، التي جمد الشاعر حين رآها تنضو حجابها بوقاحة أذهلته .. وأخيراً صورة مجسمة لموطن الأحرار ، الذي تقف الجبابرة خشعاً عند بابه ، والذي نرنو اليه بحاضر متوثب ، يأبى الطموح عليه ان يتسكع .

وفي قصيدته (غربة الروح) جوانب جديدة من حيرته وشكوكه ، وسخطه على الناس الذين يعايشهم ، ويتطلع إلى الحيـــاة معهم في حب وصفاء فيهتف :

أين أرواحـــكم فإني حزين .. شد ما راعني الفراق المبين ؟
أين أرواحكم سئمت من الوحدة .. واشتقت ان تحين المنون ؟

لقد أنكرت ميوله حاضره وهزته لماضيه رجفة وحنين ، وتلفت يرتجي نظرة الحب ، فخابت ظنونه مما ارتجى ، وحوله نطاق من المكر والتملق ترتد عنه العيون ، كلما شاء ان يلوذ بأوهامه وهو يواجهـــه أبى عليه يقينه وايمانه . ويقول :

ان كينونتي لتضرب في الأرض .. فما يعرف الورى من تكون
نال منهـا السرى .. وضعضعها الأين .. وجافى الهوى .. وعق الخدين
هي في غربـــة تحن إلى الالف .. ولو قادها اليه الجنون

يا لبؤسه .. لقد رضي التفاهات ولكنهـــا لم ترض به .. واكتنفته الحيرة من كل جانب :

قال انه مثقف فرموه بالغرور ، وازدهى بحسبه الأصيل فثار الضجيج من حوله ، وبكفاءته فرموه بالتطاول والجنون ، وبأنـــه دؤوب ووفي وصفوح ووديع وطموح وسخي ، فاستفز اضدادها من الطبائع البشرية المنحرفة ولم تلاق روحه التي تجيش بالحب للناس .. وتدعوهم إلى مقابلته بالمثل ، الا :

لقيت شر ما يلاقي المحبون .. جزاءً يبدد الأحلاما

ويختم قصيدته بقوله :

ايه يا روح انه القلق المضني .. جنينا من روضه الآلاما
هو زيت الينبوع ،يلهب مسراه .. فيطوي الامداء والأعواما
لا يبالي أوحده واصل السير .. أو ان الطريق ضج زحاما

ثم يقول بعد ذلك :

انما نحن في الحياة أساطير .. ووهم يساير الأوهاما

وفي قصيدة (مجد الطهر) لون من ألوان الانسانية المحلقة،في شعر الشاعر ونوازعه الخلقية .. هي قصة سيدة في ريعان الشباب أصابها الزمن في (بعلها) وكاد لها وقاومت بشمم كل مغريات السقوط والانحراف، فلجأت إلى الشاعر تسأله عملاً يدفع عنها غوائل العوز والحاجة ، ومعها

أطفالها الصغار ... والقصيدة — في الواقع — مترعة بعدد كبير من الصور اللطيفة المجسمة ، وبالأبيات المختارة . منها صورة الفتاة المتهالكة ، التي توشك أن تنهار على الأرض ، من شدة الإعياء والسغب ، لولا بنيانها الوثيق ، وكأنها زجاجة مشروخة ولكنها متماسكة ، والقامة المتأودة بما حملت ، وكأنها غصن يميل بعوده الحمل والبيت الذي يقول :

كالبرعمين نضارة .. وشذى .. فاذا رأيت .. رأيت ما يحلو

أخصبت لا أمحلت .. والفضل يعرف من مخائله .. إلى غيرها من الأبيات المتينة السبك الصافية الديباجة .. وان كنت أحب أن أسجل هنا، ان حسن الفتاة الذي (طمع) فيه الغلام والنبيل والسفيه ، كاد أن يذهب بلب شاعرنا الكريم ، غير أنه :

أغضى لها .. ورأى بمقلتها .. جداً يذوب أمامه الهزل ؟

وعلى أية حال .. فقد :

أعطى .. ولم يأخذ .. وكان له .. ماض يساوم حبه قبل!

وننتقل من هذا الجو الخضل الندي ، الى جو آخر ، كله جدال ومنطق وفلسفة ، لنناقش مع شاعرنا الكبير قضية الفروق الطبيعية بين الطبقات ، وتفاوت الناس في القوة والضعف ، والقبح والجمال ، والحصافة والغباء .. وهذه القصيدة هي الوحيدة في الديوان التي تبدو وكأنها نظمت على طريقة الشعر الحر ، فقد احتفظت بالأوزان والقوافي ، ولكنها (أخذت حريتها) في عدد التفاعيل .. وبالرغم من ان لي في الشعر الحر رأياً معروفاً ، غير أنني اؤكد أن الحس الموسيقي لدى الشاعر ، استطاع ان يملأ كثيراً من الفجوات التي توجد عادة في مثل هذا الشعر .. وتبدأ القصيدة هكذا :

يا للتباب
يا للتنابز والسباب
يا للفضائح تزكم الآناف في وضح النهار

ثم يقول :

أي الفروق ؟
ليست فروق الجنس .. ليست فروق الدين .. ليست فروق المال والأمجاد :
لكنها .. تلك الفروق ..
فروق موهبة وعقل ..
فروق أخلاق وفضل
لا بد أن يمتاز أهلوها ... وان يتفوقوا
أو قل على الدنيا السلام ...
على العدالة والوئام

ونأتي إلى قصيدة (وساوس الايمان) .. لنناقش مع الشاعـر عدداً من قضايا الوجود : الثراء ، المجد ، الشعر ، الدين ، العلم ، الحب:

فما عدت أسعى للغنى تستفزني .. اليه حماقات عمتها نقودها

فليس بمجديني .. وكم من غنيّ — الخ — ثم هذا البيت الجميل :

ويا رب نعمى لو كشفت غطاءها.. لولى فراراً من قذاها حسودها

أما المجد فليس إلا صبوة طامح الى قمة غير مأمونة .. بالاضافة الى ملاحظة أخرى :

وكم ناعم بالمجد لو ان مجده .. تعرى..لضجت في السماء رعودها

والشعر ليس من شك في أنه ليس في تجليه إلا نغمة سماوية ما يستفيق المغرم بها .. وان كان يفقد قيمته الحقيقية حين يغدو حبالة قانص ، لا حافز له من الروح ، ولا صلة له بالسماء ، أو حين يغدو مجرد لغو لا سند له من الاحساس الصادق أو الادراك الواعي .

والدين ليس في الطقوس وحدها وان أغرت مظاهرها ، ولكنه اشراقة الروح الهادية ، التي تصر على ان تسير على الطريق إلى نهايته ، حين تطمئن اليه ، وان واجهت العقبات والحتوف .

وللعلم آيات تبدت نحوسها .. فهل تتبدى للعيون سعودها ؟
إذا هو لم يحمم السلام فإننا..طرائد بلوى ليس ينجو طريدها

والحب ..؟ ما قيمته ان لم يشمل الكون كله ، ويسمو بأوطار الهوى ويقودها .. ثم حديث قصير عن الحب وعن الفاتنة النشوى التي تكيد بسحرها ، ولكنه تصدى لها من سحر شاعرنا الكبير ما يكيدها :

لنا نظرة في الحب ألاّ تصيبنا .. تفاهاته .. إلاّ تهاوت بنورها

وبعد ان يتساءل عن مصير الأرض ، بعد ان أصبحت كفة حابل، مسدودة أغوارها ونجودها وهل ستستقر على شاطىء الأمان ، أم سيبتلعها الموج الهادر .. تعود فتلفه وساوسه وتطغى عليه الحيرة فيقول :

لقد بت ما أدرى الحياة أم الردى .. سبيلي إلى أرض يطيب صعيدها ؟
وهل تتمنى النفس ان يعصف البلى .. بها دون رجعى . أم مناها خلودها؟

وقد كان أقوى مقاطع القصيدة ، من زاوية المنطق الشعوري،مقطعي الثراء والمجد ثم المقطع الذي يتحدث فيه عن العلم ومشاكله .

أما في قصيدة (أشباح) .. فيطالعنا فيها الشاعر بوجه جديد ، لقد

تعودنا منه أن يكون الضحية دائماً ، فيقول ان نفسه :

قادها الناس للزهادة في الناس .. فعاشت في وحدة المستريب

ويتحدث عن مأساته مع المجتمع في قصيدته : (غربة الروح) فيوجه أصابع الاتهام كلها الى الناس الذين يعايشهم .. أما في القصيدة فهو يقول :

ويح نفسي أرى رفاقي .. فما أبصر فيهم .. إلا نقاء وطهرا
أأنا الخاسر الوحيد ، فما أزجر نفسي عن الغواية .. زجرا ؟
ألهم أنفس يباركها الخير .. فتصفو ؟ وما يبارك شرا ؟
أم هو الداء قد تمكن حتى .. عافه طبه .. كما عاف قبرا ؟
وهو اليأس .. ما يُرجّي من الاثم .. نجاة .. وما يرى فيه نكرا ؟
كلما شده إلى الخير حبل .. بترته يد الغواية .. بترا

ويقول بعد أبيات :

شع بالشيب مفرقي وبنفسي .. جنبات يرتد عنها الشعاع
أجبان عن الهدى وشجاع .. في الهوى .. بئسما يكون الشجاع ؟
يا رفاقي ودعتمو اللهو من قبل .. فما لي يهول نفسي الوداع

والعجيب بعد هذا كله ، ان هذه الصرخات الباكية ، لم تكن تنبعث من ضمير جنى عليه الاثم والضلال ، كما يتبادر الى الذهن ، وكما هو المفروض ، ولكنها انبعثت من نفس تشعر بأنها (مظلومة) . مظلومة أيضاً في هذا الموقف الجديد ، بالنسبة لقصائد الديوان ، أو انها على الأقل ، لم تكن تشعر بالمتعة الحقيقية وهي تقارف الاثم :

لو تمتعت ما شكوت ولكن .. فانني – رغم ما ارتكبت – المتاع
فأنا الخائب الذي عافه الاثم .. ولكن جنى عليه السماع ؟؟
وأنا .. من أنا ومن أنت الا .. مركب قاده – فسار – الشراع

أعترف ، بأنني أنا نفسي أشعر بأنني أتخبط في دياجير مدلهمة ، أحاول أن أتلمس فيها طريقي ، فنها حاولت أن أبرر هذا التردد بأنه ليس من الضروري أن يكون رفاقه كما تصور ، قد استطاعوا الارتفاع عن الحمأة التي كانوا يعيشون فيها ، ولكن أثقال الاثم التي ناء بها هي التي صورت له هذا الوهم . مهما حاولت ذلك فانني أصطدم بالبيت الذي يقول :

يا رفاقي ودعتمو اللهو من قبل .. فما لي يهول نفسي الوداع ؟

فهناك – كما يقول – رفاق كانوا يسيرون معه على نفس الطريق – ولكنه :

قد تلمست في الدياجي طريقي .. ومشيتم والشمس تسطع ظهرا

وذلك مما يؤكد لنا ، ان مفتاح شخصيته هو ما سبق أن أشرنا اليه (نفس تبحث عن نورها) وبهذا وحده نستطيع أن نوجد التناسق بين شتى الأحاسيس والمشاعر ، التي تخالجه وتستولي عليه . ففي القصيدة بجانب الجبرية الواضحة ، تطلع إلى النور ، ومحاولة لتأكيد الذات :

ربما كان لي غدي .. فاذا الأمس .. رماد تذروه هوج الرياح
فاذا بي بعد التعثر في القيد .. شديد الرضى .. طليق السراح

وهو حينما يتصور الحياة بعد ذلك ، وقد تجسدت له فرآها مثله ومثل بقية الناس ، شبحاً من الأشباح ، لا حول لها ولا قوة ، عزلاء ،

لا تستطيع لنفسها نفعاً ولا ضراً ، ذرة في الفضاء ، لا تعرف مصيرها. وحينما رآها (وقد تجردت من وشاحها) لعبة القضاء المتاح ، وتبين في ملامحها الضعف فكفكف فرحته ونواحه ، وأصبحا سواء في الخيبة والنجاح ، حينما يتصور الحياة على هذه الصورة لم ينس أن يقول ان الحياة قالت له :

وتراني مثل الألوف من الناس ، فتخشى .. أسنتي وصفاحي

وكان من الطبيعي وقد أدرك ان الحياة على هذه الدرجة من التفاهة، وانها ليست غير هباء يسير خلفه الهناء الذين هم الناس ، وسراب لا يبل غليل الظامئين ، ورداء يخلب اللب ، ولكنه رداء الفناء ، وصغار يهوي الى الأرض بالناس ، فيفوتهم مجد السماء .

ظنه الناس كبرياء .. فلما .. عرفوه .. بكوا على الكبرياء

كان من الطبيعي ان يسترد ثقته بنفسه ، فيهتف :

نحن من صنعنا سموا وخفضا .. ومتاعاً بالنسك والاغراء
فلماذا نضيق ذرعاً بما نصنع .. حتى نضل في بيداء ؟

فإذا ما احترق من وهج الاثم فماذا يجدي بكاؤه عليه ، ثم كيف يشكو جنته وجحيمه ، وعلته ودواؤه من صنعه ؟.. ويهتف :

أنا من آثر المتاع على الزهد .. فويلي من شقوتي وهنائي
ولقد لذت بالرضى وتوخيت سلامي .. في الحب لا في العداء
وتجردت .. وانطلقت اجاري .. صبوتي في الوضوح لا في الخفاء

ونحس بعد هذا الاستعراض السريع للقصيدة ، ان الصراع العنيف

الذي عاناه الشاعر ، في بداية تجربته الشعرية ، قد خف أواره وخبت حدته ، بل انه استحال الى رضى وسكينة وسلام وانه تمكن في النهاية، من تفريغ الشحنة العاطفية ذات الطاقة العالية ، التي كانت تثقل ضميره، وتقلق روحه ، وتعكر صفو لياليه ، وتلك – في الحقيقة – هي وظيفة الفن . وبغير هذا التفسير النفسي لمراحل التجربة، من بدايتها الى منتهاها، سنحس بكثير من التناقض والحيرة ونحن ننتقل من مقطع الى مقطع ، بل وفي المقطع الواحد أحياناً .

وتغلب على شاعرنا الكبير روح الفلسفة والتساؤل ، حتى في الموضوعات التي تبدو وكأنها بعيدة عن الفلسفة وعن متاهاتها . ففي القصيدة التالية: (مرآة الخريف) وفيها يتقمص شخصية حسناء كانت تفتن بسحرها الألباب .. تقف على أنقاض الربيع الراحل ، لتقرع السن بالسن ، وتقلب الطرف فما ترى سوى وحدتها الصماء ، وهي تفترس المنى وتلقي بأحلامها الى ظلمة السجن ، سوى الحسن بعد ان ولت نضرته وتوثبه ، وعاد بلا طعم (يـذاق) ولا لون ، سوى طلل بال تمر به الرؤى سراعاً ، وليس يبقى فيه سوى الأثر المكفهر الداجي .

تطوف برأسي ذكريات مريرة..فتلقي على روحي،ظلالاً من اللعن
وتسعدني حيناً، فأدعو طيوفها..ولكنني أصحو .. وقد هربت مني

في هذه القصيدة ، التي تقمص فيها بدقة متناهيـة شخصية الحسناء التي تقف على أنقاض ربيعها الراحل لا ينسى الفلسفة ، فبعد أن تقول الحسناء انها لو كانت تدري المصير الذي انحدرت اليه لتمتعت بشبابها على هون وهدوء ، ولما استنفدت ربيعها بسرعة ، تتساءل :

أفي الصدق أرجو من حياتي سعادتي..فأشدو به أم أرتجيها من المين؟

والواقع ان محاولة استعراض القصيدة ، قد تؤدي الى تشويهها .. فقد بدأت :

تطلعت للمرآة فاستهولت عيني..مرائي ما كانت لتخطر في ذهني

ثم يبدأ في استعراض التغيرات التي طرأت على الحسناء ، ابتداءً من شعرها الذي استحال سواده بياضاً ، الى أن يصل الى الساقين، ثم يعود إلى الزند والمعصم وأعضاء أخرى لم يتعرض لوصفها من قبل ... وكنت أريد أن أقول انني أتمنى لو أمسك الشاعر بهذه الأعضاء بالترتيب حتى يصل الى الساقين مثلاً ، غير أنني أعتقد ان هذه الطريقة التي لجأ اليها قد تدل على التحسر والألم ، أكثر مما لو راعى تسلسل الأعضاء وترتيبها. فبعد أن تحدث عن الشّعر الذي غزاه الشيب قال : وكان قوامي السبط كالرمح فانحنى ، وخصري تناهى في النحول ، وقد كان وجهي في الدجنة كوكبا ، ونفاثتا سحر كعيني ما اشتهت عيون ، وأنفي متطلعا كأنف كليوباترة ، وقد كان صدري شامخاً متوثبا ، وغصني محملاً بالثمار ، ونهداي أشهى ما تطالع في هذا الغصن ، وردفاي هزا النهى باهتزازهما، وساقاي لما تستفق من طلاهما النواظر ، وكم زهوت بمعصم يكاد يسيل من النعمى ، وزند كنور شف عنه غلافه ، وجيد أين منه ظبي الكناس وجيده وكل ما أوحت به روعة الفن ، ونحر تخال السحر في قسماته ، وثغر كالربيع الضحوك ، (وظهر تندى بالعبير !) ، وبطن يشبه الحرير في ملمسه ، وضبن يتأرج المسك من نفحاته ، وبنان رخص في لطافة الورود ، ولكنه أحلى من المَنّ عند اللثم ، وشعر اثيث كالدجى المدلهم ، ترتمي غدائره في كبرياء على حضني ، وبشر يسبي المتحنث ويدعو الموتور إلى الصفح والسلام ، وخفة روح تسبي العقول وتذهب بالحزن ، وصوت يشبهه مزمار داوود في حلاوته .

وماذا حدث بعد هذا كله ؟

وها أنا قد ولى الربيع بوشيه وصوح روضي أقرع السن بالسن
أقلب طرفي أين صحبي فلا أرى سوى وحدتي حتى كأني بلا خدن
سوى وحدتي الصماء تفترس المنى وتلقي بأحلامي إلى ظلمة السجن
سوى الحسن ولي نضرة وتوثبا وعاد بلا طعم يذاق ولا لون
سوى طلل بال تمر به الرؤى سراعاً وما يبقى سوى الأثر الجون
تطوف برأسي ... وتسعدني حينا ...

ولكن روح الفلسفة والتساؤل ، كانت في هذه القصيدة طبيعية جداً، لأنها لم تكن كما عودنا الشاعر في قصائده الأخرى ، تطلعاً للمجهول واستكناهاً لأسراره ، ولكنها كانت صراعاً في صدر الحسناء بين موقفين تفرض عليها حتمية الظروف التي تعيشها ان تختار أحدهما،موقف الرضا بالأمر الواقع وتقبله ، وموقف الاصرار على مغالطة نفسها ، والتمويه على الناس ، وان كان يبدو لي ان الوضع بالنسبة لهذه الحسناء، بعد أن تغيرت هذه التغيرات الجذرية ، لا يحتمل هذا الصراع ، ولكنها حواء مهما كان الأمر ، حواء التي لا يمثل المنطق من وجهة نظرها الا التأكيد على قيمتها كأنثى ، مهما عصفت بها رياح الخريف .

ننتقل بعد ذلك الى لون آخر من ألوان الشعر في هذا الديوان ، هو الشعر الذي وضع له عنوان : (عروبة واسلام) ، وعروبة الشاعر واسلامه ، قضية لا تحتاج إلى جدال . ففي القصائد السبع ،التي ادرجت تحت هذا العنوان ، أكثر من دليل على عروبته الأصيلة واسلامه الحق .

أولى هذه القصائد ، قصيدة : (من وحي النبوة) ، وهي قصيدة طويلة تبلغ أبياتها مائة وتسعة أبيات افتتحها بقوله :

كسّرت اكوابي وعفت شرابي .. وزهدت في لهوي وفي أصحابي
وتطلعت عيني الى مستشرف .. عالي الصروح .. مقدس الأعتاب
تتواثب الأنوار فيه .. كأنها .. أسراب طير فوق خضر روابي

وبعد ان استرسل قليلاً في وصف المقام الشامخ الرفيع ، اختتم الجولة الأولى من القصيدة بقوله :

طوبى لمزدلف اليـــه بقربة من مجد معركة .. وهدى كتاب

ثم بدأ الجولة الثانية بالحديث عن الحب ، وعن مظاهره الحقيقية :

ان الصبابـة لا تكون تباهياً بالحب .. أو هي نزوة المتصابي
أغفيت بين هوى وبـــين عقوبة وصحوت بين هدى وبين ثواب
فطفقت ألثم ــ في الخيال ــ اناملاً قلبت نعـــيماً شقوتي وعـــذابي

ثم أخذ يناقش أعداء الرسالة وخصوم الرسول ، محتجاً ببعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل نسج العنكبوت على الغار ، ونزول جبريل عليه السلام ، وانشقاق القمر ، ثم استدرك فقـال : انه لا يعدد مآثر النبي لأنه عليه الصلاة والسلام وراء كل حساب ، ومن كان كماله من الله ، كان الكمال نفسه من طلابه ، واختتم هذه الجولة بالبيت الجميل:

من كانت الأقدار ترسم خطه ذاق الحلاوة مـن مرير الصاب

واستعرض في الجولة الثالثة أو المقطع الثالث الآثار الكبيرة التي تركها عليه السلام في أصحابه والمهتدين بهديه ، الذين كانوا لولا الروح التي نفخها فيهم ، مجرد معشر من الاعراب ، لا يؤبـــه بهم ولا يقام لهم وزن .. ولكنهم بهديه وبرسالته التي جاءهم بها ، تواثبوا للمجد بعـــد تخلف ، وأخذوا بأسباب الحضارة،وأتوا بما يذهل العقول ويحير الأفئدة، حتى لقد تزلزل عرش كسرى،وهوى قيصر ، واختتم المقطع باستعراض بعض المزايا ، التي ينحاز بها معشره وصحابه .. صلى الله عليه وسلم . وطفق بعـــد ذلك يستعرض أسماء بعض هؤلاء الأبطال المغاوير مع ما

عرفوا به في التاريخ الاسلامي المجيد :

هل قام كالصديق من متبتل أو عادل كقرينـــه الخطاب

أو مثل عثمان ، أو مثل حيدرة ، أو مثل خالد ، أو مثل عمرو ، أو كابن عباس ، أو مثل بلال .

فهمُ النجوم نسير في اضوائها أيا تبعت .. تبعت خير شهاب
ضربت كتائبهم بكل تنوفـــة ومشت مراكبهم بكـل عباب

غير أن الذي آخذه على شاعرنا الكبير في هذا المجال هو أنه اعتبر ان كل انتصارات المسلمين ، في بداية التاريخ الاسلامي ، كانت قائمة على المعارك الحربية ، ان لم تكن فيها كلها ففي معظمها ، وان الفتوحات الفكرية لم تبدأ إلا بالمعري والغزالي .. فهو يقول بالنسبة للصحابة الذين استعرض اسماءهم فيما سبق :

ومضوا بأطراف الأسنة والقنا يبنون .. لا ببراعـــة وكتاب

ويفلسف هذه الفكرة بقوله :

المجد أوسطه البراع محلقاً لكن أوله من القرضاب
ان النجيع هو الخضاب لأمة عاشت لغير تبرج وخضاب
ولقد أتت أقلامهم بعجائب من بعد تدحض فرية المغتاب
هل كالغزالي مفحماً بتفلسف .. أو كالمعري معجزاً بسوابي ؟

مع ان الدعوة الاسلامية لم تلجأ إلى معركة السلاح ، إلا بعـــد أن عجز البراع والبيان ، عن هداية الضالين ، أو القضاء على نوازع العصبية والكبرياء في نفوسهم وعقولهم ، وكانت قبل أن تشهر السيف أو تشرع

الرمح في كل المعارك التي خاضتها ، تحتكم إلى المنطق وإلى دعوة الخير والحق والسلام ... بالاضافة إلى ان نزعة الفلسفة والتساؤل عند شاعرنا الكبير ، أبت عليه إلا أن يضم المعري والغزالي معاً وفي بيت واحد ، على بعد ما بينهما في الوسيلة والهدف والاتجاه العقائدي .

وبعد أن ينتهي من هــذا الاستعراض السريع لبعض رجال الدعوة وحماتها ، يلتفت إلى المسلمين الذين تنكبوا طريق الدعوة وتنكروا للاسلام فيقول لهم :

عودوا الى الاسلام ان سبيله ما تلتوي في جيئة وذهاب

فقد تلطخت المسالك والسبل بالدماء ، واعتز حماتها بالأسلاب، ونبذوا التراحم فيما بينهم ، حتى لجأوا الى استعمال كل وسائل الارهاب والعنف والقسوة .. ويقول :

لم يعرف الاسلام ان رؤوسه ديست بلا حرج من الأذناب
أو يعرف الاسلام ان اخوة كانت مثار تشاحن وسباب

ويرسم صوراً سريعة نابضة، للمآسي الموجعة التي استحالت إلى مهازل والدرك المنحط الذي تهاوى اليه الكثير من المسلمين، في هذا الزمن الذي استشرى فيه الباطل، وسيطرت البغضاء والشحناء ، وضاعت كلمة الحق، ثم يقول :

يا من أتيت من السماء بملــة تهدي العقول بمنطق خلاب
ملأت بقاع الأرض حكمة سرمد وسلام آباء وخلد شبـاب

وبعد ان يستطـــرد بعض الوقت في ابراز الخطوط العريضة للدعوة الاسلامية ، يقول : ما أعظم سعادتنا بهذا الدين ، فلو لم نحد عنه ،

لبلغنا في رفعة الشأن وعلو المنزلة ما بلغه الأجداد في سالف الأحقاب ، وأخذ يعدد بعض مفاخر الاسلام ويناقش اليهود والنصارى في كفرانهم بصاحب الرسالة (ص) مع ان الانجيل بشر ببعثته الكريمة ، والزبور والتوراة لقباه صلى الله عليه وسلم بأشرف الألقاب .

ويعود يتساءل عن مصير الاسلام ، بعد ان أصبح في غربة ، وأعرض عنه أصحابه إلى مسترذل العقائد والأهواء ، ويقول لقد صدق النبي ، فها هو ذا الاسلام يعود غريباً كما بدأ ، وها هم المسلمون قد أعرضوا عنه ..

هذي العقائد كلها محمومة	من حقد موتور وزيف محابي
عكفوا على أهوائهم فرقابهم	ما تنحني إلا لشر رقاب
ما مجدهم الا سعار خلاعة	أو وحيهم الا خمار شراب
أو وكدهم الا ثمار منافع	أو علمهم الا قشور لباب

ويفلسف شاعرنا الكبير ، استمراءهم للانحراف والسقوط بقوله :

ان الحمائم قد يعاف هديلها	من ليس يطربه سوى التنعاب

ويعود فيتحسر على ما تكابده الأمة الاسلامية ، من كيد المنتسبين اليها ، ولؤم ابنائه الذين يساومون على مقدراته ، فأمتنا :

رزئت باسلامية .. وعروبة	نكراء تطرب للدم المنساب
رزئت بها دعوى تطن عريضة	برئت من الأديان والاحساب
من عصبة لا تستجيب لدينها	حقاً .. ولا لعروبة الاصلاب

فهي ليست تستقيم لها غير آرائها ، حتى ولو كانت طنين ذباب .. كما ان العنف مركبها إلى غاياتها : (والعنف مهما رضت — شر ركاب)

ويثور علــى المارقين الملحدين ، الذين ينسبون انحرافاتهم وعقائدهم الممسوخة إلى الاسلام ويعوون عواء الكلاب لنصرتهـا ، فيقول انهم لو صدقوا لقوبلت دعواهم بالترحـــاب ، ولكنهم كذبوا فيما زعموا وفيما ادعوا ، فالشمس لا تخفى على متطلع ،ولو انها استترت وراء السحاب .

وفي غمرة الأسى والألم والتمزق الذي يشعر به ، لا يجـد له ملاذاً غير الله ، يبثه شجنه وشكواه :

يا رب أنت ملاذنا من محنة — قذفت أمـــام عيوننا بضباب
كيف السبيل الى اتقاء كريهة — ركب الحمير بها متون عراب

فلقد جاء أحمد المصطفى بالاسلام ، وبشريعته الواضحـة السمحة ، التي لا تحتمل اللبس ولا الابهام ولا الغموض ، منها ياارباه ، فكم لها من أعداء ومن خصوم .. و :

كم من دعـي يستمد نفوذه — منها .. ويطعنها وراء حجاب

ومن هنا تنبع المشكلة الحقيقيـــة ، التي يعاني منها الدين ، ويقاسي المسلمون من ويلاتها ، فالمصاب الذي يلحق بنـا من المجاهرين بعدائهم وخصومتهم ، مصاب هين من السهل تداركه والتغلب عليه ، لأنه يلبس لباسه الحقيقي ، الواضح المعروف . أما المصاب الذي يخشى منـه فهو المصاب الذي يجره المنافق ، بتستره ومراوغتـه وتحطيمه لكل المقدسات والشعائر ، وهو يلبس مسوحهـــا ، ويتكلم باسمها ، ويؤكد للناس انه حاميها المخلص وراعيها الأمـــين . وقبل ان يختم القصيـدة لم ينس ان يخاطب الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو في موقف الخشوع والضراعة لله عز وجل ملتمساً منه الشفاعة ، فلن تعوز الله وهو الرحيم عقوبته ، ولن يعجز الله وهو الكريم ثوابه .

وبعد هذه الرحلة الطويلة ، التي استغرقت مـائة وتسعة أبيات ، مع مفاخر الرسالة ومعجزات النبوة – واشراقة الاسلام – وأمجاد التاريخ ، كان من الطبيعي ان يختم الشاعر قصيدته بقوله :

اني لأشتم العبير .. كأنما تتنسم الدنيا عبير ملاب

فأنا هنا وكل القراء فيما أعتقد ... كنا مغمورين بهذا العبير السماوي الأخاذ ، وقد حرصت على ان أظل معهم أطول فترة ممكنـة ، ونحن نقرأ هذه القصيدة ، لأنها نشرت أول مرة قبل حوالى خمس سنوات ، ثم أعيد نشرها قبل سنتين تقريباً ، وليس من شك في ان النذر الرهيبة التي تحدث عنها شاعرنا الألمعي عندما نشرت القصيدة أول مـرة ، قد استشرت وازداد سعارها وطغيانها ، مما حتم عليّ أن أقف وقفة طويلة – نسبياً – مع هذه القصيدة . ومن رحاب محمد ، نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ، ننتقل إلى مشارق النور في مكة المكرمة فللشاعر قصيدة عن أم القرى ، اقترح عليه نظمها الأستاذ عبدالله عريف – أمين العاصمة ، معارضة لقصيدة تماثلها في الوزن والقافية عن جده للشاعر الأستاذ حمزه شحاته كما يبدو من طريقة معالجة شاعرنا الفقي لموضوع قصيدته ... وليس هنا مجال المقارنة بين القصيدتين – بالطبع ، ولكنني احب ان اشير إلى ان صاحب الديوان حرص في قصيدته على ألا يشيد إلا بالناحية الروحية وحدها ، وان يركز عليها بعمق ، بالرغم من مظاهـر الحسن المتعددة التي كان في استطاعته ان يشيد بها . ونقطة أخـرى أحب ألا ترغمني المجاملة على الاغضاء عنها هي ان كثيراً من أبيات القصيدة،تنم بوضوح عن هذه المعارضة ، فهناك مثلاً :

ما تبالين بالرشاقة والسحر .. فمعناك ساحر ورشيق
و ما أباهي بالحسن فيك .. على كثرة ما فيك من مغان تشوق
و قد تركت البريق للبلد الخامل .. ماذا يجدي عليك البريق ؟
وابيات اخرى كثيرة .

حتى لأكاد اتصور ان هذه القصيدة ، لم تنظم إلا لمعارضة تلك ، وهذا ما اعطى القصيدة — في نظري على الأقل — صبغة تقريرية، كنت أتمنى لو خلت منها . فقد تغلب المنطق والجدل فيهــا على الاحساس والشعور ، وكانت كلها تقريباً على طريقة : (لا أنا أحسن منك انت كده وانا كده !) ، مع ان شاعرنا الكبير لو ترك لخياله ومشاعـره العنان كما فعل في الكثير من قصائده الأخرى ، كقصيدة (من انا ؟) مثلاً ، وتحدث عن مكـة المكرمــة والبيت العتيق ، من اغوار الزمن السحيق ، وعاش فيها (بقلبه) مع ابراهيم الخليــل عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت واسماعيل ، وقصة السيدة هاجر وهي تبحث عن الماء في ذلك القفر الموحش الظامىء وعن عشرات الصور والقصص الأخرى التي تدور حول هذه المعاني ، أقول : لو ان شاعرنا الكبير تنــاول باسلوبه الملحمي هذه الجوانب البكر ، لكان لنا — دون شك — ملحمة شعرية — سامقة، تستطيع ان تقف على مشارف الخلود بكبرياء واعتزاز . ولست أنكر مع ذلك ان هذه القصيدة تضمنت بعض اللمحات السريعة المشرقة لهذه الجوانب ، فقد تحدثت عن الرسول (ص) والصديق (رض) وشكول من الرجال ، سبوق ، جد من خلفه ، فجلى سبوق ، وعن الاغريق والرومان ، وعن الخلد الذي مشى مختالاً في ركابها ، ركاب مكة ، وعن البلاد التي تتيه بما جاءت وتساءل : أجاءت ؟ بالذي جئت ام هو التلفيق ؟ إلى مكانة ام القرى وقدسيتها، ولكن من أهم الملاحظات التي احب ان اوردها قوله :

درج المصطفى عليك فأغلاك .. وأغلاك .. بعـده الصديق

فان أول ما يتبادر الى الذهن ، ان المصطفى (ص) أغلاها .. لأنه درج عليها .. وليس هذا – بالتأكيد – ما يهدف اليه الشاعر ، ولكن صياغة البيت تشعر به . بالاضافة الى ان الصبغة التقريرية أو اللهجة الخطابية، هي التي تسيطر عليها تقريباً .

وما ابلغ الشاعر وهو يختم القصيدة ، فيقول :

ما تأنقت في المقال . ففي سحرك معنى – يعيي المقال – أنيق
واللسان الذليق ، يعجز أحياناً ، اذا احصر اللسان الذليق

حقاً ان البيان مهما بلغت مكانته وقوته ، يقف أحياناً مكتوف اليدين، مطبق الشفتين ، تجاه العظمة الساحقة ، تلفه بجناحيها في شموخ وجلال، فلا يملك إلا أن يغض ناظريه ويخفض جبهته و ... يسجد ... لخالق الكون ومبدع الحياة .

* * *

ومن أغوار الزمن السحيق ، نعود الى هذا العصر الذي نعيشه .. من مكة المكرمة شرفها الله الى رحاب جزيرتنا العربية العتيدة ، لنحتفل مع الشاعر بيومنا الوطني ، وهو ما درجت الامم والشعوب في مختلف بقاع الأرض على تسميته بالعيد الوطني .. والتسمية الأخيرة دون شك ، لا تتناسب مع تراثنا الديني الأصيل ، مما ألجأنا الى التسمية الأولى .

في هذه القصيدة بدأ الشاعر أولاً بتعريف هذا اليوم :

هو يوم بداية التوحيد .. فيه .. تمت على يد الصنديد

وبسرعة البرق ، نقلته عملية تداعي الخواطر والذكريات – كما يعبر علم النفس – إلى مآثر هذا البطل الصنديد ، فأخذ يتحدث عنه :

لم يكن يعرف المحـــال من الأمر .. اذا سار في الطريق الحميد

وغلبت الشاعر طبيعة الحكمة والفلسفة في شعره ، فأخذ يضرب الأمثال:

ليس في هذه الحياة محـــال يتصدى أمـــام عزم شديد
يتهاوى المحال حين يرى العزم تهاوى الجـــدار تحت الحديد

ثم عاد الى سيرة البطل ، موحد الجزيرة ، المغفور له الملك عبد العزيز ، ومآثره الجليلة في توحيد الشمل ورفع البناء ، وتهيئة وسائل العيش الرغيد لأبناء شعبه ، وكفاحه في سبيل الدين والعروبة حتى :

رددت ذكره القلوب فأمسى هانئـــاً بعـــد موته بالخلود

ومن الليث انتقل الحديث الى الشبل ، الذي ما بعده من مزيد ، الشبل الذي يتحلى بعزمة كحـــد السيف ، ورأي سديد في المعضلات ، واناة واعية تسير بهدوء وثقة حتى تدرك الفرصة :

ولقـــد جاء فيصل بعد لأي صامت شفه .. وبعـــد صدود
كان منا القريب بل كان منـــا دانياً .. دانياً كحبل الوريـــد

ويتحدث عن الفيصل المفدى ، حديث الانسان الخبير الواعي ، الذي يعرف مواطن العظمة والسمو في جلالته وهي تتمثل في حلمه واناته وصبره وبعد نظره ، وسعادته في السهر على راحة المواطنين ، ونوازع الخـــير التي تهدف الى ان تضم كل الوجود ، واصراره على المضي في طريقـه ما دام يعرف أنه يسير على طريق الهدى والحق :

ما يبالي بالافك ما دام يمضي في سبيل الهـدى ولا بالجحود

ويختتم هذه المقطوعة بأربعة أبيات ، تدور في فلك هذا المعنى ، وتمثل

له وتستدل عليه ، وتقارن بين الصعيد والقمة .. ثم يستأنف الحديث عن اليوم الوطني ، بعد ان عرّفه في المطلع ، ويقول له انه أشرق فينا بكل معاني السعادة ، وانه من الأيام العتيدة الباقية على الدهر ، وان كل أبناء جزيرتنا العريقة يومئون اليه بالاكبار والتمجيد ، ثم يقول له:

أنت رمز التوحيد .. رمز الأماني .. نشاوى ورمز عيش رغيد
رمز عهد يضم كل بديد .. بعد ما ضاق ذرعنا .. بالبديد

وحدة وطدت طريقها إلى المجد ، ومهدت من صعاب وحدتنا الكبرى ، واستأثرت — من أجل ذلك — بشرف الإعداد والتمجيد لها :

هي من سيد الجزيرة ارهاص (عميق) بسر هذا الوليد
وهي من شبله جهاد (وتنسيق) ليمشي الوليد عبر الحدود
ليس تبقى على الزمان قيود .. حين يبغي الأحرار كسر القيود
حين يمشون للوصيد فينهار أمام الأحرار كل وصيد

فسلام عليك أيها اليوم الأغر ، من كل نفس تهفو إلى الوحدة،ومن كل قلب ظامىء إلى ورود ينابيعها الثرة الصافية ، وسلام عليك من كل حر ، ليس يخشى غير حياة العبيد . ويختم القصيدة بصورة مجسمة جميلة ليومنا الوطني ، الذي بدأنا فيه بغرس بذور الوحدة في بلادنا . انه حقل (زرعنا) فيه مبادئنا وأحلامنا وآمالنا ، ولم نزرعه عبثاً ، ولكن لنجني ما زرعنا ، يوم يحين الحصاد .

ومن خلال هذه الصورة الحية التي نلمح فيها نمو الزرع وتطاول الأغصان ، يوماً بعد يوم استطاع الشاعر أن يؤكد ايماننا بالوحدة الكبرى المنتظرة التي بدأناها نحن هنا (من بلاد التوحيد) ، وان يحمل كلانا مسؤوليته في المحافظة على هذه البذور التي بدأت تنمو وتنتشر :

أيها الحقل ما زرعناك الا .. رغبة في جناك يوم الحصيد

ومن جزيرتنا العربية العتيدة ، ينتقل بنا شاعرنا الكبير إلى (البسفور) في تركيا ، ونحن لا نزال نعيش في صور (الوحدة الكبرى) وآمالها الشامخة العريضة ، لنعبر بهذه الوحدة الحدود الضيقة لجزيرتنا العربيـة ، إلى آفاق أبعد وأرحب ، فشاعر يحمل الروح العالية التي يحملها الأستاذ الكبير ، يدرك ولا ريب – ان الوحدة الحقيقية المثمرة ، هي الوحدة التي تجمع المسلمين ، وتوحد كيانهم ، في كل بـلاد الاسلام وليست الوحدة العربية وحدها، ولذلك لم يتحدث عن جمال تركيا وروعة البسفور ولكنه لمس الروابط العميقة البعيدة الغور ، التي تربط تركيا بنا وتربطنا بها ، والصلات العريقة التي تجعل من تركيا بكل تاريخها وأمجادها ومفاتنها جزءاً من خارطة العالم الاسلامي . فهو لم يكد يبدأ القصيدة ، مأخوذاً بسحر الطبيعة ومجالي الجمال، حتى تبدت له الرحاب الخضر قفاراً جرداء ، ولم يكد يتطلع إلى الجنات التي ما زالت ترفل في النثير من الحسن والفتنة وفي النضيـد ، حتى لمـح الاسلام وهو يوشك أن يوأد على صعيدها المتهلهل :

هذي الرحاب الخضر .. كيف غدت على الأيام بيد ؟
ظلت نضارتها حديثاً .. في القـديم .. وفي الجديد
لكنما الاسلام أوشك .. أن يكون – بها الوئيد

وهو يقول (أوشك) لأنـه يعرف ان الاسلام دين الخلود ، وأن من سماه بالعميد :

ما زعزع الاسلام .. لكن زعزع الجيل الجديـد

وأبى عليه ايمانه بدينه وبأبناء هذا الدين ، إلا أن يلتمس لمصطفى كمال ـ عميد تركيا الحديثة ـ المعاذير :

ما كان لولا حكمة الأقدار .. يبدىء .. أو يعيد
لو انه لم يدع للالحــاد .. كان هو الرشيد

فهلا كان يشيد لأخراه كما شاد لدنياه ، واستدرك فقال : لقد مضى هذا العميد ولكن العقائد لن تزيغ ولن تبيد ، ثم قال : ان هذا العميد كالملاك الذي يصبح شيطاناً مريداً حين يتنمر . وكالسحاب الذي يهطل بالخصب والخير ، ثم يلفح بالجليد . فلقد أدى العديد من الأيادي لبلاده ، ولكنه استرق بها العدد الكبير أيضاً .. وتحدث بعد ذلك عن استبداده وجبروته ، واختتم هذه المقطوعة بهذا البيت الجميل :

ما استعبد الأحرار .. إلا .. من تزعم بالعبيــد

وتطلع الشاعر يمنة ويسرة ، فقد تأرج شذا الاسلام ، وملأ جوانحه ، ومرت مواكب التاريخ أمام عينيه ، تحمل عبق الشهداء وبطولة الفاتحين ، ومواقف سلاطينها وملوكها ، في الذود عن الاسلام ورفع رايته ، والدفاع عن حوضه ، ليكون للشاعر هو أيضاً شرف الدعوة الى الله :

يا جيرة البسفور .. يا فخر الفيــالق والبنود
يا راية الاسلام .. تخفق في السهول وفي النجود
يا صيحة دوت .. فحطمت الحواجز والقيــود
يا أمسية دانت لهــا الدنيا .. ونحن من الشهود

ثم يقول لهم :

من طور الاسلام .. هل يرضى لحاضره الجمود؟
العرب والأتراك .. كانوا كالمخافر والحدود
ما بينهم نسب يفوق جـداه انساب الجدود

ثم يتحدث الى راية التوحيد فيقول لها : كم وحدت من شتى الجهود، فوشائج العقيدة أقوى من وشائج النسب،ورايتك هي التي تخفق فيتواثب تحتها الأنصار كالفهود ، لا يبالون النحوس من السعود ، وهم أخوة في الله من قبـل أن يولدوا فالاسلام لم يفرق بين الناس مهما اختلفت ألوانهم :

فمتى نعود الى الوئام .. ونتقي شر الصدود ؟
وتعود للاسلام عزتـه .. كمنصرم العهود ؟

ويختم القصيدة بدعوة حـارة مخلصة ، للتضامن الاسلامي والوحدة الاسلامية الشاملة :

هذي السدود أقامهـا الشيطان .. فاخترقوا السدود

ومن الطبيعي وشاعرنا الكبير يحمل هذه الروح العالية ويؤمن بوحدة العالم الاسلامي ، أن يحيّي المؤتمر الاسلامي الذي عقد بمكـة المكرمة في الخامس عشر من ذي الحجة ١٣٨٤ هـ وأن نشعر بكل كلمة في قصيدته وهي تتضوع بالطيب ، وتتألق بالفرحة . ويبـدأ القصيدة بستة أبيات حلوة ، يحيّي فيها هذا الوطن العظيم مهبط الوحي ومشرق النور ومنبع الرسالة ، يحيّي فيها هجير الوطن وظلاله ، وماءه وسرابـه ، والروض والبلبل ، والبيد والصخور والرمـال ، في بيتين منها فقط ، ويختص

بالأربعة الباقية ظباء الوطن اللاتي يسلبن عقل المتيم ويثرن أحلامه وتصوراته، اللاتي يبدين زينتهن دون تبرج ، ولكنهن فوق مستوى الشبهات :

لو يشترين .. لجاد كل مغامر   لينالهن بروحـــه وبمالـــه
لكنهن نفائس .. ما تقتنى   إلا إذا أفضى الهوى لرحاله

و (أفضى الهوى لرحاله) كناية لطيفة عن الروابط الشرعية، التي تتيح للمحب أن يسعد بحبيبه ، ثم يتحدث عن مفاخر الوطن وأمجاده : هذا الوطن الذي إذا افتخرت العروبة بأمجادها فانما تعنيه ، والذي شأى الأمم وبزها ، ويقول له :

عزت بك الاحساب قبل محمد   وأعـزك الاسلام بعد كماله
في الجاهلية كنت فخر رجالها   ورأى بك الاسلام فخر رجاله

وبعد أن تحدث عن معطيات الهدى والخير والحرية، التي منحتها بلادنا للكون — حسب تعبيره وقال :

يا موطن الحسب الرفيع .. وموطن العز المنيع .. ببأسه وخلاله
يا من أضاء الكون نور محمد .. في أرضه .. فسما به وبآله

أخذ يشيد بصحابة محمد (ص) وأبطال الاسلام ، وبخلال المروءة والنجدة والشهامة والشورى والتسامح التي عرفوا بها في التاريخ ، ثم التفت إلى الوفود التي حضرت إلى المؤتمر ، وعلى ملامح وجوهها المشرقة المتهللة ، عزائم أولئك الأبطال الميامين ، تلك الوفود التي هزتها صيحـــة أشبال العرين فجاءت اليه ، ولبت دعوته وتجمعت من كل مكان ، حيث بدت النذر المخيفة تهدد بالويل والثبور .

ولا عجب فليس لموطن يحميه أبناؤه الأحرار ، أن يتعثر في قيوده . فقد انبثق الضياء من هنا يا مواطن الأحـــرار فاغمر به الثغور والسهول والجبال :

نادیتهم .. فأتوا اليك فقل لهم .. كونوا بني الاسلام أسد رحاله

كونوا له كما يرجو فإنـكم أنتم اليوم أمله المرتجى ، ونحن في المقدمـــة دائماً لحماية هذا الدين ، وكل موحد منا يصونه قبل أن يصون أولاده وفلذات كبده . فنسبة العقيدة أكرم على المرء من نسب الدم ومن أواصر النشأة المشتركة .

فلقد شاء محمد صلى الله عليه وسلم هذا البناء ، ورفع أركانه بكلتا يديه ، فلماذا لا نسنده ونشده وليس من حوله الآن إلا من يغتبط بزلزلته وانهياره ، أجل ولكننا :

سننشد منه بقوة ، ونذودهم فالشر كل الشر في استفحاله
ولقد سعدت وقد رأيت بموطني نور النبوة ، مشرقاً بجماله
فأجابني الصيد الذين تجمعوا هو في مقالته وفي أفعاله

وكم تمنيت لو انتهت القصيدة بهذا البيت،فهو أقوى وأروع ختام،لأن قوله بعد ذلك :

وإذا أراد المرء كسب قضية فالفوز أول ما يمر ببالـــه

عفّى على الكثير من الانفعالات الحية ، التي خلفها المقطع السابق ، فما دام البعث المرجى قد انبثق ، فقد أصبح الموضوع أكـثر من قضية ، تحتاج الى ايحاءات النجاح والفوز ، لتأخذ طريقها المرسوم .

ونعود من المؤتمر الاسلامي في أم القرى ، الى رحاب طيبة الطيبة ، لنستمع الى الشاعر وهو يجرد من نفسه انساناً يخاطبه ويبثه شكواه :

قل للنبي محمد ان جئته .. في المسجد النبوي .. في أقداسه
والصاحبـــان بجنبه وعليهما .. من نوره ألقٌ ومن نبراسه

ويحفه الصيد الغطاريف الذين ينتمون للمجد في حياتهم ومماتهم ، والذين مشوا الى الغزوات ، كما يمشون الى الأعراس :

قل للرسول بأننا في محنـــة .. نكراء تستهدي بغير قياسه
قدحت بها الشرّ المبيد عصابة .. كانت من الاسلام شر أناسه

فتنكروا للدين الحنيف ، وتستروا خلف العروبة ، وثارت ثائرة الشاعر على هذه العصبة أو العصابة فصاح فيهم :

يا ويحكم ان العروبة قد زكت بالدين .. وهي تعد من حراسه

فهي التي أقامت صروحه،ونشرته في الآفاق ، وحملته الى أرجاء المعمورة، ولكنها لم تسد إلا به ، ولولاه لضلت في المهامه ، فهما قرينان لا يمكن أن ينفصلا . ويستمر الشاعر الكبير يناقش ويجادل ، ويقدم الحجج ، والبراهين تلو البراهين ، ليكشف أعداء الاسلام الذين يتسترون بدعوة العروبـــة وهي منهم براء ، حتى إذا انتهى من (مرافعته) التفت الى حيث يقف أبناء العروبـــة المخلصون وهالة الجلال تحفهم وتحيط بهم وقال لهم :

قولوا لكل مخادع متربص بكيانكم .. متحفز لمساسه

يعمل في الخفاء ، لهدم جدارنا ودك أسسه ، قولوا لـه لا تستخف بمعشر يضعون كل شيء في موضعه الصحيح ، ويكافئون كل عامل بما يستحق ، وأنتم أيها الاخوة ، لا تتركوا الاسلام في يـد كل غاشم أو ماجن يرفع الشعار باسم العروبة ، وهو يعمل لهدمها وتحطيمها .

أما أنت أيهـا الروض المدل بحسنه ، والمستعز بورده وبآسه ، فلن تضيرك مكائد هذه العصبة التي استخدمها الشيطان في تحقيق مآربه وأغراضه، فأين الثعلب من الأسد ؟ (والظبي من النسناس) ؟.. ويختم القصيـدة بقوله :

إنا لنأمـل أن يثوب لرشده   من ضل منا .. بعد طول شماسه
ولرب ضر كان بعض سهاده   يشفي لواعجنـا كبعض نعاسه
جمح الجواد وحين أتعبه السرى   نجحت يـد الترويض في اسلاسه
ليس الذي يطوي على ايقانـه   قلباً .. كمن يطوي على انجاسه

ثم نأتي إلى القصيدة الأخيرة في قسم (عروبة واسلام) وهي قصيدة (حرة ثارت) ، وحرة ثارت قصة فتاة أبصرت شاعرنا الكبير وهو ينطلق في حديثه كانطلاق الحمم ، ورفاقه (النشامى) يلتفون حواليـه مرهفين السمع لأحاديثه البارعة الرائعة ، فسألته وهي خجلى عن الأسباب التي دفعت قومها إلى ما هم فيه من فوضى وتناحر وعبودية وخلاف :

من كبار نصبوه مأتما .. وصغار رقصوا في المأتم
يا لنا من أمة قد شقيت .. ببنيها .. دون كل الأمم
كل يوم تتبنى صنماً .. ثم تشقى — ويحها — بالصنم

ثم قالت له : أية نار هجتها في الضرم أيها الملهب من أرواحنا ؟ وانطلقت تهدد الذين كانوا رجماً مسلطة على الأمة ، بأن يصلوا سعير

الرجم ، ثم التفتت إلى اخوتنا من أبنـــاء الشعب العربي الذين ارتضوا بالعبودية ، وصبروا على الخسف والهوان وقالت لهم :

كيف ترضون وأنتم عرب من دعاة السوء قطع الرحم
برأوا المجرم ثم اتهموا أبرياء الناس شر التهم

هؤلاء المنحرفون الذين يقضي الهوى في شرعهم ، أن تكون الرأس مكان القدم ، وان يستوي العلية والسفلة في القيمة والمنزلة،وسواء لديهم ان ضمنوا الولاية والتأييد ، الصفوة والحثالة من الناس .

واعجب الشاعر بوطنيتها وعروبتها وأخلاقها فحيا فيها هذه الروح ، وأشاد بثورتها على القيد،الذي تستطيع الأنامل الرخصة أن تكسره أحياناً، وقال لها :

يجب ألا يستسلم الأحرار،ما دمت انت اعجزت الأعداء أن تستسلمي، وقال لها ان المعركة تشعل نارها ، شفرة السيف وحد القلم ، ثم قال :

للثرى الغالي لأمجاد الألى ركزوا الأعلام فوق الأنجم
ولنا نحن ، فما يغلو الفدا يا فتاتي ، تحت ظل العلم
ما الذي نخشاه أو ما نرتجي حينما نحيا حيـــاة الرمم ؟
ان هذا قسمي مـا انثني دون حقي ، ان هذا قسمي

وفي قصيدة (لبنان) من قصائـد (أمم وشعوب) امتزجت مظاهر البطولة بمفاتن الجمال ، وأشاد الشاعر بدور لبنان في الحفاظ على اللغـــة العربية،وبالطبيعة اللبنانية الساحرة . ونلمح شاعرنا الفنان في بداية القصيدة وهو يقف مشدوهاً أمام خمائل لبنان وجداولها . لقد عرف الجداول من

قبل وعرف الخمائل . ولكن الشيء الذي يراه هنا يخالف كل ما رآه من قبل وعرفه :

لبنان ما هذي الخمائل ؟ لبنان ما هذي الجداول ؟

ان جمال هذا البيت – في رأيي يعود إلى انه يمثل انساناً شده ، وزاغ بصره ، ووقف مذهولاً يتساءل عن كنه ما يرى ويشاهد . وبعد أربعة أبيات استعرض فيها ألوان الحسن التي ملأت بالأحلام كل السهول والجبال ، انتقل إلى الشاطىء المجنون الذي يزخر (بالأوانس والحلائل) وهي نظرة جنسية ثاقبة – وحديث عن الصراع العنيف الذي يعتلج في صدره ، وهو على الشاطىء ، وعن الرجل الذي تلعب به المرأة كيف تشاء حين تلهو وتعبث . ويقول :

انى ليفتنني العذاب .. فما أفر إلى المعاقل
من كان عنصره اللهيب، فليس تطفئه المناهل

وينتقل إلى لبنان بلد الملاحم والأشاوس والفطاحل . فيبدأ بروائع الألحان التي لم توهب لغير أبنائه ثم عن الكماة الذين لم ترعهم صلصلة السلاسل ، ثم يعود إلى دور لبنان – كما قلنا – في الحفاظ على معالم الفصحى ، ويشيد بما قدم اعلامه من درر تزين مفرقها – مفرق الفصحى – وتصون كيانها واستأنف السبح مع مرائي الحسن والجمال ، مع لبنان الذي لن يزول ، لأنه قرين الخلود، والخلود لا يزول . ويقفز الشاعر في وثبة من وثبات الخيال – كما كان يعبر المغفور له الدكتور زكي مبارك – فيقول :

رنت السفوح إلى الجبال .. وهام تربك بالجنادل
الحسن يعشق بعضه .. بعضاً ويسخر بالعواذل

كم في الرياض الغن يا لبنان .. من فتن موائل
طابت بواكرها .. وطابت في خمائلها الأصائل
ما بين زقزقة الطيور .. وبين وشوشة الخمائل
والريح تعصف .. ثم تأذن للنسيم .. بأن يغازل
والسحب تنعشنا بطل .. ثم تدهمنا .. بوابل
وترى الضباب على الربوع .. كأنه أبهى الغلائل
وكأنما قمم الجبـال .. توشحت .. بيض الجدائل

صور حية ، متحركة ، وكأنها شريط سينمائي ، ينقل لنـــا المشهد والصوت و .. الرائحة ... أيضاً ، وتتسلل الى الشاعر الكبير حتى وهو في فيضان العاطفة والشعر ، روح الفلسفة والتساؤل :

هل كنت تعرف ما احتويت..فكنت تقنص بالحبائل؟
أم انت عن دنيا الجمال .. تضج في مغناك غافل ؟

وتنتهي القصيدة بـ :

ما أنت يا لبنان .. إلا الروح .. والدنيـا هياكل

فيثب الى الذاكرة — على اختلاف المنهج والطريقة — بيت ايليا أبو ماضي في قصيدة الشاعر في المساء :

فان لبنـــان ليس طوداً .. ولا بلاداً لكن سماء

أما في (اليابان) فقد استحوذ على الشاعر ، الاعجاب بهـذا الشعب المتوثب الناهض ، الذي استطاع بعد هزيمته في الحرب العالمية الثانية أن

يستعيد مكانته ، وان ينافس بمصنوعاته انتاج الدول التي سبقته في مضمار الحضارة والتقدم ، وأشاد بهذه الأمة التي لم تفخر بمحتدها وماضيها وانما بيومها الحاضر والتي يقول عنها :

علمت أهل الأرض ما مجدهم بأمسهم لكنه بالغـــد
والفخر ان فاخرت أهل الحجى بالفكر ، لا باللون والمولد

وبرر هزيمة اليابان ، بأنها نتجت عن (معجزة جاء بها المعتدي) ، وانها بسبب القنبلة الذريـــة التي كانت لهم بالمرصاد دون ان يعلموا ، ويشرف الشاعر على قمة انسانية عالية ، وهو يتحدث عن الذرة ، وعن المصير الرهيب الذي ينتظر البشرية على يديها :

مبيـــدة يرهب من ينتهي منها ، كما يرهب من يبتدي
هـدية الفكر الى عـــالم ضل عن الدرب ، فما يهتدي
يبيد من اعدائه ، جاهلاً بأنه يبحث عن مرقـــد

* * *

هذا سلاح عجب للورى أضله العـــادي عن المقصد
الآمن الغـــافل يقضي به حصداً ، ومن قاتل لم يحصد

فلعل العالم يستفيد من هذا الدرس ، قبل ان تذهب به أعاصير الفناء ، وبالرغم من أنه يقول لليابان بأنها لو كانت تعرف الذرة ، كما عرفهـا الغرب لما خضعت ، فأنه يتجه الى الأعماق الخيرة فيها ، ويقول :

لعل روح الحرب قد أخمدت فيك ، وروح السلم لم تخمد
الحرب بعد اليوم ، مجنونة تفتك بالمصلـــح والمفسد

ويحييها في ختام القصيدة من جديد ، ببيت رائع من أمثاله السائرة :

ما تنطفي الشعلة في أمـــة تحلم في اليوم ، بمجد الغد

ومن اليابان ينتقل الشاعر المحلق الى الجزيرة البريطانيـــة ، ليتحدث هذه المرة في بداية القصيدة عن الطبيعة وجمالها الساحر ، حيث السهل على غير ما نعهده في نضرته ، والروابي ازدانت بالتيجان والروض يشبه في بهجته وطيب زينته فردوس رضوان ، أما الأزهار التي كانت تتألق بمختلف الألوان ، فقد بدأ الشاعر يحصيها ، ولكن النسيم البارد الريان داعبه فألهاه ، وأثار به الذكريات والصبابات لأوطانه .

ثم يثور الشاعر الكبير ، على مرائي العهر التي شاهدها في الجزيرة البريطانية ، فليس الحسن المتحشم – كما يقول – كالحسن الذي يمرح وهو شبه عريان :

الناس لو برئوا من فسق أعينهم لما تحكم فيهم كل شيطان

فقد كان يسمع عن الخلق السامي في بريطانيا ، ولكنه ذهل حينما أبصر غير ما وصل الى سمعه ، ولو كان في جوار السين ، لا جوار المانش ، لما انكر ما رأى من مباذل العهر والفحش فقد رأى ... ورأى مما يطمع ويغوي :

لباسهن وما يبديه اطمعني ومشيهن وما يمليه أغواني

حتى ان الشاعر قام – على ما يبدو – بتجربة استطلاع واستكشاف : (حييته) ، ونتطلع في لهفة لنرى النتيجة ، فالمفروض أننا سنرى الاستجابة السريعة من احدى الغانيات ، ولكن العجيب ان تكون النتيجة

(فتوارى في غلالته) ... ولكنه موقف غير مؤسف على أية حال ، لأنها كانت مجرد تجربة فقط :

وكنت أجفوه لو لبى وحياني .

وترك الحسان العاريات ، أو شبــه العاريات غير مأسوف عليهن ، و (أفضى الهوى لرحاله) مع الشاعر الى الطبيعة وتناقضها الساحر هناك:

شتاؤكم قسوة هـــام الضباب بها وصيفكم رحمة .. طابت لهيمان

* * *

في وقدة الصيف أنفاس الربيع بها كأنمـــا تتجلى روح نيسان

وليس من المستغرب والشاعر الكبير من أبناء بلادنا العزيزة ومن مكـة المكرمة بالذات ، حيث تلتهب الجبال والسفوح والوديان في فصل الصيف، وتبتسم أو تبدو وكأنها تبتسم قليلاً في بداية الشتاء ، وفي الأسابيع القليلة التي نسميها بالربيع ، ليس من المستغرب أن يقول :

لم يعرف الناس إلا في جزيرتكم طبيعة سحرت بالعاصف الحاني

ومن المفاتن الطبيعية في أجمل صورها،ينتقل الشاعر الى المفاخر الحضارية، ويشيد بمزايا الطموح والذكاء في أبناء هذه الجزيرة القصية :

أو يعرف الناس إلا من مصانعكم .. ان البناء وسام المجد للباني
لولا العزيمة عشتم في جزيرتـكم .. لحرث مزرعة أو صيد حيتان
لكنكم جبتمو الدنيا .. بهمتكم .. وسدتموهـــا بدأب غير خوان
وما تزال بأيديـكم .. بقيتها .. وما يزال لديـكم بعض سلطان

ولكن اعجاب الشاعر ليس بالاعجاب الأعمى،الذي لا يبصر غير المحامد

والمزايا ، ولكنه اعجاب مبصر واع – فهو برغم اشادته بجهود ودأب الشعب البريطاني ، لم ينكص عن التنديد ببريطانيا وخديعتها ومراوغتها، وروحها الاستعمارية الخبيثة :

وثلة غيرها في القيد راسفة ، وسوف تكسره في هامة الجاني
لم تلق إلا على طول المدى جنفا ، ولم تنل من هواكم غير خسران

* * *

ألبستم الظلم أثواباً مموهة ، من المودة تخفي روح ثعبان

ويقول قبل هذا البيت :

لا تستثيروا من الأحرار نقمتهم ، فانهم حمم في جوف بركان

ثم يلتفت إلى البقية الباقية من الشعوب الرازحة تحت وطأة الاستعمار البريطاني ليستثير كرامتهم وعزتهم :

خضوعكم أيها الأحرار منقصة .. ما يرتضيها – اختياراً – غير عبدان
لقد شقيتم به دهراً وليس لكم .. من خير نعماه إلا شر حرمان
سبحان من غير الدنيا وعلمها .. ان الكرامة والاقدام صنوان

ومن هذا الجو العاصف المليء بالنذر ، المتفجر باللهب، ننتقل إلى قيثارة الحب والغزل ، عند شاعرنا الكبير . وأولى هذه القصائد قصيدة (حبي). فدعونا نتعرف على خصائص الحب عند الشاعر .

في هذه القصيدة ثنائية عجيبة ، لقلب متيم هائم ، يترك قياده في يد من يحب : يسحقه ، يحطمه ، يعبث به ، يتصرف به كما يشاء . ولكن هذه العبودية محدودة بفترة معينة من الزمن، انها الفترة التي يحتفظ

فيها حبيبه بنضرته وسحره وجماله،ولكن الويل له حينما يجتاز هذه المرحلة المتألقة من العمر ، انه سيتعرض لثورة عارمـــة تقذف به من حالق ، وسيواجه من محبه ، بأقسى ما يواجه الأحبة من غدر وعقوق وجفاء . ولا أملك غير العجب من هذا المحب المجنون في حبه ، الذي يستمرىء الذلة والهجران والقسوة من حبيبه ، ثم يقول له بكل صراحة : اصنع ما بدا لك ، ما دمت تتحلى بالحسن والرواء، أما بعد ذلك فـ :

لا تؤمل مني الوفاء على الدهر .. فما ثم في الحياة وفاء
كيف ترجو ما لا تنيل كلانا .. في تحليه بالوفاء سواء
انما ميعة الشباب رداء .. فاغتنمها فقد يحول الرداء

وتأتي هذه (التصريحات) بعد أن قال له :

أم تراني متيماً ذاهب اللب

إلى أن يقول :

لا تحاول فدتك نفسي اشفاقاً .. وحاول تبرماً .. وجفولا

وقال له في المقطع السابق :

أنا أهواك فلأعش أمد الدهر شجياً ، فرب شجو أفادا
فاستبح ما تشاء مني ودع لي ، في هواك الضنى ودع لي السهادا
واهتضمني فقد أراك إذا لم ، تهتضمني ، أضعت في الرشادا
واعتسف فالحنو في منطق الحب فساد ، وما أريد الفسادا
أتراني أنا الغبين ؟ فزدني ، باختياري غبناً وزدني اضطهادا

وكل مقاطع القصيدة تؤكد هذا المعنى والاتجاه ، ما عدا المقطع الذي يقول فيه :

أم تراني مغامراً ناهض الحب ، وديعاً ورامه ، جبارا
ان أكن ذلك المغامر فاحذرني ، فضعفي يزيدني استكبارا

ولست أشك في صدق هذا المقطع ، وان ظهر لي انه مقحم بين بقية مقاطع القصيدة لأنه ارهاص بالموقف الجديد الذي سيقفه الشاعر ، بعد أن يصوّح الغصن المخضوضر ، ويغيض النبع الدفاق،ولكن القصيدة باتجاهها العاطفي المزدوج ، تؤكد الثنائية التي سبق ان ألمعنا اليها ، وفي بعض التساؤلات التي وردت فيها ، اثبات لمفتاح شخصية الشاعر ، التي قلنا عنه انه : (نفس تبحث عن نورها) . ولعل جذور هذه(السادية) – اذا صحت النظريات النفسية – تعود إلى وقت مبكر من طفولة الشاعر ، وإلى ظروف معينة عاشها وهو لا يزال صغير السن ، غض الاهاب .

وفي القصيدة الثانية (بين الكرامة والحسن) نبصر الشاعر وهو يقف على أطلال حسن قد ذهبت دولته ، فتنمر وثأر وأخذ يبصق عليه ، ويقذفه بكل ما تصل اليه يده ، ليس ذلك إلا لأن المسكين فقد حسنه الأول ورواءه القديم :

يا من بسطوته استباح ، ومن بقسوته استحلا
لجهلت أقدار الرجال ، فسمتها عسفاً وذلا
هلا ارعويت وأنت تذبل ، وانتهيت وأنت تبلى

.. هكذا ، بعد ان قال له حينما كان يتشح بالصبا والجمال :

واهتضمني فقد أراك إذا لم ، تهتضمني أضعت في الرشادا

وبالرغم من معرفة الشاعر لهذه الحقيقة، فقد أخذ يعاتبه عتاباً مريراً :

يا من لقيت على وفائي من هواه جوى ومطلا
ومن استعز به الفؤاد ، فلم يعز به وذلا
ومن ابتسمت له فقطّب ، واهتديت به ، فضلا
ومن احتميت به فطوّح ، وارتبطت به ، فحلا

ويندد به في قسوة بالغة :

ما ثم في هذي الحياة ملاحة ، الا ستبلى
ولى الربيع ، ولن يعود ، فلا تسلني كيف ولى ؟
قد كنت تلهو بالفحول ، ولم تكن في اللهو فحلا
أنا لو عرفت ندامة ، تجديك .. لم اسمعك عذلا

مما يجعلنا نعتقد بأن هذا الموقف الجديد ، كان مناورة من الشاعر حتى يتخلص من الحبيب الذي لم يعد فيه ما يغريه ، ويشده اليه، بدليل انه نظم قصيدة أخرى على لسان الحبيبة تقول له فيها : (لست أنا الغادرة) :

ما كنت غداراً ولكني .. لمحت عليك .. غدرا

وهو ما نكاد نجزم به ، بعد ان لاحظ الشاعر ، بداية الذبول على حبيبته ، ولاحظ في نفس الوقت أنها أخذت تحوطه باهتمامها وحبها أكثر فأكثر نتيجة لشعورها العميق بأن شمسها بدأت تنحدر الى المغيب ، فشعر بالضيق والملال والرغبة في الهرب، وفي القصيدة ألوان من العاطفة النسائية المتدفقة وتذكير بما كان بينها وبين حبيبها من صبوات وأسمار وأشواق .

ولعل مما عاتب به الشاعر حبيبته أو حبيبه حسب سياق القصيدة ، ناحية معينة هي :

قد كنت تلهو بالفحول .. ولم تكن في اللهو فحلا

فكان الجواب :

كم آهـة لك عانقتها آهـة .. بحشاي حرى
ومدامع جمدت فسالت في الضلوع جوى وجمرا
كانت ترقرقهـا المشاعر .. ثم تحبسهن .. قسرا
لا خشية مما نحاذر .. أن يذيع وان يضرا
ان العفـاف يقوم دون تحكم الشهوات عذرا
من كان عذري الصبابة .. لم يضق بالنزر صدرا

وذكريات مثيرة على ضفاف (بردى) ، تحاول ان تعيده اليها وإلى أحلامها، ليهدأ الحبيب الثائر الذي عصف بها وبحبها ، وتخشى — كأنثى — ان يكون هـذا السلاح لم يعد له مفعول ، وتتشبث بأطياف الحب ، وترتمي على بقاياه ، تمسك بها قبل ان يجرفها التيار ، في ضراعة وذلة ومسكنة :

وذكرت أن البدر .. أروع في السنى وأشد بهرا
هل كنت تحسبني أغار عليك .. ان أحببت بدرا؟
والروض أندى في العبير .. فلست أطيب منه نشرا
والروض أنضر في الربيع .. فأين حسني منه نضرا؟
والظبي يفـتن بالتثني .. ان تلفت واسبطرا
لا ، لست ما دمت الجحود المستهين عليك غيرى

وتقول له :

قلبي – ودع عنك الجمال – أجل في الميزان قدرا

وتعود مرة أخرى تحاول أن توحي اليه بأنه لا يزال يحبها :

لو كنت أعرفك الخؤون ، كفرت بالأحياء كفرا
كن لي – كما أنا لا شريك فما اطيق الشرب سؤرا

وفي اطار هذه المزاج الفني الظامىء للجمال ، المتعطش للفتنة، نستطيع أن نفسر وجود هذا العدد الكبير من (الحبيبات) في حياة الشاعر ، وعدم استقرار عاطفته على حبيبة معينة ، نستطيع أن نميزها عن بقيـــة بنات حواء بصفات مستقلة ، أو بمزايا خاصة . وفي قصيدة نهد ورعد، نتلمس أحد الشواهد على هذا المزاج المستوعب لكافــة ضروب الحسن وألوان الجمال . وهي قصيدة نظمها في لبنان ، يناقش فيهـــا عدداً من المواضيع ويستطرد في الموضوع الواحد حتى لينسى أو ننسى نحن الموضوع الأساسي للتجربة الشعرية عنده . يبدأها بالحديث عن عجبـــه من الظبي النفور الذي يطيح بالليث الهصور ، ويرسم بعض الصور الجميلة لهـــذه السلطة الجبارة ، ثم يخاطب هذا الظبي – فيما يبدو – فيقول :

يا ربة الروح الشفيف ، وربة الجسد الطهور

أنت الروض بكل ما فيه من نفح العطور ، وأفواف الربيع وألحان الطيور . ويقول بعد ذلك :

لا تعجبي أنا نراك ، جبلت من ارج ونور
فلأنت أروع في السنا ، منها ، واضوع في العبير
العطر أنت أريجه ، والنور أنت له سفور

ويدير ظهره — دون استئذان — من هذا النور المتجسد ، والارج المتضوع في صورة حسناء ليناقش قضايا الجمال مع مجموعـة من البدور الأخرى التي لا يطيب العيش إلا بها، ليتساءل عن بواعث الفتنة والسحر والنضرة ، هل هي الشفاه ؟ أم العيون ؟ أم القدود ؟ أم الخصور ؟ تلك النعم التي تطالعنا بها الحياة فما نخشى المصير .

ويعود فيقول انه لو كان أسير هذا الجمال لما طمـع في الفكاك ؟ ويثير الشاعر بعض القضايا الفكرية و (يسرح) معها :

قد ارتضي القيد الصغير .. لأحطم القيد الكبير
حريتي في أن أسير .. فما يكبلني — المسير
فلقد نذوب من الظلال .. وما نذوب من الحرور
يا شقوة الأكواخ .. الا من رفاهيـة القصور !

وتثور ثائرة الشاعر فيضرب بعصاه يمنة ويسرة ، ونحاول ان نعرف الهدف الحقيقي لثورته تلك ، ولكننا ونحن في قلب البركان ، لا نسمع أو نرى الا العصا وهي تضرب هنا وهناك :

يا خمرة شقيت بهـا .. أرواحنا أبد الدهور
ولى النشاط بشربها — عنا .. وحـاق بنا الفتور
عصروك من دمنا فبئس شرابنا هـذا العصير

ما هي هذه الخمرة ؟ هل هي الجنس ؟ هل هي الحب ؟ هل هي المدنية ؟ أم انها الجمال ؟

(١) قالوا لنا هـذا الطهور .. فكيف دنسنا الطهور
(٢) ان الفضيلة حين تمتهن الكرامـة كالفجور

(٣) ليس الكفور هو المدافع .. انما الباغي الكفور

(٤) ويح النفوس من الغرور اذا تملكهـا الغرور

ولكن بقية الأبيات تندد بالطيش والتأله والنفور والغرور ، بالنسبة للحسن والجمال ، ثم يتكشف غبار المعركة ، فنجد أنفسنا عـلى مواقع معركة جديدة ، معركة وطنية فيما يبدو لي :

ويح الصقور من البغـاث اذا تجبرت الصقور
يتربصون بهـا الدوائر ، والدوائر قد تدور

فقد يكون الردى في نسيم الصبا ، والمتعة والشفاء في الزعزع النكباء .. وقد تتحول الأراضي الخصبة مع الايام الى قفار جرداء ، ولكنه :

ليس المخافت في الطلاب .. كصاحب الصوت الجهير
ثم : إنا لنخشى العقم .. حـين يكون رائدنا المصير

وتستغرق أوصاف هذا الرائد الحصور الذي (لا ينجب) ستة أبيات تبدأ بعدها صرخات الاستشارة :

ان الصبور على الهوان .. بداره .. بئس الصبور
قد يخطيء الموت الجسور .. ويدرك الموت الحذور
ما دام في الموت الحياة .. فما الذي يخشى الجسور
ان الذي بذر الشرور لنـا .. تسمم بالشرور

وندرك بعد لأي ، ان موقع المعركة لبنان ، وان هدفها هو الاستعمار الغاشم الذي حمل الينا مع ما حمـل من شرور وآثام ، الانحلال والتفسخ

والحرية الزائفة ، وحينما أفرغ الشاعر شحنته الوطنية المدمرة،على مخلفات الاستعمار وبقاياه في بلادنا ، عاد الى موضوعه الرئيسي عن حرية المرأة. ورأيه في هذه الحرية يتفق مع رأيـي الى أبعد الحدود . وقد قارن بينها في حفاظها على كرامته ، وبـين انطلاقتها في طريقها الجديد ، الذي يحفل بالمزالق والمخاطر :

ان الاناث اذا كرمن .. يُقدْن للمجد الذكور

فلقد كنّ بالأمس ، وقبل أن يبرزن اليوم — كن ربات الخدور ، فعفن الخدور لأنها هي الجمود في رأيهن . وثار الشاعر من جديد :

أفنحن نرضى أن نكون — على رجولتنا — الجسور
كلا ، فما نحن الجسور ، ولن نهادن في العبور
ان الكرامة حين تغضب ، سوف تقتلع الجذور
ولرب من ضحك العشيّ ، بكى إذا شهد البكور!

وأضع أكثر من علامة استفهام ، وأنا أقرأ ختام القصيدة :

قل للبدور ، ولو غضبن ، بأننا عفنا البدور
هذي القلوب الخافقات ، بحبهن — غدت صخور

ولماذا ؟ كان المفروض أن تكون الاجابة : لأنني لا أستطيع الصبر على هذا الوضع المقلوب ولكن الشاعر يقول ان الموطن الغالي هو الذي دعا هذه القلوب فاستجابت للحضور . ووطنية شاعرنا العظيم وعروبته واسلامه — كما سبق أن أكدنا — قضية لا تحتاج إلى جدال .

ونعيش،لحسن الحظ مع احدى قصائد الشاعر القديمة نسبياً فيما أعتقد

هي قصيدة (اذكريني) . وهذه القصيدة نفحة من نفحات العاطفة العبقة المترنحة ، لا يواجهنا فيها الأستاذ الشاعر بالمنطق أو الحكمة ، ولكنه ينطلق فيها مع مشاعره وأحلامه وخيالاته :

أذكريني كلما الليل سجا   واذكريني كلما الصبح استنار
انني ألقاك في جنح الدجى   مثلما ألقاك في ضوء النهار

ونحس بصدق الاحساس وهو يقول :

انني ألقاك في نفح الندى   مثلما ألقاك في لفح الهجير
ولقد يطربني منك الصدى   ولقد يسكرني منك العبير

وحين يقول :

أنت دنياي فلو أقصيتني   عنك أرضتني سمادير الخيال

وان كنا نلتقي بلمحات من (السادية) في هذه القصيدة الناعمة الحلوة ، وردت مع أبيات سحبت عليها عذوبتها الآسرة ، حتى جعلتها موقفاً طبيعياً من مواقف القلب البشري :

أنت دنياي فما عدت أريد   غير ما تلهمني تلك العيون
وشجوني ليس لي عنها محيد   فأنا أقتات من هذي الشجون

* * *

كيف أشكوها وقد كان الجوى   هو فردوسي ولو خفت اللهيب ؟

وان كان يقول لها بعد ذلك :

لست أهواك جمالاً عاتياً   يلتقي الفردوس فيه بالسعير
انني أهواك لحناً ساجياً   وشذى يملأ روحي بالعبير

وما أروع الشاعر الكبير يقول :

رب ذكرى حفلت بالمتــع أو أسالت بمآسيهـــا المآقي
انها – في حالتيها – مطمعي منك .. حتى يكتب الله التلاقي

***

دمر الحب حياة الماجنين وبنى أمجاد من صانوا حمـــاه
أنت . لو انك يومـاً تفخرين كان من فخرك . قلبي ورضاه

وأحيل القارىء الى الديوان ، ليقرأ هذه القصيدة الممتعة هناك ، قبل ان يطول بنا التعليق والاستعراض ونسابق الزمن ، بضع سنوات الى الأمام، لنلتقي باحدى شوامخه الرائعة : (المركب الوعر) مع تلك الحسناء التي يقول لها :

فلا تبطري بالحسن . يا رب غادة تمنت مشيبي بعد فوت شبابي !

انها حسناء تحجبت عنه بألف حجاب ، فخلفت قلبه رهن ألف عذاب. حتى لقد اغراه حجابها الذي طلب منهـــا ان ترفعه ، بهتك حجابه ، ووقف يطرق الأبواب ، التي أدمى بنانه منها « وخز حراب » ، ولكن هـــذه الحسناء التي أبطرها الحسن ، وتمنعت عنه ، عادت فألقت بين قدميه وهو سائر على الطريق بوردة ، وليس من المعقول ان يطأها بقدمه وان أصلته صاحبتها العـــذاب ، فتناولها وعليها بقية من تراب ، حتى ارتوى من حسنها ، وما عليه من التراب ، انه استروح فيها عبق حبيبته ورياها ، وليس يضيرها التراب ، وقد أمسكت بها حسناؤه فـــترة من الوقت ، انـــه يرحب حتى بالسيف : حتى بالردى ، ما دام من يد الحبيب .

ولكن هذا التصرف بعث الغصة والشكوك في نفسه،فهو رجل صريح

يكره التستّر والتصنع حتى في الحب ، وتأبى كرامتـــه ان يكون ملك يديها ، تدنيه حين تشاء ، وتجتويه حين تريد :

لئن حسبت هذا فما أكذب المنى عليها وأشقاها بصدق حسابي

ولكنها كانت أكثر حناناً ورحمة ، فقـــد اتاه (غلام) يتستّر في دجى الليل ، يسائل عنه جيرته وصحابه ، الى ان رآه بعد ان استدل عليه ، فأبرقت عيونه بنظرات خاصة ، ودون ان يتكلم أخرج من تحت ثيابه رسالة ، ما أن سلمها اليه ، حتى فر كبرق أو ومض شهاب وكانت رسالة نسائية معطرة ، أذاب شذاها كل حكمته ورصانتـــه ، وأذهب نقمته وعتابه وكان تصرفها عجباً في كلتا حالتيها من الوصل والقطيعة ، حتى انه ليشتهي حينما يبصرها كل يوم ، ان يحظى بيوم لا يراها فيه ، لينعم بالحرمان وما فيه من مواجد وأشواق ، ويمر أحياناً العـام الكامل دون ان يلتقيا فيكون هذا العام ، عام الخسران والهلاك ويزدهي الشاعر المرموق بانتصاراته في دنيا الحب والصبابة ، بالرغم من الهالة التي تملأ رأسه من الشيب فقد ركب عباب البحر حتى ألفه ، ولكن خضم الحب الذي خاضه ، كان أعمق وأوسع من البحر ، حتى انه أعجزه خوضه، وسار الحب في ركابه ، بعد ان تمنع وتأبى عليه ، فهو لا يرضى بغير اللباب ، وليس كالمستضعفين الذين يستجدون القشور ... الى آخر الصور الجميلة التي حفلت بها القصيدة . وفي (زجاجــة العطر) صورة أخرى للحسناء ، وقد قدمتها اليه وهي خجلى : كأن العطر شي قليل ..

ومن أبلغ الأبيات :

كنا نظن الجنس هذا بلا عقل . فأخطأنا . وكنت الدليل

فهي من احدى النظرات العميقة ، إلى حقيقة امكانات الجنس الآخر

– كما يقولون – والواقع انني شقيت كثيراً بهذا الرأي،وكتبت في أكثر من مناسبة ، عن الفروق الواسعة التي تجعل من الاجحاف مقارنة المرأة بالرجل في أي ميدان من ميادين المعرفة والثقافة والخدمة الانسانية وتلقيت رسائل كثيرة يؤيد معظمها هذه الفكرة . والطريف أن كـل الرسائل المعارضة ، وصلتني من بنات حواء ، اللواتي يعتقدن بأنهن يتساوين مع الرجال في كل شيء . وقد كان الشاعر الكبير من أنصار الفكرة التي أشرت اليها ، بل انه كان متطرفاً الى أبعد حد ، كما يبدو من قوله : (كنا نظن الجنس هذا – بلا عقل) .. ولو عرفت حواء ان قيمتها الحقيقيـة في أن تقف عنـد حدود القدرات الطبيعيــة التي وهبت لها ، وحرصت على أن تؤديها كما يجب لضمنت لنفسها الهدوء والراحة والاستقرار.

بقي أن أشير الى ان الشاعر احتفظ بهذه الزجاجة في مكتبه،ثم نزع قلبـه من صدره ، وقال له : اطفىء غليلك من عطرها ، ثم استدرك وقال : لا بل بما نالني من فضلها بعد الشقاء الطويل :

ضمخته بالعطر حتى انتشى وعز بالحب وكان الذليل

وانه خاف ان يتضمخ به ، فيعرف الحاسد حقيقـة ما حدث ، أو ينشق الناس شذاه فلا يسلم من القال والقيـل . وقصيدة (كلير) من القصائد التي أحببتها واعجبت بها الى حد كبير ، فهي من أروع شعر الديوان بل انها من أجمل الشعر الغنائي ، في أدب العربية .

ونكتفي هنا بالمقطع الأول منها ، راجين أن يجــد القارىء فيها ، زاداً لروحه وعاطفته أي زاد :

كلير لولاك ما همنا بمؤتلق من الوجوه ولا حال من الصور
ولا اغتربنا فما نرتد من سفر الا ونحن من الذكرى على سفر

ما نستريح ولا نقضي لبانتنا ففيمَ نطوي الدجى طيا بلا ضجر
تبارك الحسن نرضى من خلائقه بالصفو ، مثل رضانا منه بالكدر
اذا وردنا فان الورد غايتنا وان صدرنا ، فما نشكو من الصدر

اننا نشعر على نغمات هذه الموسيقى الهادئة الصافية، بالقلب الذي يتمزق في صمت ، والعينين اللتين تتطلعان في نهم متعب متهالك ، والروح التي تتوجع في شجن وتئن في هدوء واستسلام وبالصرخات التي لا تكاد ترتفع حتى ترتد الى دموع وآهات . وما أروعه حين يقول :

كلير عشت بلا حب ولا أمل كالقفر عاش بلا ماء ولا شجر
أنا اليتيم - وما تحصى عشيرته - لكنني بينهم عود بلا وتر
كالدوح من حوله الأشجار مثمرة ويشتهي - دون جدوى - نعمة الثمر
يكاد يحسبني من ليس يعرفني من التبلد تمثالاً من الحجر

ومن هذه الرائعة ننتقل الى رائعة أخرى ، استوحاها أيضاً من خارج الحدود . وفي الواقع انني لم آسف على شيء كما أسفت على عدم وضع تاريخ النظم على كل قصيدة من قصائـد الديوان . ولو وضع على كل قصيدة تاريخ نظمها ومكانه، لاستطعنا ان نسبر أغوار شاعرنا الكبير ، وان نتحدث حديث اليقين لا حديث الظن، فتاريخ النشر - فيما أعتقد - ليس يكفي في هذا المجال، وهو معرض للتقديم والتأخير على أية حال، وإلا فمن هي كلير التي تعرف عليها وهو في خريف العمر ، وغناها تلك الأغنية العذبة ، هل هي صاحبته التي زار اسرتها في حي مايفير بانجلترا ؟ لقد نشرت قصيدة كلير في ٨٤/٩/١٠ ونشرت قصيدة حي مايفير قبلها بسنتين تقريباً ، فهل هما عن انسانة واحدة ؟ ان قصيدة كلير تشير ، الى أنها نظمت بعد ان تفرقت السبل بين الفتاة وشاعرها :

قد كنت قبل رحيلي عنه في جذل فصرت بعد رحيلي عنه في سقر

وفي القصيدتين حب روحي ، عميق ، شفاف ، غير أن قصيدة حي مايفير ، فيها محاولات فذة للاغراء واثارة الاعجاب :

لا تحفلوا بالدمى واحفلن بي بشرا من الأعاجيب ألحاني وتصويري
كأنني هالــة للنور .. تعصمه من ظلمة الليل أو دهم الأعاصير
شدت بشعري الصحارى وهي مجدبة فأخصبت وارتوت قبل النواعير

وفيها أوصاف في غاية الروعة :

اغن تحسبه من فرط رقتــه طيفاً تلفع فيــه العطر بالنور
رأيتــه فتبدت لي مخائله كأنها أفق في عــين مبهور

هكذا مخائله ، لا ملامحه ، لأنه كان يرنو اليها بعيني مبهور يتطلع الى الافق ، وهذا من الأعاجيب وكان يرنو الى هذا الحسن الفذ النادر :

بألف باصرة من كل جارحــة أبصرته مثل موسى في حمى الطور

وكما يعتقد المخمور — عادة — بأنه في غاية الصحو ، ولكن الناس هم السكارى ، يقول شاعرنا الكبير :

وكنت في الحب مخموراً بمظهره وانمــا اليوم حبي غير مخمور
بكل صحوي وتبصيري شغفت به وقد جزاني على صحوي وتبصيري

بينما نلمح في القصيدة الأخرى ، الشعور بالضعف والشيخوخة واليأس :

صبوت والشيب ينهاني .. فيفجعه اني غدوت بلا سمع ولا بصر
لم أعصه غير اني كنت أسمعــه كأنما هو اغراء من القــدر

كلير غاض نميري بعد ما رويت   من عذبه فتيات البدو والحضر

***

كلير ما أضيع الباكي على دنف   لاه .. وما أهون العاني على كبر
ربيـــع باهلة أزكى بنضرته   من الخريف الذي يأتيك من مضر !

والبيت الأخير يذكرنا بالبيت الذي جاء في قصيدته : (قدر ورجل) :

رب رومي تدين له   مهج السادات من مضره

وهي مع الأسف ، من القصائد التي نظمها بعد ان (قلمت أظفاره (وعدا الدهر على أنيابه) ، فقد قال فيها :

نالني منه على كبر   ما ينال المرء من كبره

وهذا ما يجعلني أذكر الشاعر ، بأن تاريخنا الأدبي يطالبه،بأن ينشر كل شعره . فهناك حلقات كثيرة مفقودة من قصة عواطفه ومشاعره ، نتجت عن عدم نشره لكل شعره العاطفي . فهـــذا الديوان الذي نقرأه اليوم لا يضم غير القليل مما نظم ، بـل انه — في اعتقادي — لا يضم غير القصائد التي نظمها في السنين الخمس أو الست الأخيرة .

نعود الى قصيدة (كلير) فنقول انها لم تحفل بالأوصاف الحسية أو المعنوية ، لكنها كانت توجعاً وشكوى ومناجاة ، وكانت بالفعل دليل شيخوخة عاطفية ، جعلته يقنع بالذكريات وحدها :

كلير ان فرقت ما بيننا سبل   فسوف يجمعنا مستعذب الذكر

وليس ذلك بمستغرب ، لأنه :

ماذا يريد هوى يطوي شبيبته ، من الشبيبة الا قسوة العبر ؟
شتان ما بين ذاوي العمر محتضر ، وبين نضر فتي غير محتضر

وصدق الشاعر الكبير ، فهذا هو منطق المرأة :

ربيع باهلة أزكى بنضرته ، من الخريف الذي يأتيك من مضر

ويا ويلتاه،لأولئك الذين يحسون بحاجتهم الى التزود من ينابيع الجمال، ويحسون في نفس الوقت بأن القافلة قد فاتتهم ، وانه لم يعد لهم أمل في اللقاء ، الا على مرابع الذكريات .

ولولا ما نعرف عن غيرة صاحب الديوان وعروبته واسلامه وعذريته في الحب وتركيزه على هذه النواحي في أكثر من قصيدة ، لقلنا ان القصيدة الآتية : (مذبح الحرية) ، لون آخر من نتائج تقدم السن ، والشعور بالانحطاط الجسدي،وان بدأت بملامح من فورة الشباب وعنفوانه العارم وذلك حينما رآها الشاعر — رأى الأنثى المتبرجة شبه العارية — فغض بصره وهو خائب محزون ، لأن الذي كان يحمله على التطلع واللهفة ، هو الفتن المخبوءة البعيدة عن العيون . ولكن الفتنة العصماء حينما تتكشف تفقد أسرارها ، وتفقد أسلحتها الجميلة . ثم انتقل الشاعر الى الموضوع الأساسي للقصيدة ، فتحدث بلهجة الأب الحاني الشفوق ، حينما (ينصح) ابنته الطائشة (المخفوفة) فيقول لها : لو تبصرين اليوم ، الغد المفجع الذي ينتظرك ، لرأت عيناك وجه المستقبل المرهوب الذي تنحدرين اليه ، ويقول :

صوني عفافك ، رب تفريط به يلقيك في حمأ الهوى المسنون
تتخبطين به ، فما من مسعف لك حينما يلقيك وسط أتون

وسوف تتحملين وحدك كل التبعات ، ويتنكر لك الذئب بعد أن يذهب بالأسلاب ، ويلقي عليك وحدك مسؤولية ما حدث .

ويدعوها الى ان تسير على النهج القويم ، وألا تخفض رأسها لأولئك العابثين الذين يتعرضون للحرمات في سبيل اقتناص فرائسهم ، ويحتجون بأنك أنت وأشباهك قد أثرت لهفتهم وجنونهم ، وانه لولا تبرجك لما طمع فيك ، بدليل انه لم يتعرض لشقيقتك المصونة التي تحافظ على تقاها وعفافها ، ويقول :

فتجملي لكن بدون خلاعة وتحرري لكن بدون مجون

وتمسكي بتقاليدنا الحميدة ، فقد منحتك الحرية المضمونة الأهداف . وينتظر الشاعر في مثل هذا الموقف النبيل أن يرمى « بالرجعية » ، وبأنه يهذي بدعوتها قبل اقتراب منونه ، ولكن من يدري :

فلعلني متحرر ، ولعلهم ظلموا التحرر حينما اتهموني

ويؤكد لها الشاعر بعد ذلك ، انه لا يرجو من نوالها الا ما يرجوه شادي الطير فوق الغصون ولذلك فانه :

لك في البكور يراعتي وملاحمي ولك الغداة ربابتي ولحوني

وبذلك تنتهي القصيدة بالومضات الشعرية المتدفقة ، كما بدأت بها .

ولكن هذا الاحساس العميق ، المتكرر بالشيخوخة ، يعمل عمله في نفس الشاعر ، فيقف حيث وقف به السن مع الحب ومع الحسان ، فيرسم لنا بريشته الساحرة المبدعة هذا الموقف الجديد ، في قصيدة : (الحب الأخير) وهي قصة فتاة أحبها بروح الشيوخ ، الشيوخ الذين

يزداد تمسكهم بالحياة كلما شعروا بالتحولات الجديـدة التي طرأت على كيانهم :

رآها فلم يملك فؤاداً ولا لبا   كأن الذي من قبلها لم يكن حبا

وهو بالرغـم من انه يعـــرف ان في الحسن مصرعه ، فانه إذا ما الحسن ألقى شباكه ، سار اليها جائعاً يلقط الحب ، ويستمرىء المصرع العذب .

رآها ، وانهمرت الذكريات الحلوة ، حينما كان الحسان يتلهفن عليه فاذا لاح في الدرب تطلعن نحوه ، ويسرن خلفه حين يسير . رآها وقد عاد بعد أن كان ينتهب الهوى ، وهو يرتضي التعلة بالوعد ، ويرتضي منها التأبـي حينما تتأبـى .

رآها بعد أن :

تخاضع من بعد الترفع واستوى   مهيضاً ، فلا سلماً أطاق ولا حربا
تقول له في سطوة الحسن كلما   أتاها : لقد أذللت في عزه المشيبا

وأين منه الرشد وقد عصبت عينيه بسحرها وجمالها ؟ انه يغضي في استسلام وخضوع ، فهذا مصيره بعد أن كان يصبي الحسان ، دون أن ينجرف في حبه وصبابته .

ويتذكر ماضيه بكل غزواته ، وانتصاراته ، ويقارن ما هو فيه الآن بذلك الماضي ، ويتصورها وهي تعرف مشاعره وأحاسيسه ولكنها تستهتر به ، وتستمر في لهوها البريء وهي تتصور انها كسبت المعركة ، مع انها لم تعرف حقيقة شاعرنا الكبير :

فهل هي تدري،ان خلف غرورها   فواجع ، لو تدري بها امتلأت رعبا

ويهتف بها :

أطلي عليه من سمائك انــه فؤاد تود الشهب .. لو عشق الشهبا
له ريشة يعنو لها الخلد لو جرت على صخرة صماء .. انبتت العشبا
أبيحي لها هذي المفاتن إنهــا إذا لامستها .. لم تعد للبلى نهبا

ولكنها استعصت عليه ، فازدادت أشواقه ومواجده .. فقال لها :

لقد كان ذنبي في هواك مضاعفاً فقد صرت من هذا الهوى اعشق الذنبا
اذا لم تكن رباً لقلبك لم تجـد له غير من يشقي خواجه ، ربا

وحدثت المعجزة ، فجاءت اليه بعد الصدود: مهيضة ، تسحب خطاها، ولكن هذه التجربة الأخيرة في ميادين الحب، كفكفت من غلوائه، وأعادته الى رشده ، وزادته شعوراً بشيخوخته ، بالاضافة الى انـه هو نفسه ، بدأ يحس باليأس يملأ جوانحه وعاف المدامة والصحب :

سلوت وقد شاخت أحاسيس نابض فلست أحس اليوم من نبضه وجبا

* * *

ولو أنني أقوى عليـه .. لخفته وآثرت من أهواله البعد لا القربا

فصرخ بها في يأس وأسى :

ذريني ، ذري هذا الحطام فإنه يكاد لطول الكرب يستعذب الكربا
أمامك من دنياك ما ترتجينــه لعقباك ، لكني غدوت بلا عقبى

وهكذا تنتهي هــذه المجموعة أجمل نهاية ، فتلك هي نهاية الحي

والأحياء ، غير أنني أعود فأرجو أن يعمل الشاعر على نشر بقية قصائده التي تتحدث عن غزواته السابقة وتصفها ، ليستطيع الناقد ان يستكمل حلقات الدراسة بالنسبة لشعره في الغزل والنسيب ، كما أنني أشير هنا الى أنني أعلل أو أفسر وجود أكثر من حبيبة لدى شاعرنا الكبير ، بما سبق ان ذكرته ، من أن مفتاح شخصيته ، هو : (نفس تبحث عن نورها) ، فهو موكل بالحسن يتبعه حيث سار ، لأنه طلعة يبحث عن المثل العليا في الحب والفلسفة والجمال ، وانسان يتمتع بهذا المزاج الفني ، يعيش عادة كربان السفينة ، لا يطيب له المقام في شاطىء ، حتى ينصب أشرعته للاقلاع الى شاطىء آخر .

* * *

نأتي بعد ذلك الى القصائد التي عنونها باسم (في موكب الحياة) وهي قصائد كان من الممكن أن تدرج مع مثيلاتها من القصائد المعنونة باسم (من أغوار النفس) ففيها حيرة وغموض وفلسفة وتساؤلات . أولى هذه القصائد ، قصيدة (جحيم النفس) وهي قصيدة في غاية العمق وبعد الغور ، انها سبحة من سبحات الخيال وانطلاقة من انطلاقات الفكر . ورحلة تشبه رحلة دانتي أو أبي العلاء المعري ولكنها تصور حالة واحدة من حالات النفس ، التي تثقلها آثامها ، ويتململ ضميرها تحت كابوس الاثم والرجس . قصة انسان أخذ طريقه الى الجحيم ، وهو يشعر بالعزة والخيلاء فتاريخه حافل بالمخازي والشرور والمعاصي ،وشيطانه نفسه اعترف له بأنه موهوب في الشر ، ومتغلغل في أغوار الخطايا ، واستقبل في الجحيم ، استقبال الأبطال الفاتحين ، وأخذ ابليس والشياطين و (سكان الجحيم) ــ إذا صح التعبير ــ يضجون بحمده والثناء عليه ، ورأى هناك فتاته وهي تصلى صنوف العذاب ، فقال لها : لا تثوري فأنت السبب في كل الآثام التي اقترفتها والقاع الذي انحدرت اليه ، ولكن

المشاعر الانسانية تغلبت عليه ، بعد أن كان يندد بفتاته وبما صنعت ، وخاصة بعد ان أدرك الهوة السحيقة التي أهوى اليها ، ورابطة العذاب الساحق ، والخزي الأليم ، التي ربطت بينهما في الجحيم .

فقال لها :

لا تخافي .. فقد أعود وإياك .. طهورين بالعذاب الأليم

وخلال جولاته في الجحيم ، أبصر منظراً عجيباً ، فلقد كان ابليس يتحدث الى أعوانه وأتباعه والمخدوعين به ، ولكي يعزيهم ويخفف من مصابهم المؤلم :

قال :

ان الفردوس قد اجدب اليوم فما فيـــه من ولي حميم
ولقد جاءني رسول من الجنة .. يشكو اليّ شكوى العديم
سوف أسقيهمو الغمام .. وأهديهم رخاء من ناعمات النسيم

قال هذا ، ثم ماذا ؟ صورة من أروع الصور في الواقع ، صورة من يسقى الغمام ، ويهدى الرخـــاء من ناعمات النسيم ، وهو يتلظى في دركات الجحيم .

قال هذا وصد عن وجهه الدامي .. شواظاً أهدته ريح السموم

وهو موقف مضحك بالفعل ، ولذلك قال الشاعر :

فتعجبت للهراء ، وقهقهت ، فولى ، وقال : أنت خصيمي

وتغير موقف الشاعر بعـــد ذلك ، فتطهرت نفسه من الإثم والحقد والرجس وقال لها :

لا تخافي فقد تبدلت حتى .. خفت لا ان ألوم بل ان تلومي
وتطهرت باللهيب من الرجس .. فأبصرت كعبتي ، وحطيمي
لن تقيمي مثلي هنا ان تحولت ، الى منهج الهدى ، لن تقيمي

فبكت ، وأخذت تتغلب مثله على نوازع الإثم والضلال ، واتجها معاً الى السمو ، سائرين في الطريق المستقيم ، ويسدل الستار على هذه القصة الفلسفية الرائعة ، ليعلن لنا الشاعر بعد ان انتهت ، ان هذا الجحيم هو جحيم النفس ، أو ما نسميه بالضمير :

أيها النفس بين جنبيك نار تتلظى ، تفوق نار الجحيم
فارحميني من الضريم ، فأني لم أذق في اللظى كهذا الضريم

وفي (عذاب الحيرة) ما في (نفس تبحث عن نورها) من تساؤل وتطلع وفلسفة ، ولكنه في عذاب الحيرة يحدق في أعماق ذاته ، ويسائل نفسه ويناقشها ، بينما نبصره في القصيدة الأخرى وهو يتحدث الى النجوم والظلام والروض والعاصف والشاطىء والبلبل والشمس ، ويبدأ حديثه مع نفسه بهذا السؤال :

لم لست أقنع في الحياة بكل أوطار الحياة ؟
لم حين تمنحني الهبات أضيق ذرعاً بالهبات؟
ويشوقني الحرمان ثم أضيق بالحرمان من كلفي بذاتي؟
ويحي فما أشكو سوى ، أني أعيش ، بلا ثبات

فهو يكره القديم ويتطلع دائماً الى الجديد ، فاذا تحقق له ركض الى هدف جديد ، وكلاهما يشقيه فليس يرضى بالجحيم ولا بالنعيم . كما انه يحن شوقاً الى الحميد من الأمور ، كما يحن الى الذميم منها ، ويتساءل:

ماذا أريد ؟ فقد برمت بما أريد ، ولا أريد ؟
اني لأهدم ثم أبني ، ثم أهدم من جديد
وأرى الحصى دراً ، فأنظم منه كالعقد النضيد

ويقول انه : لو سامه دهره العذاب لما اشتكى منه ، ما دام يتلوه (الثواب) ولكن على أن يكون لكل منهما فترة معينة ، لأن الرتابة تدفعه الى الملال والملال يسوقه للهلاك ، وهو مع ذلك لم ينعم بالشباب ولا بالمشيب ، ويقول لنفسه :

لا تنشدي عوني ، فما أقوى عليه ، ولا ألام
ولقد أعاني النقص ، لكني أخاف من التمام
يا ويل من ركب الغمام ، اذا تمرغ في الرغام

وفي القصيدة جبرية واضحة ، ودعوة – في ختامها – الى الرضا بالأمر الواقع :

فاذا سخطت فانه ، قدر يسير كما يشاء
واذا رضيت فقد يكون رضاك ، قنطرة الرجاء

والقصيدة في مجموعها ، تذكرنا بقصيدة (الطلاسم) لايليا أبي ماضي ، مع الفارق بين القصيدتين في الاستيعاب والشمول وتعدد الصور والنسق الذي تنتهي به كل من القصيدتين . وفي قصيدة (الأفعى) نعيش مع حسناء (ماردة) استنفدت شبابه وفتونه ، وهو أسير فتنتها الطاغية المدمرة :

هي أنثى لكنها تفزع الليل ، فتجري أغلاسه للصباح
صارخات رعباً ، وقد أرخت الشعر ، وألقت عنها رقيق الوشاح

صورة (سريالية) عجيبة ، بل ان القصيدة في بعض تشبيهاتها ، من هذا المذهب الذي يعتمد على انطباعات اللاشعور الكامنة في أعماق الأعماق ، فهناك مثلاً :

نظرت فامتلأت رعباً فقالت، كيف يخشى الرجال أنثى ضعيفه ؟
أنت أنثى ؟ أجل ولكنك الهول ، أرانا دنيا الحسان المخيفه

والبيت الذي يقول :

ألف شمس تضيء من وجهك الساطع ، لكنها شموس احتراق

لقد حاول أن يتخلص من اسارها ، وأن يثور عليها ، وأخذ يستعيد غزواته الماضية ، وانتصاراته في دنيا الغرام ، ليستمد منها الشجاعة على فكاك قيوده ؛ ولكن :

ما الذي كاده فما ينشد اليوم ، سلواً ولا يطيق بعادا ؟
هذه حية ، ويعرفها الناس ، هلوكاً ، تمزق الاكبادا

نفثت فيه سمها ، فغدا الواله ، ما يبتغي الجديد الخلوبا
أي سم هذا ؟ فقد كان قلباً ، طالما كاد في هواه القلوبا

ويرفع يديه العانيتين ليهددها ويقول لها : أيتها الحية الرقطاء ، هذا صريع ليس كمن تعرفين ، فقد خر بعد ان أخاف الحروب :

فاحذريه اذا استفاق وشقي ، عندما يستفيق ، منك الجيوبا

ولكن الذي حدث مع الأسف :

واستفاق المخمور من بعد ان ادبر عنه شبابه وفتونه

وتوارت عنه ، ويا رب عان ، مثله ، انقذته منها منونه
ما الذي تبتغيه منه ، وقد ضاع ، ولم يبق منه الا شجونه
وتسامعن ، من شقين ، فأشفقن ، ففاضت لذكرهن عيونه

وبجانب هذه (الأفعى) التي استنفدت شبابه وفتونه،وذهب ضحيتها، حسناء أخرى ذهبت هي ضحيته ، حسناء (حائرة) :

كانت متيمة بالشعر تحسبه — من السماء ، وان الشاعر الملك
وانه لو أراد الليل متشحاً — بالنور،طاوعه في ذلك الحلك
يدور عالمنا الأرضي في فلك — ويستقل به في أوجه ، فلك

هجرت زوجها وأبناءها ، لتلتقي به ، لتعيش في أفقه السامي الرفيع. وقالوا لها وهي تدنو من حبائله : اياك لا تسقطي ، فلم تصدق ، واسترسلت ضحكاً منهم :

لقد رأت انها تقضي به نسكاً — وأين مما ترى أهواؤنا النسك ؟

وجاءها الشاعر المفتون ، وهو يحسبها كبقية الحسان اللواتي عرفهن، فصدمت باتجاهاته وصدم باتجاهاتها ، فأجهشت ، فبدا الحزن على محياه، وأخذ يتساءل :

أهذه بشر ؟ أم انني حجر ؟ — أم في الكيانين سر لست أعلمه ؟

فلروحه مطالبها ، كما ان لجسمه مطالبه ، وكان من الطبيعي ان تكون قصتها :

قلبان ما اجتمعا الا ليفترقا — فالماس ليس كمثل الفحم منجمه

وهناك قصيدته الرائعة : (قدر ورجل) انه يفلسف فيها تهالكه على المتعة ، وسباقه خلف مفاتن الجمال ، ويلقي فيها كل المسؤوليات على القدر و (النصيب) :

لست أشكو انه قدري ما يفر المرء من قدره
ظمئت روحي ، فأوردها ما تعاف الروح من كدره

ويرسم بريشته الساحرة ، مجموعة من الصور الرائعة :

يتثنى من لدونته ، كتثني الغصن من ثمره
مال فاستعجلت ضمته ، وثناني لين مهتصره
خلته والراح تصرعه ، وتزيح الستر عن غرره
كوكباً يهوي فيحضنه ، خافق يلتاع من سقره

وفيها يقول :

رب رومي تدين له مهج السادات من مضره
فتنة تغويك عارية وتريك السحر في أزره
نالني منه على كبر ما ينال المرء من كبره
شد ما ترضيك صحوته ولقد يرضيك في هذره
خير ما في الحسن تمتمة من حمياه ومن وتره

وقصيدة (جدار الظلام) تذكرنا بقصيدة الشاعر (غربة الروح) ، ولكنها تختلف عنها في بعض القضايا الفلسفية التي تناقشها :

من حياتي الأخرى ، رجعت الى الأرض ، فألفيت كل شيء غريبا

ومضى يتساءل عن الأسباب التي جعلته يشعر بأن كل شيء غريب عليه لأنه رجع من عالم الطهر يستنكر عالم الفجور ؟ اذن أتراه لو خلد في هذه الدنيـــا فسيرتاب بالتقى والعفاف ، ثم : ماذا يشتكي من عالم العهر اذا ساعده على نيل ما يحب ، وما دام الضلال سينيله مناه ، فانه سيستمرئه دون شك . وفكرة العقـاب هي التي تخيف ، وحيث لا أثم، فليس هناك تثريب،وهو مثل الألوف في هذه الأرض ، الذين لا يمنعهم عن ارتكاب المعاصي ، غير خوفهم من العقاب أو طمعهم في الثواب، فاذا أمنوا من العقاب ولم يكن لديهم مـــا يرجونه ، فليسوا غير عبيد للشهوة واللؤم والأنانية ، ولذلك :

ليس فضل النفوس أن تنبذ الشر ، إذا كان طبعها يجتويه
ليس فضل النفوس ان تحضن الخير ،إذا كان طبعها يشتهيه
انما فضلها اذا راضت الطبع فأجدى ، ولم يعـــد بالسفيه

وقال : انه يشتهي عالماً :

يفعل الخير عارفاً أنـــه الخير ، فما يبتغي جزاء وغنما
ويرى الشر حين يخطر في النفس افعواناً يجيش، يقطر سما

ولكن الأرض – مع الأسف – ليست كما يشتهي ويريد ، فهي ترى السلم في توقد الحرب ، وليس فيها من الملائك الا نفر سامـه الشياطين ظلماً ولذلك يقول :

أنا فيهـــا مضيع كلما شئت بناء يرده الدهر ، هدما

ويعود الى الحديث في هذه القصيدة ، على النمط الذي سار عليه في قصيدة (غربة الروح) ولكنه هذه المرة يقول :

لست أشكو من الضياع ، فقد ضعت ، وما يشتكي الضياع الضعيف
كان لي تالد يتوق ، فأرداه من الهون ، ما اتقاه الطريف
رب غي يهدي الأثيم الى المجد ، ورشد يضل منه الشريف

ونسري معه في قصيدة (الساري والليل) . والنور يظهر له تارة ويغيب أخرى . والظلماء تحسبها جدراً إذا حملقت فيها ، وكلها شكوى من الزمان ومن أبنائه :

وبقيت أخبط ما أرى ، في هذه الظلماء فجرا
لكأنها قبر ، ولكني أحس بهوله وبما اسرا
أسري به وأجر رجلي من عناء السير جرا
فتخيفني الغيلان ، لكني أعود لهن قسرا
والفتهن ، وقد ترى ، في عسرة الأيام يسرا
ما خيفتي ؟ كلا ، فقد عاشرتها في الليل دهرا
عاشرتها ، فوجدتها ، أنقى من الانسان سرا
أنقى ، ولولا الجوع ، كانت فوقنا نبلاً وطهرا

ولكنه يتمرد على الليل والظلام ويصرخ :

أأظل أخبط فيه عمري ، ساء هذا العمر عمرا
لم ألق نجماً فيه يهديني السرى ، لم ألق بـدرا

فهل أرى الروض الأنيق غداً وأنشق عطـره ؟ وأرى الغدير وقـد

تدفق ؟ والغصون وهي تميل سكرى ؟ والبلابل وهي تسكب الألحـــان خمراً في الأرواح :

وأرى الرفاق الغر — بعد النأي — والزمن الأغرا ؟

أم انني سأظل سطراً في سفر الليل ، أسري به كالطيف الذي ينشد قبراً من الفيافي السود ؟ ولكن الأمل يعود فيسري في جوانحه :

وأنا الذي نوري ، سيغمر هذه الآفاق غمرا
فأنير للأجيال ، حاضرها ، ومقبلها ، الممرا

وليس ذلك من المستحيلات :

فلرب عصفور ، يعود بقسوة الأيام نسرا
ولرب مرهوب يعود بكرة الأيام ذكرى

وفي قصيدة (هنري) يفتتح شاعرنا الكبـــير موضوعه بتساؤلات ذكية :

ما الذي خطه الزمان على وجهك ، من نقمة ومن بأساء
فغدا ساهماً ، وان شعت الحكمة منه — على دياجي الشقاء ؟

وينطلق في تساؤلاته الممتعة :

افهذا السهوم ضرب من الطبع ، والا ضرب من الأعياء
أم بصيص من الذكاء تداريه ، ليخفى بلمحـة من غباء
حرت في وجهك العجيب ، فقد شمت وضوحاً به وراء الخفاء

فيه ما ترهب النفوس ، وما ترغب من جفوة ومن تأساء
فهو كالدهر مظـلم ومضيء ، بدجاه ، بفجره الوضاء

ويساعد الشاعر مزاجه المتفلسف ، ولماحيته المستوعبة ، على المضي في نقاش طويل عريض ، حول الطبائع البشريـة ، ودوافع السلوك ، ونشعر بأننا نقرأ تحقيقـاً صحفياً ، يدور بين علمين من أعلام الفكر والفلسفة وعلم الاجتماع ، يتحدث فيه احدهما الى الآخر ، وقبل ان يجيب رفيقه ، عـلى سؤاله ، يندفع فيعدد الأسباب التي تنتج عن هذا التصرف أو ذاك ، ثم يعود السؤال وتعود الاجابة ، وتتعدد أوجه المقارنة ، على حالتيها في الاتفاق والاختلاف ، ويعزيه فيما أصابته به الايام ، بعد ان طحنته بين شقيها ، خلال العدد العديد من السنين . ويقول له :

ان تكن قوة الشباب تخطتك ، ففي الشيب حكمـة الحكماء
سوف نمضي الى الفناء ، فنستعذب بعد الحياة ، ورد الفنـاء

ويقول له :

كيف تخشى من الفناء ، وما في العيش من راحـة ولا نعماء
رب حي يهفو بـه الفكر للموت ، فتأبى الحياة كل الاباء

* * *

قـد بكينا الموتى ورب حياة ، هي أولى منـا بهذا البكاء

وسخر من الخلود وقال ان اسطورة الخلود ملهاة حباها الخيال للشعراء :

وسيطوي الزمان مـا أبدع الفكر ، ويلهو بلامع الأسماء
وسيأتي من الجديد ، بمـا يهدم ، ما كان قبله من بنـاء
هـذه سنة التطور في الكون ، استوت في بدايـة وانتهاء

ولكنه في نهاية القصيدة يعود فيقول :

سوف نمضي ، وليس يبقى سوى الذكر ، مثيراً النقمة أو رضاء

ولست أدري هل بقاء الذكر هو الخلود، أم أن الخلود شيء آخر؟ وفي قصيدة (سخرية الحياة) صوفية علي نهج جبران وأبو ماضي .. وغاندي، فقد قالت له الروضة والبلبل ، والسندس المخضر والجدول ، في مجلس أنس تجري به الراح ، مثلما يجري المنهل بالسلسبيل العذب ، و :

يديرها بين الندامى فتى　　كأنه الغـــادة أو أجمل
يسقي بعينيه ، وأكوابـه　　فنحن من كلتيهما ، نثمل
والناي ما أعذب ألحانـه　　يطرب من آخرها الأول

والبدر بالرغم من أنه في أوجه العالي .. فقد كان بسحره ، وكأنما ينزل ما بين هذه الباقة اللطيفة ، قالوا له وهو ساهم ، سابح في دنياه: أهذا الذي تراه هنا هو الحياة بمتعها ومباهجها أم القفر والصخور الـتي تهيم بها ؟ فقال لهم الشاعر : بل انني ههنـا ، مغترب أشعر بأنني في غير منزلي،وراحت الحسناء تجادله وتقول له : يا ويلتاه ألم تزل مسترسلاً في غيك ، وجربت معـــه بعض أسلحة الانوثة التي تعرف تأثيرها على شاعرنا الكبير ، ولأول وهلة ، فقد نجحت المناورة فما افتك الحسن حين يفزع ، أو حين يغضب :

ما افتك الحسن اذا رعتـه　　أو أنت انكرت الذي يفعل

وقالت له : هل أنت – أيها المفتري – لا يذهلك الحسن حين تتطلع اليه .. لقد تجلت فينا قدرة الخالق المصور ، الذي وهبنا من عطاياه الجسام

ولم يبخل ، كما بخلت أنت عن الاعتراف بهذه العطايا .. هل أنت أعمى أم مجنون ؟ وهل أنت هازل أو جاد فيما تقوله.. وقامت بحركة تكتيكية صغيرة من حركات الحسان ، وبالرغم من أن المناورة نجحت أيضاً ، فقد قاوم الشاعر أيضاً :

لا تنشدي يا فتنتي مقتلا　　فليس عندي للهوى مقتل
لم يبقَ إلا نفس .. ذابل　　ومهجة .. ضاق بها الهيكل

وأخذ يعدد لها الأسباب التي حملته على ان يزهد في الدنيا وفي أهلها، ويستوي عنده فيهـا القصر والكوخ . وحياة العزلة المتوحشة ، والحياة الاجتماعية الحافلة :

زهدت فيما اصطرعوا حوله　　فليس لي في كسبه، مأمل
وأصبح القلب خواء ، فما　　يرغب من دنياه أو يوجل

ويبدو ان تجاربه مع الحياة والاحياء هي التي حببت اليـه العيش على صورة الروضة الحالية ، التي تعيش في جهل مطبق ، عن الصراع الدائر حولها ، أو الجدول ، الذي ينطلق في مجراه حيث أُتيح له الانطلاق ، بين الرياض المونقة ، أو الصخور الصم :

يغبطني الناس ، ولو حملوا　　من شقوتي المعشار ، لم يحملوا
ما هذه الدنيا سوى معقل　　فكيف لا يرهبنا المعقل ؟
تركت فيها السيف من خيفتي　　منه ، وأغراني به المغزل

ويقول الشاعر في ختام القصيدة :

أنا الذي هبت جنوب على آماله ، ثم تلت شمــأل
فاقتلعتها ، فهو من بعدها يعيش وهو الثاكل ، الأرمل

وأسجل البيت الأخير ،وأنا أشعر بالألم والأسى . فقد تعودنا الانسانية الرفيعة والمحبة الشاملة من شاعرنا الكبير ولكنه في هذه القصيدة ، كان ساخطاً على الجنس البشري بأكمله :

لو أن حكمي ، في الورى نافذ لم يبق صلب فيه أو مهبل

أمنية عنيفة ، يتمناها الشاعر ويتوق الى تحقيقها ، ويحدثنا عنها بكل صراحة ، وبدون مواربة أو لف أو دوران،ويضع النقاط على الحروف والأسماء على مسمياتها ، دون أن يلجأ حتى الى الكنايـــة في هذا الموقف الساخط الذي يقفه من البشر .

ويطرح القضية نفسها،بصورة جديدة ، في قصيدة (العجز والقدرة) . فقد كان في مجلس من مجالس المتعة ، (التي بلغت آخر حدودها في الامتاع والانبساط) . وحينما رفض الكأس قال له نديمه :

ان عفت كأسك في العشيّ ، فهاتها لمتــيم يصبو الى نفحاتها

واستنكر عليه ، أن يحضر مثل هذه المجالس ، ثم يزهــد في لذة تطويه من لذاتها ، وتطلع الشاعر حواليه ، حيث :

ثمل الغلام بها ، ونام بجنبه شيخ يتمتم لاهياً ، بفتاتها

وحيث ولى الرشاد ، وتبذل الجمال ، أخذ يقول لصاحبه : لقد نلت من دنياي كل ما أريد ، وعشقت كل الغيد ، حيث :

لا فرق بين الغيد عند مغامر   وقف الحياة على هوى ظبياتها

وصنعت ، وصنعت ، ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

وصحوت ما أجد الشباب ولا الهوى   الا بقايا العمر في غمراتها

ثم انتقل الى الحياة السابقة التي كان يحياها ، وكيف مضى بشهيها القدر ، وأبقى فضلاتها للورى :

ماذا نريد من الحياة وهذه   حسناتها ، تفضي الى سوءاتها ؟
لا تأمنن لها ولا لصلاتها   فلرب حرمان أتى بصلاتها

ومرت فترة سكون ، كالسكون الذي يسبق العاصفة ، ثم انفجرت احدى الحسان لتقول في ثورة :

لزهدت من عجز ،ورب زهادة   سخطت على اللذات بعد فواتها

ويقول الشاعر : لا تغضبي ، فأنا راهب اضطرته الحياة الى النسك، لأنه لم يجد منها غير ما يؤذيه . لقد كنت أجهل جاهل حين أضعت قوى الشباب العارمة،ولم يبق لي غير هذه القطرات التي ارتشفها وغدوت الآن أعلم عالم في حكمة ، أضعتها ، وهويت من شرفاتها :

أصغي الي فانما هي آهة   قد أرسلتها النفس من آهاتها

ويحذرها من كر الغداة ومر العشي ، حينما تجري فتلوي من قوى الأسد ، وتنتقص من فتون المهاة .. وذلك هو المصير المؤلم الذي يحس به الشعراء ورحم الله أبا نواس ، حيث يقول في ابياته المعروفة :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك ، أثام

وتلح فكرة العجز والقدرة ، والعنفوان والهبوط على شاعرنا الكبير ، بطريقة تثقل اللاشعور في أعماقه — فيلجأ إلى الطريقة التي يلجأ اليها — عادة — كلما أثقلته فكرة ، أو جرحه احساس .. طريقة التبرير . ونستمع إلى الشاعر في قصيدة (شباب ومشيب) وهو يناقش ببراعة ، المكاسب التي حصل عليها من هذا ومن ذاك ، بالرغم من اننا نلمس المرارة التي يغص بها ريقه خلال النقاش ، وبالرغم من انه يعود ، (فيترحم) على ايام الشباب ، وذكرياته وآثامه ، فيقول :

لقد تمنى الناس — ويل الناس — لا بل ويله هو وحده .. تمنوا ما غيب في اللحد من شباب الأمس ، وماذا في هذا الشباب مما يحمد ؟ أفيه غير النصب المكري ، وغير الوجد الذي أذابه ، والجهاد المر الذي ضاق به جهده ، دون ان يضمن النتائج ،فقد يرجع بالنحس لا بالسعد ، وكم شقي بالوصل كما شقي بالصد ، وهو مع ذلك لم يَفُزْ لا بالجد ولا بالهزل ، ولم يخصب لا بالراحة المكسال ولا بالجد .

ويقول : لقد شقي بشبابه ، وشاهد العجب من اسوائه ، وكان يذوق من لأوائه التنكيل والرهب ولم يحس من ذكراه إلا الويل والحرب. ويقول : ان الشيب وقاه الكفران والريب ، ووقاة اللهب الحارق بعد ان اطفأ هذا اللهب ، فكيف يذم ما أشرق أو يمدح ما غرب ؟

ويقول : انه لا يمقت الضعف و (الخور) من الشيب – كما يقول:

أرى في الشيب مـــا يدفع .. عني البغي والبطرا
ومـــا أهفو الى اللذات .. أو استعذب السمرا
وما تدفعني القـــوة .. ان افـــترس البشرا
ولا تدفعني الغفلـة .. الا أرهب القـــدرا

وبالاضافة الى ذلك فهو لا ينكر أن الشيب قد بدد أوهامه، وصحح له بالحكمة أضغاث أحلامه ، وأنضج بالخبرة وبالتجارب احكامه . وانه مع الشيب ارتفعت أعلام مجده ، وتفجر سحر الكون من ينبوع إلهامه، وأطربت الأسماع أنغامه ، ولكن مثل شاعرنا الكبير في حسه المرهف ، ومشاعره المضطرمة لا يمكن إلا أن يقول :

ولكني برغم المجـد .. قد انكرت أيامي
يكاد المجـــد ان يخنق آهاتي .. وانسامي
أعيش بذكريات الأمس .. أستروح آثامي
أراها .. رغم ما انكرت منها.. خير أعوامي

وهكذا ينتصر الشباب بعد طول النقاش ، ويسحب بأخطائه وضلالاته على كل ما جاءت به الشيخوخة من حكمة ، ومن مفاخر وأمجاد .
وفي قصيدة (لا تخافي) لوحة جميلة لحسناء

بكت عينها .. لما رأت ان شعرها قد ابيض.. واستولت عليها المخاوف

وبعد ان يصف الشاعر كيف كانت ، والتحولات التي طرأت على كيانها ، ومخاوفها من المصير الذي ينتظرها ، في صور جميلة ، وأبيات قوية السبك ، صافية الأديم ، يقول :

كشفت لها رأسي ، وقلت لها ارعوي فما هذه الأشجان إلا سفـاسف
فهذا مشيبي ، منـذ عشرين حجة تداعبني منـه الرعود القواصف
فما هزني منـه الردى يوم محنتي ولا صرفتني عن هواي الصوارف

ويقول لها فيما يقول :

ولا تجزعي مـا أنت إلا سلافة معتقة ، تحنو عليها الشوارف

وهو تعليل لطيف ، وان كان غير واقعي ، فلا شك ان السلافـة كلما عتقت زادت قيمتها – كما يقول العارفون – ، ولكن هـل المرأة – مثلاً – كذلك ؟.. لا ، بالطبع .

ومن الظلم لحواء ان يضرب لها المثل بنفسه ، فالمرأة دائماً هي العنصر الأضعف والمطلوب ، وحين تفقد عناصر الاثارة تفقد كل شيء ،بالنسبة لها كأنثى ، أما بقية الأبيات فقد خلت من عناصر المنطق العقلي ،والمنطق الشعوري معـاً ، ستبقين ما كر الجديدان فتنة معربدة ، وترتد عنك العاديات وتنطوي ، على كمد منك السنون الزواحف :

كأن البلى أعطاه عهداً بأنه مصون ، فما تدنو اليه المتالف

منطق لا تؤمن به حتى المرأة نفسها ، مع الأسف ..

ويأبى الشاعر الكبير ، وقد عشنا معه هذه الفترة الطويلـة ، ونحن نتطلع الى شعراته البيض ، ونناقش معه ذكريات الشباب العابر ،ومشاكل الشيخوخة الوافدة ، يأبى إلا أن يمشي بنا خطوات على الطريق، لنزور معه مرقده الأخير ، في (الوادي الظليل) ، ويقـدم الشاعر القصيدة بقوله : (بساط سندسي رائع ، ما يدرك البصر مداه ، تظلله الأشجار ،

وتعانقه الغصون ، وتوشيه الزهور ، وتجري به الجداول ، وتغرد البلابل، وتمرح الآرام ، تبرجت فيه الطبيعة بأبهى حللها ، فما تقع العين على أجمل ولا أروع ولا أبهى ، ذلك هو الوادي الظليل الذي مر به الشاعر فتمنى ان يكون به مرقده الأخير) ، ويشكو الشاعر في هذه القصيدة ، حظه في الحياة ، والمتاعب التي واجهها :

ويا روض ضع لي من زهورك طاقة بقبري .. اذا ما استرهبتني المقابر
تضوع بـه عطراً وتمـلأه سنى مضيئاً .. فما تسطو عليه الدياجر
وضع لي به من عشبك النضر مفرشاً تدور الحشايا حولـه والستائر

* * *

وسائده خضر تهش لهـا الرؤى وتهفو اليها — ما اجتلتها الخواطر
أراهـا فأنسى في الثرى انه الردى وينسى عفـائي .. هيكلي المتناثر

ويقول : ما له لا ينسى وقد عاش خائفاً من الغاب ، الذي تغشاه الوحوش الكواسر . فقد كان فريسة للجائعين ، وكان في نفس الوقت يفترس ضحاياه كلما جاع ، كما تفترسها الوحوش . ويقول انه لو خير لما اختار العودة إلى الدنيا التي هانت المكارم على أهلها ، ويقول :

ويسعدني اني بربعك آمن سعيد ؟ فما تدنو الي المخاطر
أنام فما أخشى الظلامة من غدي وأصحو ، فما تقسو علي المصائر
رفاقي على ما أشتهيه ، بلابل ونبع ، وروض حالم ، وجآذر

* * *

تمنيتهم أهلي وربعي ، واننا قد اشتبكت أرواحنا والعناصر

ومن (الوادي الظليل) حيث تمنى الشاعر أن يكون مرقده الأخير.

ننتقل إلى قسم المراثي بالديوان وأولى هذه القصائد قصيدة (المقبرة الحانية) .

وليس من الضروري أن نرجع إلى تاريخ نشر كل من القصيدتين – وهو كل ما نملكه الآن – لنعرف ان القصيدة الأولى سبقت الثانية، وان كنا نعتقد ان الفارق الزمني بينهما ، ليس مجرد عام واحد ، كما يتضح من تاريخ نشرهما،بل انه أكثر من ذلك بكثير . فاتجاه القصيدتين مختلف إلى حد بعيد . وفي القصيدة الأولى مجرد أمنية ، يتمناها الشاعر ، كما تمناها الخيام من قبله ، ولكن القصيدة الأخرى فيها انسانية رفيعة ، وتعاطف ، وشعور جارف بالنهاية . وأعجب ما فيها ياء النسبة :

طال غدوي ورواحي الى (مقبرتي) الوارفة الحانيه

انها مقبرته هو،حيث يودع في كل يوم واحداً من جيرته الأدنين ، ومن أهله وأصحابه،ويبلغ به اليأس الى درجة انه يتصور زيارته الأخيرة لها ، وهو هادىء النفس ، رابط الجأش :

فهل سيأتي بعضهم في غد اليك بي،في المرة الثانيه ؟
ويودعوني فيك ، في حفرة مظلمة ، في لحظة ، قاسيه ؟
أرقد فيها ما أبالي الورى ولا المنى ، مشرقة ، داجيه
سيان في ظلمتها ، مرقد وطأة السقم ، أو العافيه

بينما يشعر بالفزع والهول ، حينما يتصور انه سيحمل اليها ، أحد أحبائه :

أم انني ، يا ويلتي من غدي آتي هنا ، أحمل منهم فقيد
كنت له الدنيا كما كان لي من قبل أن أصبح هذا الوحيد

ثم يتساءل :

مقبرتي ، هل أنت لي روضة   فيحاء،أم أنت كهذا الجحيم ؟

ويستدرك ، فيقول :

لا لست أشكو فيك حر الجوى   وفيك لي ألف ولي حميم
النفح والنضرة في صحبتي   لهم ، وأفيائي وحلو النسيم

ثم يعود فيتساءل :

هل هم رميم في الثرى هامد   أم انني من بعدهم كالرميم ؟؟

ويتحدث عن مآسيه وأشجانه وآلامه ، لأن :

مآتم الدنـــيا ، كأعراسها   في عقلـه الدامي واحساسه
ايامـــه تركض ، مذعورة   تسوقها ، رهبـة ، آماسه
الى الغد المجهول ، في مهمه   الشوك فيه ، خير أغراسه

ويعود فيقول (لمقبرته) : ان الناس لجهلهم وغبائهم ، يبكون موتاهم بينما الحي الذي تلهو به دنياه في الأرض ، أجدر بالبكاء من هذا الذي في السماء ، ولكن روح التساؤل تغلب عليه من جديد فيقول من هـــو الجدير بالبكاء منهما ؟

ايهما اني لفـــي حـــيرة   تصرعني ، تتركني في عماء ؟
هل هو من يبقى بذاك الفناء ؟   أم هو من يفنى بهذا البقاء ؟

غير ان الضعف يستبد به :

ايتهـا الأصـداء ان الثرى لو يعلم الناس لصدر حنون
لشد ما أهفو الى مرقـــد ترقد فيه كل هذي الشجون

* * *

وفي ختام القصيدة ، تقول له الأصـــداء التي سرت الى مسمعه في سكون الليل : يا ناقماً من عيشه ، والعيش حلم قصير :

أما ترى الناس سراع الخطى لهذي التربة ، هذا المصير

فبعضهم يخشى وروده ، والبعض يستجير به ، وكلهم على اختلاف أفكارهم ،واتجاهاتهم ، وسعادتهم ،وشقائهم سيزورونه وهم لا يعلمون :

لسوف تلقانا ، على غرة ولست تلقانا وأنت البصير

ونمسك بأنفاسنا اللاهثة ، ونحن نهم بوثبة جديدة من وثبـات الفكر الحي والشعور المتدفق :

غمضة عين ، يا لها فترة وبعدها ، تبصر عين الضرير

وللشاعر أربع مرثيات : (١) (دموع وخلود) عن العقاد ، (٢) (مصرع ورجل) عن الاستاذ محمد فدا ، (٣) (الراحل الخالد) عن جلالة الملك محمد الخامس ، (٤) (مجد الذكرى) عن الشيخ عبدالله السليمان وهي تعبر عن رأيــه في عظمتهم وتفانيهم واخلاصهم ، وترسم ما قدموا لأمتهم وبلادهم من جهد مشكور وعمل مثمر وأيادي بيضاء ، استحقوا بها الخلود .

* * *

آخر جولاتنا في الديوان ، مع مجموعة من القصائد ، عنونها الشاعر باسم (تأملات) .. وأولى هـــذه القصائد قصيدة (الصاعدون) .. والصاعدون هم أولئك الذين قال الشاعر الكبير في شأنهم :

الا رب شك يقود الفؤاد   لايمانه ، ويقيه الجحود
صعدنا به فعرفنا الإله   وباركنا ، فحمدنا الصعود
وما كان سبحانه بالظلوم   ولكنه ، لا يريد الجمود

وهم الذين (يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض) . وفي هذه القصيدة يقول لنا الشاعر انه تحير في كنه الجبال ، وقد نامت الأرض من تحتها . وتساءل : أتستطيل من فن الله المبدع الذي نحتها ،أم ان الغرور يدعوها إلى التشامخ والتعالي كالناس ، وتساءل :

يحيرني صمتهـــا كالقبور   ومن قبل قد حرت في نعتها
وهل هو من طبعها أم قضاء   تحكم فيها وفي كبتها ؟

كما تحير من سر البحار ، وما هو ثاوٍ بجوفهـــا ، من عجائب لم يكتشفها الدجى ولم يعرف أسرارها النهار :

لقد صمتت كل هذه البحار   كصمت الجبال وصمت القفار

وجاء إلى الأرض فقال لها : هل أنت يا أم حياتك كحياة الناس ، تصرفها الأقدار كيف تشاء ، أم ان عنانها بيديك ؟

ولكنهـــا صمتت مثلهـــن   ويا رب صمت كثير المعان

وعاش مع النسر في الأجواء وغدا إلى وكره ، فما كان يعرف من سره ومن جهره :

سوى انـــه آلة للقضاء فليست تجادل عن أمره

وان قوانين الطبيعة هي التي تحكمه وتسيره ، ولم يكـــن النسر أو الأرض أو البحار أو الجبال،هي وحدها التي تجهل السر ويمسك القضاء بعنانها ، فلا شادي الطيور ولا الورد ولا الماء ولا الكرم ولا الخمـــرة ولا الشمس التي يعبدها الغافلون من دون الله ، ولا الريح ولا القمر ولا النجم ولا الليل ولا الصبح ولا البرق ولا الرعد ، لم تكن بالتي تعلم :

فما هي الا هباء يسير ويجهل أين هو الموقف

* * *

وفكرت لكنني ما اهتديت إلى فكرة في معاني الوجود

وليس ذلك لشيء إلا ، لأن السر قد أعيا العقول ، وأعيا مصادر الأفكار ومواردها ويقول :

حيارى ، نعم نحن في حيرة تساوى الصحاة بها والرقود

وتنتهي القصيدة بأجمل ما يمكن أن تنتهي به :

الا رب شك يقود الفؤاد لايمانه ، ويقيـــه الجحود

وفي قصيدة (زفرات) ، يتساءل :

أين أصحابي ، وأهلي   ذهبوا للموت قبلي
وأنا المكدود من دنياي   تبقيني ، لثُكـلي

ويثور ثورة عارمة على الدنيا ، فهي ليست غير دنيا خرافات وأوهام ودجل ، وحزازات وأحقاد وختل ، والاقبال في شرعتها مثل التولي ، ومن راح بانجاز منها ، كمن راح بمطل ، لأنهم أشباح أطماع تجازيهم ببخل . ويقول : ايه يا دنيا الحقارات والتجني ، كم تمنينا الهدى منك دون جدوى ، وان حالنا معك على كل الوجوه مما يبعث الألم والحسرة. فأنت غانية لعوب ، لا يمكن الركون اليك . ويقول : ان على الأرض قوماً يستحقون الرثاء ، فقد حسدوا الموتى على الراحة،واستعدوا الفناء . ففي الأرض من البؤس ما يبكي السماء :

أفمجد العيش أن نلقى ، طعاماً ، وكساء
ان مجد العيش ان نكسب ، حمداً ، وثناء

والأمجاد الحقيقية ليست فيما تعارف عليه الناس ، فهي زور ورياء .. ولكن الأمجاد الحقيقية هي أن يسطع النور في الأرواح،وان تلقى الأغلال عن الأعناق ، وان يمنع الظلام والعدوان ، وان تكرم العقول المستنيرة، وان يعيش الفقير مع النعمى والرخاء . ويقول الشاعر لقومه : انه ليس يحيا بينهم غير خيال عابر ، فقد ضاق بالدنيا ، وبحث عن هديه فلاقى الضلال ، وحينما رأى المال وقد أغرى الرجال والنساء ، ورأى المجد مجرد أوهام وأحلام :

قلت للمجد وللمال ، وقد مالا اختيالا
اغربا عني ، فما أعدل بالخلد الزوالا

وفي قصيدة (ازدواج الشخصية) وهي احدى الظواهر البارزة التي لاحظناها في الاتجاهات النفسية ، لشاعرنا الكبير ، نجد صورة جديدة ، للنفس التي تبحث عن نورها ، فهي كما تقول مقدمة القصيدة : (هذه قصة نفس حائرة تفرقت أمامها السبل، فما تدري أيها تسلك وأيها تدع . وحينما حزمت أمرها على رأي فاختارت سبيلها ، رمى بها في متاهات مخيفة ، لم تنج منها إلا وهي مثخنة بالجراح .. ولما سلكت السبيل المضاد لاقت منه شراً مما لاقته من سبيلها الأول . فوقفت خائرة العزم دامية القدم ، ترنو إلى السماء تارة وإلى الأرض أخرى فما تبصر الا عماء في عماء) . والقصيدة في الواقع لا تحتاج إلى تحليل فهي واضحة تماماً ، وتمتاز بالمقابلة الفكرية والشعورية في كل بيت تقريباً :

أيها النفس قد شقيت من البرء كما قد شقيت من أسقامي
ولقد قادني سلوى إلى اليأس كما قادني اليه غرامي
ولقد حرت في اليقين فشككت فزادت من حيرتي أوهامي
ولقد رحت في الهدى أنشدالنور، فلاقيت كالضلال ظلامي

ويصرخ في نهاية القصيدة بأسى وحرقة :

أين مني سكينتي انصرم العمر ، وكلت من السرى أقدامي
شد ما كنت أشتهي لذة الراحة ، حتى سعدت بالآلام

وليس من المستغرب ، وشاعرنا المفضال يتجه إلى الفلسفة في شعره، وبالمذهب المتشكك اللاأدري ، ليس من المستغرب ، ان يختص أبا العلاء المعري ، بقصيدة خاصة .. ونحن نعرف انه اعتبر المعري والغزالي النماذج العليا ، لما وصلت اليه الدعوة الاسلامية ، والحضارة الاسلامية من مجد وسؤدد في دنيا القلم فقال :

ولقد أتت أقلامهم بعجائب من بعد .. تدحض فرية المغتاب
هل كالغزالي مفحماً بتفلسف أو كالمعري معجزاً بسوابي ؟

وفي القصيدة الأخيرة (رهين المحبسين) يشيد بأبي العلاء وببعض المزايا التي أعجب بها : ففي المقطع الأول أشاد بثورة أبي العلاء على الجور والطغيان :

هالك الظلم فانتضيت على الظلم ، حساماً يروع الظلاما
لم يصغه الحديد ، والصانع الماهر ، لكنه يصوغ الحماما

وقال له : ألم يكفك يا قاهر الطغاة ، انهم صاروا حطاماً ، وانهم وهم الالوف قد بادوا ، بينما امتطيت وأنت فرد هام الخلود . وفي المقطع الثاني أشاد بالحرب التي أعلنها على الرياء والنفاق . وفي المقطع الثالث ندد بالخرافات التي شايعها العماية والجهل ، وغذاها التدجيل :

صحت فيهم : ضللتمو أيها الحمقى ، وكانت طقوسكم أوهاما
ارجعو بالامور للعقل ، فالعقل حكيم ، يسدد الأحكاما
ايها العقل ، يا دليلي الى الخير ، تباركت هادياً وإماما

وأشار الى تورعه عن اسالة الدم ، وأكل ما فيه روح ، وتبلغه بالقول ، وامساكه بأهداب العفاف والعصمة ، ومجانبته للخمرة والندامى ، وترفعه على مخالطة الناس ، واختتم القصيدة بقوله :

أيها الساخر المشكك .. حطمت بتشكيكك اليقين العقاما
عرف العقل فيك ، عابده الفذ فنلت المثوبة — الالهاما

ولكن أرجو ألا ننسى مع ذلك،ان شاعرنا الكبير رغم ايمانه المطلق بالعقل ، لا يزال يحمل بذور التشكك فقـــد عاد في قصيدة (الرحى والطحين) يحمل معوله ويهدم كل شيء حتى العقل نفسه ، ويقول :

وأنا من بعد تفكيري ، وتجريبي ، وجدت العقل وهما

ولكن لنعد الى القصيدة من أولها ... ان المشكلة التي تشغل الشاعر هنا:

من ترانا ؟ اجياداً ؟ أم وحوشاً ؟ أم أنام ؟

انه يعيد الينا بطريقته الخاصة ، تبتل أبـي العلاء وفلسفته في عـــدم ذبح الحيوان :

يا دمي المسفوك .. في الكبش الذي يطحن ضرسي
كيف لم أرحمك .. بـــل كيف تغذيت بنفسي ؟

ويبدأ في شرح النظرية :

أكل المـــأكول من أصلي ومن فرعي وعرسي
من قبور النفر المـــاضين .. من عشب وغرس
نبتا من هـــذه الأجساد .. من ظلمة رمسي

فرعاها ذلك الكبش الذي أمسى طعاماً لنا ، ولماذا ؟ أفلم تنبت لحمه وعظامه لحوم وعظام آبائي وأبنائي ؟.. فنحن قوت للثرى وللنبت وللدود، ولقد يقتات منا الوحش والطير والهوام ولقد نقتات من بعضنـا ، دون ان نجفل من هذا الطعام :

كل ما في الكون .. للكون حياة واحترام
من ترانا اجماداً ؟ أم وحوشاً ، أم أنام ؟

وينتقل الى العقل ليعصف به :

يزدهي الانسان بالعقل .. وهذا العقل أعمى

ما الذي في العقل غير المشاكل والمتاعب ؟ وهو حين يحكّم العقل يجد الكون متناقضاً كله اجحاف وظلم ولكن ايمانه بالكون يجعله يقول: انه من بعد تفكيره وتجريبه وجد العقل وهماً ، ووجد الاحساس والادراك تنكيلاً وغرماً بالانسان المدرك الواعي

أفبالعقل وبالحسن نعمنـــا ؟ مثلما يزعم قوم

اذن فان الواقع الملموس مجرد وهم : وعلى رأي المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فان شاعرنا يهتف من أعماقه :

اعطني الجهل ، بما شئت ، فان الجهل غنم

فالجهل نعمى يتوق اليها الشاعر الذي عاش نضو عذاب ، كلما جد الى النبع تلقاه السراب ، وحينما لمح النور وأغراه بالمضي خلفه ، واراه الحجاب ، فهو لا يبصر معنى النور إلا في الضباب ؟
وحينما نضيف الى ذلك قوله :

ولقد أيأسه ان يعرف النـــاس وان يعرف نفسه

نضع يدنا على برهان جديد ، لمفتاح شخصية الشاعر ، الذي قلنا انه (نفس تبحث عن نورها) ، وعلى وجه الخصوص حينما يؤمن بشيء — كالعقل مثلاً — ثم يكفر بـه ، ونجد هذه الظاهرة بارزة في أكثر قصائدة الفكرية والوجدانية .

ونأتي الى (خاتمة المطاف) ، وهي تسير على النهج الذي درسناه في شعره ، في أهدافها واتجاهاتها الفكرية والنفسية ، وكأننا نقرأ فيها تقريراً موجزاً عن رحلته الطويلة في عالم الحياة والأحياء :

تعبت من التجوال في غير طائل   وأبت من الترحال من غير نائل
فما أنا بالراضي بعيشة مانح   ولا أنا بالراضي بعيشة سائل

لقد ذاق أفانين النعيم ، فلم يجد فيها غير طعم واحد متشاكل ، وجرب ألواناً من الناس فتساوت عنده فضائلهم بأخزى الرذائل عندهم :

وقالوا بأن البؤس نعمة خالد   فألفيت البؤس نقمة زائل
ورحت لأهلي أنشد العون عندهم   فأرجعني نشدانهم غير آمل

فسيان في رأيه — ان سعى للعمل مع الناس ، أو توارى خلفهم غير عامل ، وان ذمه الناس أو أثنوا عليه ، وان شرب من المهيع الآسن أو من المنبع العذب ، وانه إذا كان أول صاعد الى العلياء ، فانه أول نازل عنها ، فقد زهده فيها انتصار الخداع ، واندحار الكفاح ، وانحناء العقول المستنيرة ، أمام المحظوظ ، كما يقول :

الا رب مجد قد تمناه باسل   فخاب ، ومجد ناله غير باسل
واكليل غار فوق جبهة ظالم   واكليل شوك فوق جبهة عادل

* * *

وكم من جدود فارغات تواثبت   على صهوات من عقول حوافل

والقصيدة كلها تسير على هذا النهج الذي يحفل بالجبرية والايمان بعدم جدوى السعي والعمل والكفاح. ومهما حاولنا هنا ، أن نشيد بهذه المزايا ودورها في تغيير حظوظ البشر ، فإن الواقع الأليم ، يذكرنا دائماً بأن المثل الشعبي الذي يقول : (درهم حظ خير من قنطار شجاعة) .. كان من يوم ان وجد الانسان على الأرض ، ولا يزال حتى الآن ، وسيظل – فيما نعتقد – إلى الأبد ، هو القانون الذي تسير الحياة على ضوئه ، وتتحرك حتى الآن في اطاره ، ولذلك لا نملك إلا أن نقدر موقف الشاعر ونتعاطف معه ، حين يقول :

وقال اصيحابي هلم ، فاننا	سنرحل ، كلا ، انني غير راحل
فليس ارتحالي بالذي ينبت المنى	بأرضي ، فخصبي قد غدا مثل قاحلي
وما أنشد المثوى فراراً من النوى	فرب منيخ ، حطه ، حظ قافل
إذا شرب الصادي فلست بشارب	وان أكل الطاوي فلست بآكل
فقد يفتك الماء النمير بظامىء	وقد تقتل المنهوم خير المآكل
وما ارتجي المحيا ولا اجتوي الردى	فأمسي ويومي ، كالغد المتحامل

وبمناسبة (اصيحابي) فقد قال الدكتور زكي مبارك، وهو يتحدث عن قصيدة أبي فراس الحمداني (أراك عصي الدمع) ، في كتابه (الموازنة بين الشعراء) ما معناه ان كلمة اصيحابي إذا لم تكن ضرورة الوزن هي التي ألجأته اليها ، فان أبا فراس أشعر الشعراء ، لاستعماله الدقيق لها .. وفي استطاعتي أن أقول نفس الكلام عن هذه الكلمة ، بالنسبة لشاعرنا الكبير .

أما بعد :

فإننا ونحن على وشك اتمام هذه الدراسة، نرى من واجبنا أن نخلص

منها الى ابراز أهم مميزات هذا الديوان وأولى هذه المميزات هذا الاتجاه الفلسفي الذي ينبع في معظمه من مشاعره وأحاسيسه ، ومن قلبه لا من عقله ، والذي يكاد يسير في خط واحد ، نستطيع أن نرجع اليه كل شعره ، النابع من أعماق ذاته ، ومن مكامن احساسه ، وهي ميزة لا نجدها إلا عند قلة نادرة من الشعراء .

وثاني هذه المميزات ، الديباجة الصافية والبيان المشرق ، والتعبير الأنيق ، والبراعة في توليد المعاني ، وتلاوين الصور ، وبعث الحياة والحركة فيها .

وثالثها الروح الانسانية الشاملة ، التي تعنى بمشاكل الانسان ، كل انسان . والتي تمتاز بما يسمى (روح العصر) .. والطابع البارز فيها هو القلق ، الذي نلمسه عند كبار الادباء العالميين . فشعر السيد محمد حسن فقي بهذه الميزة الملحوظة فيه ، يتجاوز النطاق المحلي المحدود ، الى النطاق العالمي الكبير ، الذي لا يستطيع الوصول اليه إلا الشعراء الكبار، ذوو الثقافة الواسعة الشاملة ، والموهبة الشعرية الفذة ، والتجاوب الكامل مع التيارات الفكرية والفنية التي يصطبغ بها عصرنا الحديث .

والميزة الرابعة تجسيد المعاني والأفكار والمشاعر ، وخلع الحياة المتوثبة النابضة ، على كل الموجودات التي يلمسها الشاعر بريشته الملهمة ، فتستحيل بين يديه مخلوقات حية ، تبادله ويبادلها العواطف والأحاسيس، يستوي في ذلك المظاهر الكونية ، بالخلجات النفسية ، بالرؤى العجيبة التي يقتنصها وهو في نشوة الابداع .

وميزة خامسة قد تبدو وكأنها متفرعة عن الميزة السابقة ، ولكنها تختلف عنها في اتجاهاتها الشعورية ، هي تفاعله مع الطبيعة وتعايشه معها، وإحساسه العميق بالوحدة الكونية الشاملة ، وبالروابط التي تربطه بها والتي يحس معها بأنه جزء لا ينفصل عن الطبيعة بكل ما فيها من مظاهر الحياة ، وبكل الموجودات والأحياء الذين تحفل بهم .

ولعل الاشارة بعد ذلك الى الخيال الواسع عند شاعرنا الكبير كميزة مستقلة ، لم يعد ذا موضوع ، ولكننا مع ذلك نحب ان نؤكد عليه هنا كميزة تلفت النظر في كل القصائد التي قرأناها له ، ابتداءً من القصائد التي نشرت في كتاب (وحي الصحراء) الى آخر ما يتحفنا به السيد من قصائد لا يزال يوالي نشرها ونحن نكتب هذه المقدمة .

والميزة السابعة التي تبدو بوضوح في كل شعره هي ما اصطلح النقاد القدامى على تسميته (بالحكمة) وهي أبيات تلخص تجربة عاشها الشاعر وخرج منها برأي أو فكرة . وهي عادة تمثل تركيز كل مراحل التجربة في بؤرة واحدة ، وابرازها كنتيجة لما مر به وعاناه خلال هذه المراحل.

أما الميزة الثامنة فهي اعتماده على الاسلوب القصصي في شرح أفكاره والتعبير عن مشاعره ، وهو اسلوب لا يلجأ اليه غير الشعراء الموهوبين ، الذين يعرفون كيف يستحوذون على مشاعر قرائهم ويجتذبونهم ، ويوحون اليهم بطريق غير مباشر ، بآرائهم وأفكارهم .

وتاسع هذه الميزات ايمانه بالحياة رغم التجارب المريرة التي كابدها في حياته ، والتي جعلته يسخط على الناس ، ويتخوف منهم ، ويحاول الابتعاد عنهم ، وهو ايمان ينبع من مكامن الانسانية في نفسه الطيبة الخيرة ، وينير له الدياجي المدلهمة ، التي يضرب في متاهاتها ، وهو يبحث عن الحق والخير والجمال . وتأتي بعد ذلك الميزة العاشرة ، وهي نتيجة طبيعية لايمانه الراسخ المتين. وهذه الميزة هي تماسكه الصلب وموقفه البطولي أمام خصوم القصيدة ومناوئيها ، وحرصه على الدفاع عن تراث العروبة ومقدسات الاسلام ، ومحاربته لكل المذاهب والنظريات التي تمس عقيدتنا وتحاول العبث بكياننا. وتجيء بعدها على الفور الميزة الحادية عشرة وهي نوازع الطهر والعفاف التي تسيطر عليه ، رغم ما يبدو عليه أحياناً من استرسال مع العاطفة وانطلاق مع دوافعها .

فإذا أضفنا اليها خمس ميزات أخرى هي :

استطاعته تقمص الشخصية التي يتحدث عنها بدقة مذهلة ، كما رأينا في قصيدته (مرآة الخريف) — مثلاً — واختياره للأوزان الشعرية التي تتناسب مع انفعالاته النفسية . ونفسه الشعري الطويل ، الطويل . ووضعه للقوافي في مواضعها الطبيعية ، دون قلق أو اضطراب . واتجاهه بالقافية من خلال سياق البيت : فإننا نخرج بست عشرة ميـزة لم تجتمع كلهـا حتى اليوم في ديوان واحد من الدواوين التي طبعت لشعرائنا ، بل انها لم تجتمع كلها إلا لعدد قليل جداً من الشعراء الذين نقرأ شعرهم بالعربية وذلك مما يجعل من هذا الديوان ، لوحة شرف، نمسكها باعتزاز وفخر ، ونباهي بها وبصاحبها الشاعر الكبير ، الذي استطاع بأول مجموعة شعرية يصدرها ، ان يخرج بشعرنا إلى الآفاق الرحبـة الواسعـة ، آفاق العالم الكبير ، غير المحدود .

عبد العزيز الربيع



مِنْ أَغْوَارِ النَّفْسِ



مَن أنــا ؟

منذ عَـهْد من الزمانِ بعيدٍ .. لستُ أدري عن بَدْئِـه وانتهائه !

كنتُ طيراً مرفرفاً فوق غصنٍ مائسٍ باخضراره .. ورُوائـه !

كان هذا الوجود روضاً أنيقـاً طرّزتْ أرضه أكفّ سمائه !

وأنا فيه ذَرّةٌ في مغـانيـه صدىً – ما يذوب – من أصدائه !

* * *

وحواليّ ألفُ لونٍ من الحسن .. تناثرْنَ في البساط الرّحيبِ !

فتحوّلْتُ وردةً .. وتبرّأتُ من الشوك .. في الربيع الخصيب !

لمَسَتْني الأكُفّ لمس حنان ورعتني العيونُ رَعْي حبيب !

لم ترعَني يدُ القِطاف .. فعمّرْتُ طويلاً .. بنضرتي وطيوبي !

* * *

ومضى الدهر راكضاً .. فتحوّلْتُ غديراً .. عَذْبَ النّمير .. رَوِيّا
يترامى العُشْبُ النّضير حواليّ .. ويشدو الغناءُ حُلْواً شجيّا !
ما منعتُ الورود طيراً ولا وحْشاً .. و لا صادياً آدميّا ..!
ورشفتُ الغمامَ يَهْزِجُ حتى .. عُدْتُ مثل الغمام قطْراً نديّا !

* * *

ورَعَتْني الحياةُ حيناً فأصْبَحْتُ بقلب الصحراءِ دَوْحاً ظليلا !
يشتكي السائرُ الهجيرَ .. ويسترْوح –إنْ لاذَ بي– النسيمَ العليلا !
كان رأسي يدورُ من وقْدة الشمس .. ويغلي .. وكان قلبي خميلا !
غير أنّي سعدتُ . أنْ كنتُ للخلْقِ – على شقوتي – المكانَ الجميلا !

* * *

ثم أمسيتُ صخرةً في جبالٍ .. شاهقاتٍ .. تهيمُ فيها الوحوشُ !
أتلظّى من وقْدة الشمسِ .. والشمسُ هنا .. في الجبالِ هذي .. شموسُ
والسّحابُ الذي يسحّ .. وعَصْفُ الرّيح يفري عناصري .. ويَنوشُ
ليس حولي بعد البشاشةِ والأنسِ .. وبعد الهناءِ .. وَجْهٌ بَشوشُ !

* * *





يا لها فترةً .. ولكنّ أنْكى .. ألْفَ ضِعْفٍ منها .. وأقْسى جِراحا
أنّني عُدْتُ رغمَ أنْفي .. فما اخترْتُ .. عُقاباً .. إذا أراد استباحا
ما يرى في الوجودِ شيئاً حَراماً .. بل يرى في الوجودِ شيئاً مُباحا
أيّ روحٍ هذي التي تنشدُ العيشَ رخيّا .. فتُزْهِقُ الأرواحا ؟

* * *

وتوَسّلْتُ للحياة .. فرَدّتْني .. لدُنْيايَ بعدَ طول المسير
بَشَراً .. فاستويْتُ في الناسِ ما أعرف عنهم— وَيْلاه — غير اليسير !
فغدوتُ الغريبَ فيهِم .. وما أنْكِرُ أنّي أخافُ فيهم مصيري !
يا سعيري الذي يُذيبُ .. أفي الناس سَعيرٌ يُذيبهم كسعيري ؟!

* * *

أنا أحيا ما بينهم .. بعد أن عشتُ شكولاً .. في جنّةٍ وجحيمٍ !
كيف استمرىءُ الحياةَ بأرضٍ .. لم أكُنْ بين أهلها بالمقيم ؟
أفأمْسي قد كان مني وإلاّ .. لم يكن .. فهو رحلةٌ في السّديمِ
قد تولّى فلم يَعُدْ غير حسٍّ .. باهت .. باهتٍ .. ككلّ قديمِ

* * *

من أنا ؟! هل أنا غير طَيْفٍ شاهدَتْهُ أحلامُ هذا الوجودِ ؟!
شَفَّ عنه الكَرى .. وضَيّعهُ الصّحْوُ .. وأخفاه عن عيون الشّهودِ !
أنا مثلُ الألوفِ في هذه الأرض .. رسيفٌ ما بين شتّى القيودِ !
أيّهذي السّدود .. هل نصرم العُمْرَ هباءً . ونحن خَلْفَ السدود ؟

* * *

وأنا اليوم كالغريب .. فقد كنتُ غديراً .. وكنتُ طيراً وزَهْرا !
وعُقاباً يخافه الطّيرُ في الجوِّ رهيباً .. وكنتُ في القَفْرِ صَخْرا !
أي عمر هذا ؟ وهل كان خيراً يشتهيه الأنام .. ام كان شرا
وأنا .. من رأى الحياة أفانينَ وحيداً ؟! أمِ الخلائق طُرّا

* * *

يا غريباً عن الدّيار .. عن الناس .. عن الخَلْق كلّهم أجمعينا
يا وحيداً طَوى السنين .. فراضَتْه .. وما استطاعَ أن يُروض السّنينا !
خَلِّ ذِكْراكَ .. ليس في الأرضِ ذِكْرى. مثلَ ذكراك تستثير الشّجونا
إنها أنت .. حين كان بك الغيبُ ضنيناً .. وكُنْتَ فيه جَنينا !

* * *

نَمَطٌ — كان للزّمان — فريدٌ ثم شاءَ الزّمانُ أنْ لا يكونا

إزميلٌ وتماثيل

أجرَعْتَ من ماءِ الحياة؟!وكيف لي ... يا صاحبي من مائها أن أجْرَعا ؟!
ما أستسيغُ من المناهلِ مَشْرَباً ... أو أستسيغُ من المخاضرِ مرْتَعا!
ألِفَ المرارةَ من تعوّدَ حلْقُه ... إنْ لم تَبُلّ صَداهُ .. أنْ يتوجّعا!
عفْتُ الغدير — وما يُعافُ — لأنني ... حاولتُ شُربَ نميره .. فتمنّعا!

* * *

يشكو الضّعيفُ من الضّراوةِ خيفةً ... منها . فإنْ جارتْ عليه تَضَرّعا!
فإذا تزايلَ ضعفُه من قوّةٍ ... مَسّتْهُ .. عاد بدوْره مُسْتَسْبِعا!
ولقد عجبْتُ له يُرَوّعُ صَحْبَهُ .. ... من كان بالأمسِ القريبِ مرَوّعا؟!
وعجبْتُ من عَجَبي . فليس صنيعهُ ... بِدْعاً . فإنّ لِمثْلِهِ أن يَصْنَعا!

* * *

هذي الطبائع لم تكن مُعْوجّــةً ولَنَحْنُ مَن ألْوَى بها .. وتَنَطّعا
مِنْ حيثُ تتّجه النفوسُ ترى لها في كل صَوْبٍ للرغائبِ مَطْمَعا!
ولقد يكونُ من المطامع مَصْرعٌ يطوى، فما تخشى النفوسُ المصْرعا!
فبريقُهُ يُضْفي عليه غُلالةً تُخْفيه عن أبصارهم أن تَهْلَعا!

* * *

ولقد رَثَيْتُ له . وقد أنْذَرْتُه يوماً .. فما أغْنى النّذيرُ وأسْمعا!
أفْضى إليه بِسِرّه . فَأذاعَهُ وهَفا إليه بِقَلْبه فَتَرَفّعا!
وبدتْ ملامِحُهُ له مكْشوفَةً لعيونه . فَلَها بها .. وتَقَنّعا!
لو أنّ من نَصَبَ الخِداعَ حِبالةً للصّيدِ أبْصَرَ نَفْسَه لتوجّعا!

* * *

وَهَفَتْ به الذّكْرى إلى آماسهِ فلقد وَهى بُنْيانُه .. وتصدّعا!
ما الأمْسُ إلاّ اليومُ . لولا رعْشَةٌ من شيبةٍ .. وشبيبةٌ لن تَرْجعا!
وستحمَدُ اليومَ المُضَعْضَعَ في غَدٍ فالدّهْرُ إذْ يمشي يزيد تَضَعْضُعا!
ما أضْيَعَ الأيامَ إلاّ فترةً .. طَرِبَ الزّمانُ لمجْدِها وتضوّعا!

* * *

وَتَغَلْغَلَتْ في نَفْسه أسْطُورةٌ   لم تُبْقِ فيها – للحقيقة – مَوْضِعا !
وأتَيْتُهُ فسمعتُ منه حديثَها   فتطلّعَتْ عيني له .. وتطلّعا !
جادلْتُهُ . فتَفَجّعَت لجداله   نَفْسي .. وأنكرَ مَنْطِقي فتفجّعا !
يا رُبّ مَوْهِبَةٍ تشتّتَ شَمْلُها   بالوهْم .. حتى ما تطيقُ تَجَمّعا !

* * *

وجَمَدْتُ حين رأيتُها قد أسْفَرَتْ   ونَضَتْ – فأنْكَرَتِ الحياءَ – البرْقُعا !
لَعَذَرْتُها لو أسْفَرَتْ في حِشْمَةٍ   فلَرُبّما كان الحجابُ تَصَنّعا !
لكنّها جَمَحَتْ .. فكانت فتْنَةً   كالرّوْضِ وَشّاهُ الرّبيعُ فأمْرَعا !
قد يُمْتِعُ الحُسْنُ الوضيءُ إذا بدا   ولقد يكون إذا تحجّبَ أمْتَعا !

* * *

ومَشَيْتُ في سُبُلِ الغوايةِ مُبْطِئاً   بفجاجِها حيناً .. وحيناً مُسْرِعا !
كنتُ الظّمِيّ . فما ارتويتُ بشَرْبَةٍ   إلاّ وزادتْني هوىً وتَوَلّعا !
كالمِلْحِ يتركُ في الحشاشةِ غُلّةً   هيهاتَ – ما أسْقَيْتَها – أن تُنْقَعا
لو يُرْجِعُ الدّهْرُ الشبيبةَ بعدما   ولّتْ .. لما أمْكَنْتُهُ .. أنْ يُرْجِعا

* * *

ولقد دَجَا لَيْلي . فَقُلْتُ لصُبْحِهِ   أسْفِرْ فأسْفَرَ بالضِّياءِ وشَعْشَعا !
فإذا بـه أنْكى عليّ .. لأنّني   أبْصَرْتُ فيه الصُّبْحَ عاد سَمَيْدَعا
إنْ كنتَ يا هذا الدّجى أفْزَعْتَني   فالصُّبْحُ كان – بما تكشّفَ – أفزَعا
يا مَرْبَعي .. يا من شَقِيتُ بصُبْحِهِ   وبِلَيْلِهِ .. إنّي اجْتَوَيتُكَ مَرْبَعا

* * *

يا مَوْطِنَ الأحرار .. إنّك مَوْطِنٌ   تَقِفُ الجبابرُ عند بابك خُشّعا !
نصرتْكَ أمْلاكُ السماءِ وأنْجَبَتْ   أرباضُ غابكَ .. من أعزّ وأخْضَعا
كُنْتَ النّسيمَ على المُسالِم رِقّةً   وعلى المخاصم .. كُنْتَ ريحاً زَعْزَعا
إنْ تَرْفَعِ الأحداثُ نحوكَ أصْبَعاً   بِنذيرها .. أدْمَيْتَ منها الأصْبَعا !

* * *

قد كان ماضيكَ المُنيفُ على الذّرى   فَخْرَ الزّمانِ .. فما أجَلّ وأرْوَعا !
نرنو إليك .. بحاضرٍ مُتَوَثّبٍ   يأبَى الطموحُ عليه .. أنْ يتسكّعا !
كيف الوصولُ إلى النّجومِ . ودونَها   للرّاغبيها .. ما يَقُضّ المضْجَعا .؟!
أوْحِ العزيمةَ .. أوْحِها .. يا ماضِياً   لليومِ .. للغدِ .. آمِلاً .. مُتَطلّعا !

* * *

إنّ الوشائجَ لن يَرِثّ جديدُها   وقديمُها يرعاهُ .. أو يتقطّعا !

غربة الرّوح

أين أرواحكم فإني حزيـــن   شَدّ ما راعني الفراق المبينُ ؟!

أين أرواحكم سئمتُ من الوحـ   ـدةِ واشتقتُ أن تحين المنون ؟

أنْكَرَتْ حاضري ميولي وهزتـ   ـني لماضي رجفة وحنين ؟!

وتلفّتُ أرتجي نظرة الحُـ   ـبّ فخابَتْ مما ارْتجيت الظنون!

إنّ حولي من التملّقِ والمَكْـ   ـرِ نطاقاً .. ترتد عنه العيون ؟!

كلما شِئْتُ أن ألوذ بأوهـا   مي لأنسى أبى علي اليقين ؟!

وشُجوني تمَرّدَتْ .. ولقد كنـ   ـتُ حفياً بها .. فأين الشجون ؟!

لم تذرني أقتاتُ منها وهل يطمـ   ـع في قوتِ روحه المغبون ؟!

* * *

إنّ كينونتي لتضرب في الأر   ض فما يعرف الوَرى من تكون!

نالَ منها السرى وضعضعها الأ   ين وجافى الهوى ، وعق الخدين!

هي في غربةٍ تحنّ إلى الإلف   ولو قادهـا إليه الجنـون !

* * *

يا لَبُؤسي لقد رضيتُ التفاها   ت قريناً .. فصدعني القرين !

قلت إني مثقفٌ فتبينت بأني في رأيهم مفتون !

وحسيب فعطعطوا فتواريت فإني بما ورثتُ ضنين !

وكفى . فجدفوا في الكفايا   تِ وقالوا تطاول المأفون !

ودؤوب . فجمجمَ الكسل التا   لد فيهم .. وما أطاقَ المجون !

ووفى — وما احتقرتُ بني الدّنيا كيومي — فالغدر فيهم دفين !

وصفوحٌ فحملقَ الغدر في وجـ   ـهي استياءً كأنّني مجنون !

ووديعٌ فأنكَرَ الطيشُ ما قلتُ كما تُنكِرُ القذاةَ العيون !

وطَمُوحٌ فطوّحَتْ بي إلى اليأ   سِ تيوسٌ تزينهن القرون!

وسَخِيٌّ . فاعجلوني بأطما   ع تجلّى فيها الفجور المهين!

ما الذي يبتغون . عزت نفوس   تافهات . ومثل نفسي تهون ؟

إنّ روحي يدبّ في ظلمةِ اليأ   سِ مهيضاً كأن روحي سجين!

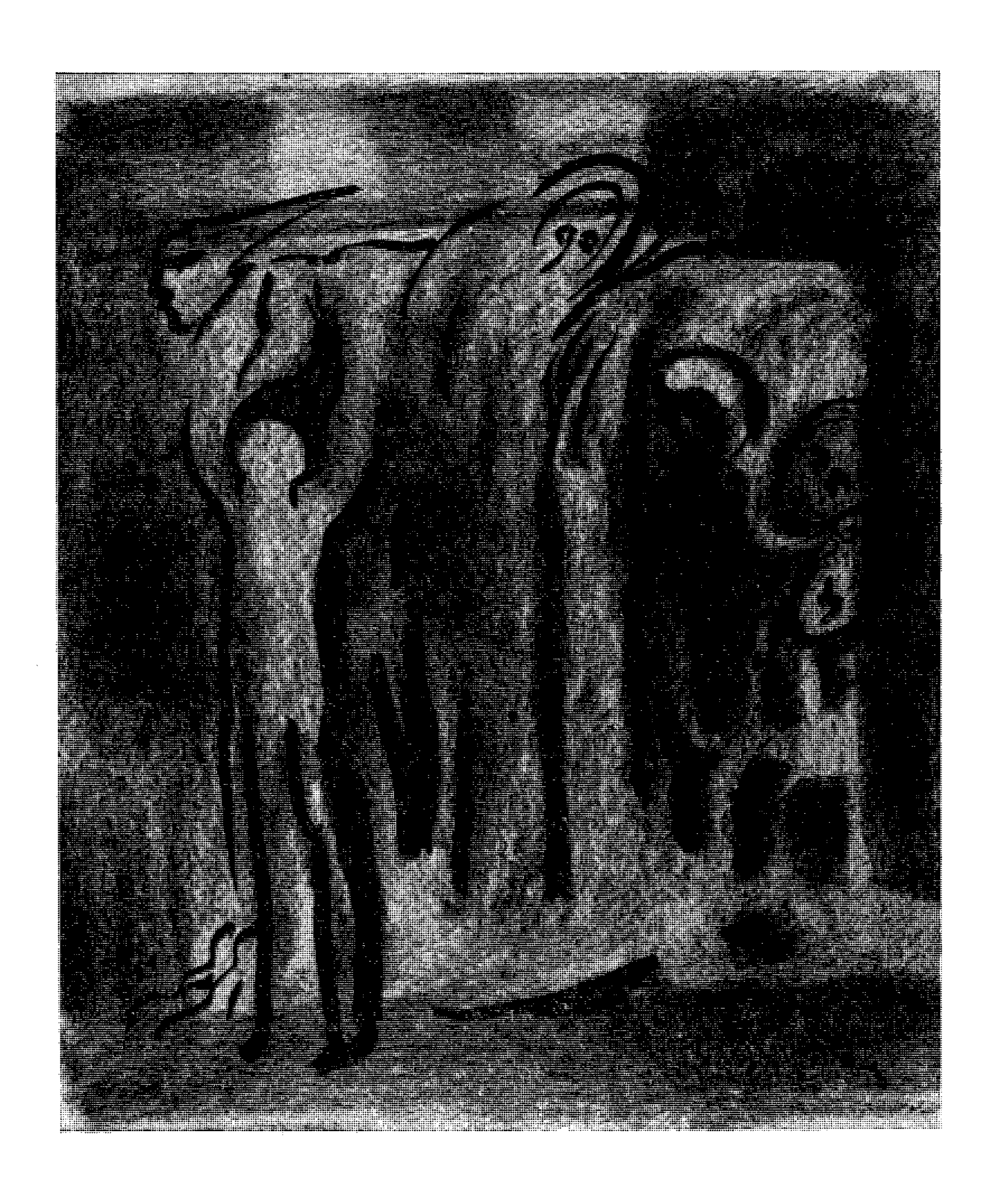
راسفٌ في قيوده ينشد العو   ن زماناً قد عزّ فيه المعين !

إنني ضيغمٌ وإن أنكَرَ الغا   بُ زئيري ، وإن جفاني العرين!

وبوجهي من الخطوبِ أخاديد تغذ المسير فيها السنين !

ربما نالتِ اللّيالي من الحُرِّ   ولكن قناته ما تلين !

* * *





إنّ روحي تجيشُ بالحُبِّ للنا   سِ وتطوي بين الضلوع السلاما

هي ما تحملُ الضغينة والشرّ وما تعرف القِلى والخِصاما!

وهي لو تستطيع عانقت الكو   ن .. ومَن فيه .. صبوةً وغراما!

جذبتْها اليه نزعة منهو   م إلى الحبّ .. ما تطيق الفطاما!

تستفزّ الأنام للأمل الحا   لم أنْ يطرد الضياء الظلاما ؟

تستفزّ الحياةَ للحُبّ فالحُبّ ربيعٌ ينضر الأيّاما ؟

أفأغنى هذا عن الروح شيئاً   أم سقاها الشقاءُ جاماً فجاما؟!

لقيت شر ما يلاقي المحبو   ن جزاء يبدّد الاحلاما !

* * *

إنّ في وحدتي ظلاماً يغشيـ   ـني وصمتاً يحيل روحي حطاما!

هي روحٌ جريحةٌ مزّقَ الطعـ   ـن حشاها .. فما تخافُ الحُساما !

ما الذي فيك أيها الروح يقصيـ   ـك، ويدني إلى السموّ اللئاما ؟!

أنتِ عملاقةٌ فلا تمنحي الود   — إذا ما منحتِه — الاقزاما !

إنّ أنفاسهم يضايقها العطـ   ـر فكوني ضنينة بالخزامى !

لا تَضيقي بهِم فمن صرم العمـ   ـر انحطاطاً يخافُ أن يتسامى ؟

هو لُغزٌ منذ الخليقة ما انحل وما زال يُعْجِز الافهاما !

وهو سِرّ الألى جفوكِ . وقدكا   ن صَغاراً جفاؤهم وأثاما !

ما الذي فيكِ غير ما يحسد النا س صفاءً وطيبةً وتماما !
لستِ في غربةٍ . فما تعرف الغر بة روحٌ .. تفجّرتْ أنغاما ؟
لستِ في وحشةٍ . فما تعرف الوح شةُ روحٌ تجلّلَتْ إلهاما !
لستِ في وحدةٍ . فما تعرف الوح ـدةُ روحٌ تمثّلَتْ أقلاما !
أنتِ دنيا حفيلة بالفراديـ س تناهتْ حُسناً وطابتْ مقاما
لن تُراعي بغربةٍ – أيها الرو ح – إذا كنتِ تمتطينَ الغماما !
أو تُعاني ندامة من تجافيـ هم فهم سوف يصبحون الندامى
قد يكون اللّظى على الروحِ برداً ويكون الفردوس منها انتقاما !
حينما يصبح السمو اتهاماً يصبح الناس كلهم انعاما !

* * *

إيه يا روح إنه القلق المضـ ني جنينا من روضه الآلاما !
هو زيت النبوغ يلهب مسرا ه .. فيطوي الامداء والأعواما
لا يُبالي أوَحْده واصَلَ السيـ ـر أو أن الطريق ضجّ زحاما ؟

* * *

إنما نحن في الحياةِ أساطيـ ـرٌ ووَهْمٌ يُساير الأوْهاما !

مجدُ الطّهر !!

جاءَتْ إليه . وطفلةٌ تمشي — مِن خلْفِها . وأمامها طِفْلُ
كزجاجةٍ شُرِخَتْ . وأمْسكها — من أن تَساقَطَ ، هَيْكَلٌ عَبْلُ
وكأنّ قامتَها .. وما حمَلَتْ — غُصْنٌ يميل بعُودِهِ الحَمْلُ
في وجْهِها ألَقٌ يُرَقْرِقُه ... — ماءُ الشباب . وعِزّةٌ تغلو
طَمِعَ الغلامُ بها .. فحاولَها ... — فتجنّبتْه . وحاولَ الكَهْلُ
فرأى النّبيلُ مفاتناً صَدَفَتْ — عنه .. فكفكف غَرْبَه النّبْلُ
ورأى السفيه بأنّها بَخِلَتْ .. — فأثاره — لسفاهه — البُخْلُ
هي حرة .. لا البُخْلُ يَشْنَؤُها .. — فيما تحاولُه .. ولا البَذْلُ

* * *

كادَ الزّمانُ لها .. فأثكلَها .. — ولقد يُزَلْزِلُ ربّه الثّكْلُ
وتزوّجَتْ .. فإذا بفرْحتها — يمضي بها — لهلاكه — البَعْلُ
فاليوم ليس لها .. لِشقْوتِها — بَعْلٌ .. وليسَ يعولها أهْلُ

* * *

قالَتْ له .. وبحلْقِها غُصَصٌ — شدّتْ عليه .. كأنّهـا الحبْلُ
وبنفسها ممّـا تقـولُ جـوىً — ولقد يكيد نفوسَنا القَـوْلُ
قد جئتُ أسألُ سيّدي عملاً — والحُرّ ينجحُ عنـده السّؤْلُ
إنّ الذّئابَ غـدت تناوشني — وأنا .. يذيب حشاشتي الأكْـلُ
فإذا استَلَنْتُ . فقـد تُسمّمني — أمَدَ الحياة .. نيوبُها العُصْـلُ
فاعجلْ إليّ .. فقد يُداهمـني — خَطَرٌ . وقـد يتحيّفُ المَطْلُ
ولو أنّني في البُؤْسِ واحدةٌ — لم يَطْوِني — لكليهما — الـذّلّ
كالبُرعُمَيْن .. نضارةً وشَذىً — فإذا رأيتَ .. رأيتَ ما يحلـو
ألعيشُ لَيس لـهُ بدونهمـا — طعمٌ .. وأبْرَدُ مشربي مُهْـلُ
فهما من الدّنْيا .. بما رَحُبَتْ — شُغْلي .. إذا مـا عزّني الشّغْلُ
لو كنتُ أعْمَلُ .. طابَ لي عملي — أو كنتُ أغزِلُ طابَ لي الغزْلُ
أسعى لأجْلهمـا .. ويُسْعِدُني — أن يَسْعَدا .. ويَرُوعني الهَوْلُ
أخْصَبْتَ .. لا أمْحَلْتَ في بلدٍ — يَجْني — على حُرُماتِه — المَحْلُ
ألفَضْلُ يُعْرَفُ من مخـائلـه — ولقد عرَفْتُ .. فها هنا الفَضْل

* * *

ورأى الكريمُ .. على مبـاذله .. — حُسْناً .. وليس كمِثْلِهِ مِثْلُ
حُسْناً يَشُدّ إليـه ناظِـرهُ — ويخيب في سلُوانِـهِ العَـذْلُ
كالرّوْضِ تَنْشِقُ من أزاهـره — طِيْبَ الشّذا .. ويَرُوقُكَ الشّكْل

أُلطّهْرُ يعصمها .. بفطرتــه وَيَرُدُّهـا عن غَيِّهـا .. العَقْـلُ
يُغْرِيكَ منهـا دَلُّها .. فإذا .. حاولْتَ منه .. تجهَّمَ الـدَّلّ
كالشَّهْدِ تُبْصِرُهُ .. وتَحْسَبُهُ سَهْلَ الجَنَى .. فَيَصُدُّكَ النَّحلُ

* * *

أغْضى لها .. ورأى بمقْلَتِهـا جِدّاً .. يذوب أمامَهُ الهَـزْلُ
كَمْ حُرَّةٍ .. فَنَعِتَتْ بمتْرَبَةٍ .. فكأنَّ طلَّ حياتِهـا .. وَبْـلُ
وتمَرَّغَتْ في الوَحْلِ غانيَـةٌ فهَوى بها .. لحضيضه الوَحْـلُ
ما كان يُغضي .. حين تَفْتِنُهُ يوم الصبابـة .. أعْيُنٌ نُجْـلُ
قد كان يَفْتِنُها .. وتَفْتِنُـه فَكِلا سبيليْ حبّـه سَهْـلُ
كلّ الحسانِ .. لدى تَجارُبِه .. حتّى يَعُدْنَ فرائساً .. حَقْـلُ
واليومَ يُغْضي حين يُبْصِرُها ويُصيبُه مِنْ عِلْمِهِ .. جَهْـلُ
وَهْيَ الطّريدَةُ .. غَيْرُ مُثْخَنَةٍ فلقد أضَلَّ طريقَهـا النَّبْـلُ
وهو المُطارِدُ .. ليس يُعْجِبُهُ إلاّ الفخار . . بأنّه الفَحْلُ

* * *

أعْطى .. ولم يأخُذْ وكان لَهُ ماضٍ يُساوِمُ حُبّه .. قَبْـلُ
ولقد هداهُ لفِعْلِهِ .. ألَـمٌ من أمْسِهِ .. فتَبارَكَ الفِعْـلُ
الحُرّ يَأنَفُ من سَعادَتِـهِ يَأتي بهـا .. ويروضُها الخَتْلُ

فـــروقـــ !؟

يا للتّبابْ

يا للتنابز والسّبابْ

يا للفضائح تَزْكُم الآناف في وَضَحِ النّهارْ

وفي دجى الليل البهيمِ ..

فما يقرّ لنا قرارْ

ولا يقوم لنا اعتبارْ

إلا إذا قام اعتبارٌ للصّغار

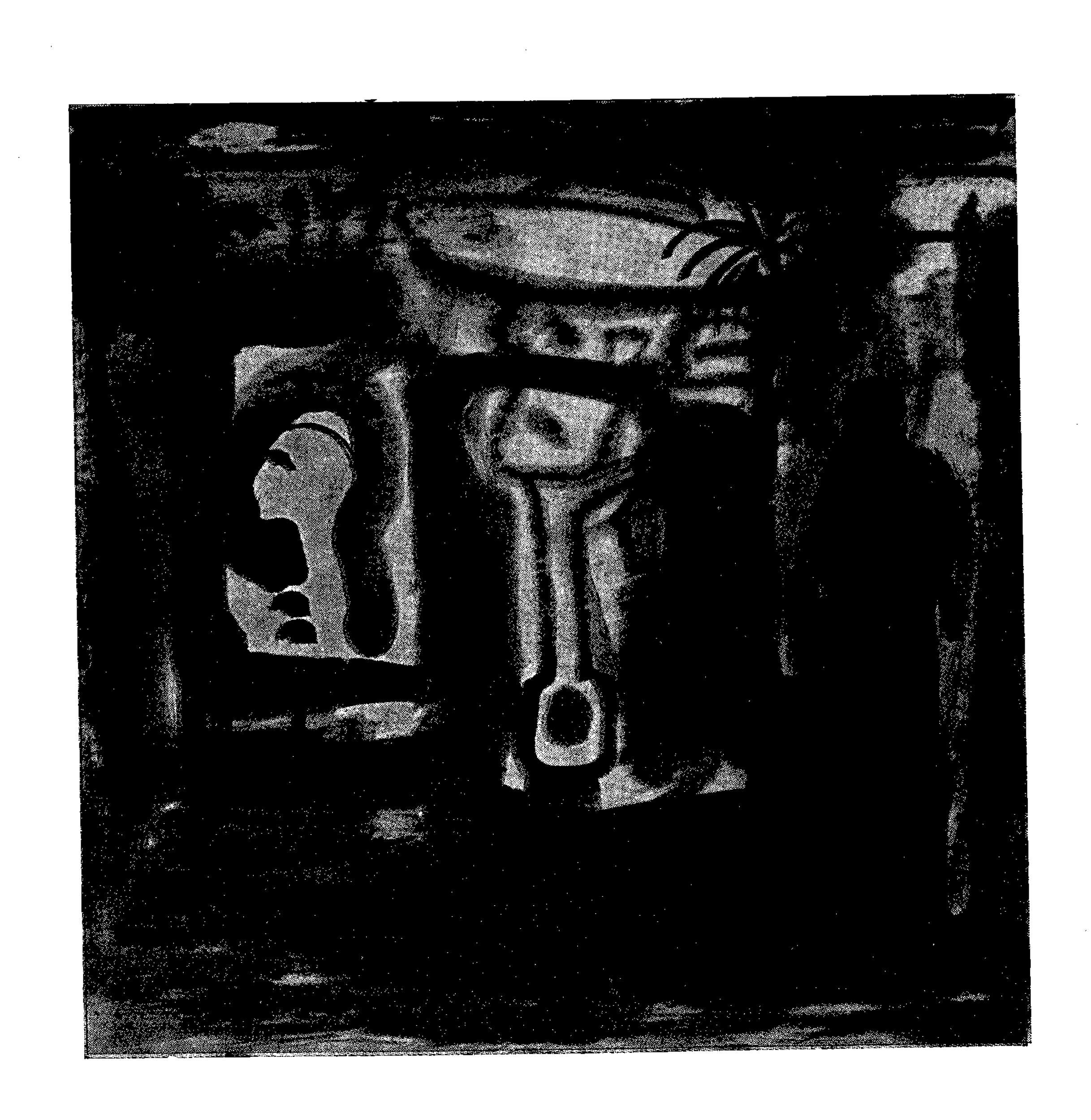
ومن يُقيم له اعتبارْ ؟!

غير التشرّد والخصاصة والعقوق

وصَيْحَةٍ دَوّتْ . فعطّلتِ الفروق

وكيف لا تَبْقى الفروق ؟!

وقد أتينا للحياة بها .. وتَبْقى للممات



هذي السّماتُ تُميّز الأحياءَ في هذي الحياةْ ..
بل ميّزتْ .. من غير أبناءِ الحياة .. من الجماد .. من النباتْ
أنضيقُ ذَرْعاً بالفروق ؟! لقد جَهلْنا .. أو ظَلَمْنا ..
قل للدّعاة الناقمين بغير حقّ .. كيف جئنا ؟!
أفَلَمْ يكنْ فينا القويّ .. من الأجنة .. والضعيفْ ؟!
أفلمْ يكن فينا الدّميمُ .. بغير ذنْبٍ .. والوصيفْ ؟!
أفلمْ يكن فينا الغبيّ .. وقد يكون أخا الحصيفْ ؟!
هذي نواميس الطبيعة .. نحن أبناءُ الطبيعهْ ..
أفيحسَبُ الإنسان يعصيها .. أيحسَبُ أن تُطيعهْ ؟!
كلاّ .. فليس أمامه إلاّ الخسارْ .. إلا البوارْ ..
لن يستطيع .. إذا تجاوز حكمها .. أيّ انتصارْ ..
وسينقضي العُمْرُ القصيرُ .. أو الطويلْ ..
بين التّجاربِ ..
بين إبرامٍ ونقْضٍ ..
ولعلّ هذا العُمْرَ يمضي ..
والناس للأبطال .. من فوق المنابر .. يسمعون
فيَعْجَبونَ .. لأنهم لا يفهمونْ ..
لكنّهم يتقبّلون .. لأنهم لا يقدرونَ ..

على التّجاهُر بالخلافِ ..
فما الذي يُجْدي الضّعافَ
خلافُهمْ .. ونكولُهمْ ؟!
فقلوبهم .. وعقولُهم ..
هيَ للمذاهب .. للدّعاة لها
وليس لهم سوى أن يُذْعنوا ..
أنْ يَقْبلوا ما قيل .. بل أن يؤمنوا ..
حتى ولو كانت أباطيل الهُراءْ !!
حتى ولو سخِرتْ بأحكام السّماءْ !!
والعيش بَعْدُ لمن أطاعَ !!
لمن تحَمّسَ للسماعْ !!
والويل .. كلّ الويل للمتمردينْ ..
للناقمينَ ..
فإنّهم بعض الرّعاعْ ..
سقْطُ المتاعْ ..
ولهم .. وليس لغيرهم – هذي السّجونْ ..
هذا العذابُ .. وقد يجرّ إلى المنونْ ..
فإذا قَضَوْا .. فإلى الجحيمِ ..

ككلّ شيطانٍ رجيمْ ..
فالعيشُ .. ليس لهم .. ولكنْ للحميمْ !!

* * *

إنّا لنؤمن بالعدالةِ ..
حين نؤمن بالفروقْ ..
أيّ الفروقْ ؟!
ليست فروقَ الجنس ..
إنا كلّنا — أبناءُ آدمْ ..
ليست فروق الدين ..
إن الدّينَ .. دينَ الله أكرمْ ..
ليست فروق المال والأمجاد ..
إنّ المجد والأموال سُلّمْ ..
لكنّها .. تلك الفروق ..
فروقُ موهبةٍ وعقْلِ ..
فروقُ أخلاقٍ وفضْلِ ..
لا بد أن يمتاز أهلوها ..
وأن يتفوّقوا ..

أوْ قُلْ .. على الدّنْيا السلامُ ..
على العدالة والوئامُ ..
إنْ أجْزَلَ الدّهرُ العطاءَ لهم ..
فلن نستكْثرا ..
أبداً .. ولن نستنْكِرا ..
أو نحن نغتصب الحقوقْ ..
بِاسْمِ الفروقِ ..
وباسم من خاف المواهبَ والعقولْ ..
أن لا تدين لحكمه .. أو أن تغول ..
فمضى يقولْ ..
هذا الجهولْ ..
ويُتْبِع القولَ المهولْ .
بالسّجْن .. والتّشْريد .. والعسْفِ الشديدْ ..
باسمِ العدالة .. والسلامْ ..
ويْح الجهولِ .. من الختام ..

وَسَاوِسُ الإيمَان

تطلّبتُ من دَهْري أموراً أريدها … فضنّ . وأعطاني التي لا أريدهـا
ولمّا تَعاتَبْنا تجهّمَ وجهه .. … فأيقنتُ اني في الحياةِ شهيدها
وأيقنتُ أن الخلقَ عبدان غايةٍ … تُكبّلُهم أهوْاؤهـا وقيودهـا
فما عادَتِ الأيامُ بيضاً تسرّني … وما عادَ يشقيني من الخوفِ سودها
وما عُدْتُ أسْعى للغنى تستفزني … اليه حماقات عمتهـا نقودهـا
فليس بمجديني الغنى إن تطامنتْ … لَهُ عنقي حتى يلـين شديدهـا
وكمْ من غني ناطحتـه وعولهـا … وكمْ من فقيرٍ جـانبته أسودهـا
ويا رُبّ نعمى لوكشفتْ غطاءها … لولى فراراً من قَذاها حسودها
إذا كانت النعماءُ لم تضف عزّة … عليّ فلا دامت عليّ برودهـا

* * *

وما المجدُ ؟ إنّ المجدَ صبوة طامحٍ إلى قِمّةٍ أعْيَا الأنامُ صعودها
معابرها ملسٌ . فإنْ زَلّ صاعد إليها . فما في السفحِ إلاّ جحودهـا
وكَمْ ناعمٍ بالمجدِ لو أنّ مجدهُ .. تعرّى .. لضجّتْ في السماءِ رعودها
تَقَمّصه الشيطان حتى تحجّـرت مشاعره واستنكرَتْها شهودهـا
فما لي وهذا المجدُ شاهَتْ وجوهه وكان لغيرِ اللهِ كُفْراً سُجودها

* * *

وما الشّعْرُ ، إن كانتْ حبالة قانصٍ قصائده .. أو كان لَغْواً نشيدهـا
فما هُوَ إلاّ في تجلّيه نغمـة سماوية مـا يَسْتَفيقُ عميدهـا
تَسامتْ عن التهريجِ فامتدّ ظِلّها.. وعزّتْ على الإجدابِ فاخضرّ عودها
ويا رُبّ مَفْتونٍ تمنّى وِصالها.. فأيأسه لمّا تَناءَتْ صدودهـا
وذي مَنْطِقٍ قد رامَها فتمنّعت عليه . وأعْيَته اقتِحاماً حُدودها

* * *

وما الدّينُ في هذي الطقوس وإن بدتْ مظاهر قد يطوي القديمُ جديدها
ولكنّه روحٌ تَشِعُ بنـورهـا على ظلماتٍ ضَلّ فيها رَشيدها
إذا ما اطْمَأنّتْ للطريقِ مشَتْ بها ولو كان فيها حَتْفها وخمودها
ألا ربما يحمي العقيدةَ هيكلٌ .. ولكنّه جُنْدُها لا نديدها

وما نحن . لو أنّ العقائدَ أفلَسَتْ؟ ولم يبقَ إلاّ زيفها وجمودها
وللعِلْمِ آياتٌ تبَدّتْ نُحوسها فهل تتبَدّى للعيونِ سُعودها
رأيْناه[1] يعطي للحروبِ سلاحها فتأكل منا نارها وحديدها
ويمشي على الاشلاءِ طغيان فاتح فتلعنه أرواحها ولحودها
إذا العِلْمُ لم يحمِ السلام فاننا طرائد بلوى ليس ينجو طريدها
وإن هو لم يخصب لنا العيش حملت وسائله أكتافنا ما يؤودها

* * *

وما الحُبّ إن لم يشمل الكونَ كله ويَسْمو بأوطارِ الهَوى ويَقودها
أفي الثغرِ ، أم في النحرِ يلقى جزاءَهُ لَبِئس صريع الغانيات شريدها
إذا نحن أهدرنا الحياة رخيصة لغيدٍ . فلا كانت ولا كان غيدها
وفاتنةٍ نشوى تكيدُ بسحرها تصدى لها من سحرنا ما يكيدها
لنا نظرةٌ في الحُبِّ الا تصيبنا تفاهاته الا تهاوت بنودها

* * *

تباركت ربّي ان نفسي تطلّعَتْ لدنيا سلام ما تجيش حقودها
لقد أصبحتْ . والارض كفة حابلٍ وأغوارها مسدودة ونجودها

---

١ اي العلم .

فهل تسترّيب اليوم إن حان حينها وحانَ إلى باري النفوس ورودهـا
وهل يترّاءى كوكبٌ في سمائها .. فيهدي سراها . أم عماء يبيدهـا
وها هي من بعد الردى مطمئنة إلى وعدها . أم نالَ منها وعيدها
وهل هي روح هائم أم مصفـد باغلاله . حتى يريـد مريدهـا

* * *

لقد بِتّ ما أدري الحياة أم الردى سبيلي إلى أرضٍ يطيب صعيدها
وهل تتمنى النفسُ أن يعصف البلى بها دون رجعى . أم مناها خلودهـا

أشـــباح .. ؟!

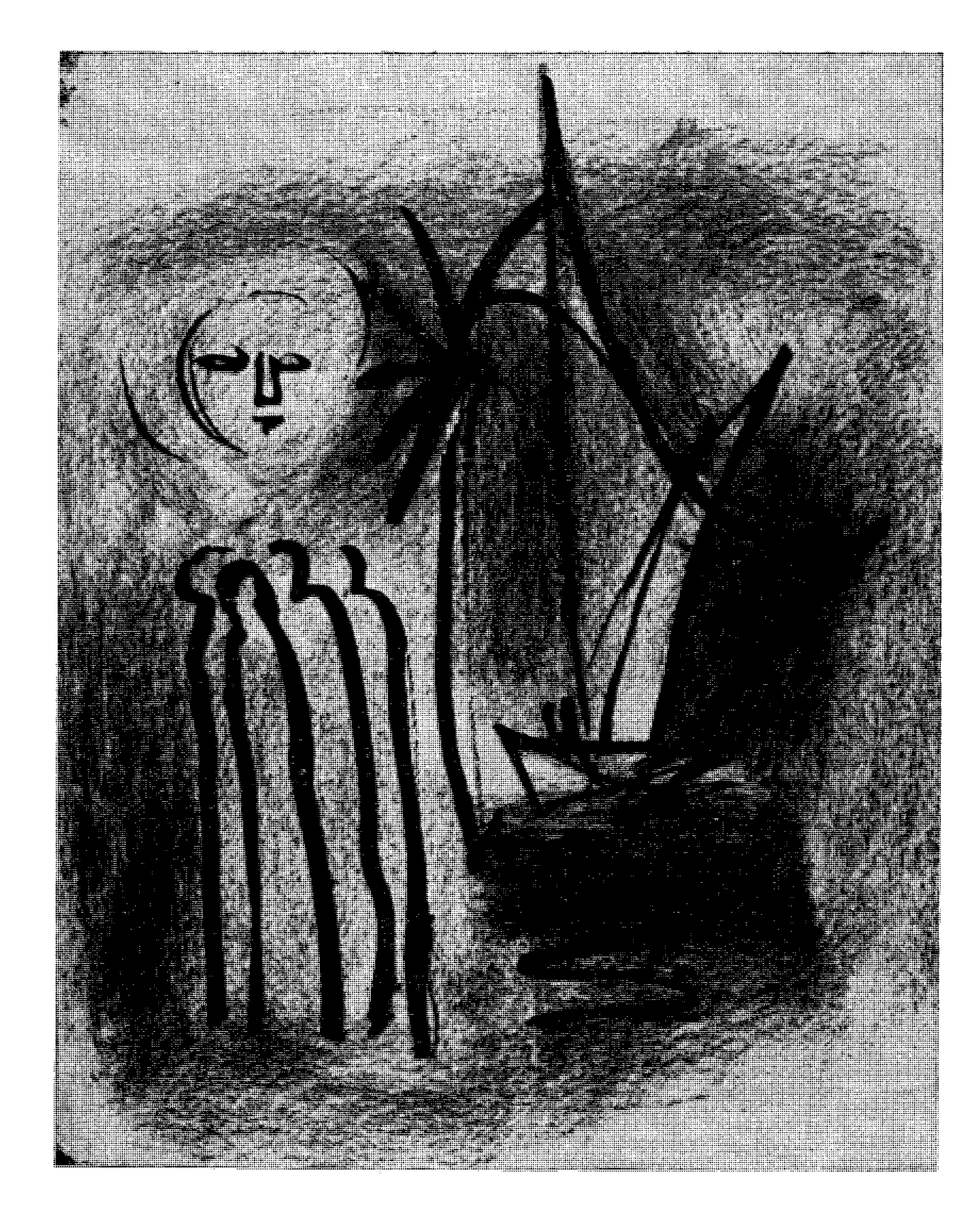
كدتُ من فرطِ ما أحنّ إلى الحُبِّ .. اشمّ العبيرَ من كلّ دربِ
وأرى ومْضـه يشعّ .. ليهديني سبيلي .. لولا ضلالةَ قلبـي
آه من ضيعتي فكَمْ أشْتَهي الخير .. ولكنّه يضيقُ بقُرْبي
إنّ نَفْسي كالقبرِ هَوْلاً .. وكالليلِ سواداً .. أدُبّ فيها برعبِ
هذه ثلةٌ من الناسِ حَوْلي .. في اغْتِباطٍ .. وما يحسون خطْبي
أتلظّى من الحَقارَةِ والاثمِ .. وأبكي على شبابـي وشـيبـي
أتراني أنّى اتجهتُ أرى الحكمة .. إلا إذا اتجهت لصوبي
شَدّ ما أرتجي الخلاصَ .. وأجفوهُ .. فأحيا ما بين شَدٍ وجذبِ
قال لي الشرّ مرةً . وهو جـذلان بأنّي إذا دعاني ألَبّي
لمَ تقسو عليّ حيناً وتجفوني .. وتأبى إلا مـلامي وشَجْبي
مـا أبالي بمـا تقول .. فما دمت مطيعاً . فإنّ ذلك حسبي

* * *

قلتُ للشرِّ .. انني لستُ شريراً .. ولولاكَ لم أكن عربيــدا
قدْتني للضلالِ حتى تخاذلتُ .. فلم أقْوَ أن أكون رشيدا
ودهــاني الاغراء منكَ .. فما أملكُ إلا الخضوع والترديدا
كلّ يومٍ أرى الجديد .. فيُغْريني .. فما أستطيبُ إلا الجديدا
أتراني فسدت .. ما يثمر النصح بنفسي .. إلا الابــاء العنيــدا
وتماديتُ في العماء .. وآثرتُ على الهدى أن أكون مريدا
كلما قيل لي تريّثْ .. تجاهلتُ .. كأني أرى الشقيّ سعيدا
وأنا في تخبّطي أعرفُ الحَقّ .. وما أجهلُ الضلال البعيدا
غير أني مكبّلٌ يرهبُ القيدَ .. فما يستطيع عنــه مَحيــدا
كلما حاولَ انفِلاتاً من الأسْرِ .. يناديه ان توقّ الحديدا
فأراه مثل السّوار فــأرتد .. وأختــار أن أعيشَ شريــدا

* * *

وَيْحَ نفسي أرى رفاقي .. فما أبْصِر فيهِمْ إلا نقاءً وطُهْرا
أأنا الخاسِرُ الوحيد .. فما أزجر نَفْسي عن الغوايةِ زجْرا
ألَهُمْ أنفس يباركهــا الخيرُ فتَصْفو ؟! ومــا يُبارك شرّا
أمْ هو الداءُ قد تمكّن حتى .. عافَه طبه .. كما عافَ قبرا
وهو اليأس .. ما يرجى من الإثمِ نجاة .. وما يرى فيه نُكْرا





كلّما شَدَّهُ إلى الخيرِ حبلٌ .. بترتْه يَدُ الغِوايــة بَتْرا
يتراءى له الشّعاع فترخي .. سدفة الليل – دون مرآه – سِتْرا
فيُنادي .. وقد تخبّطَ في التّيهِ .. فيلقى من المسـامعِ وقْرا
يا رِفاقي .. وقد تضعْضَعَ فِكْري .. هل رفيقٍ يعيرني اليومَ فِكْرا
لا تَضيقوا ذَرْعاً بكَلّ عليكم .. ربمـا كانت المَودّةُ اصْرا
قد تلمّسْتُ في الدّياجي طريقي .. ومشيتم .. والشمسُ تسطع ظهرا

* * *

ربما شَعّ في الظلامِ شُعاعٌ .. وتَعالَتْ على السراةِ الرعاعُ
لا تضنّوا عليّ بالقبسِ الهادي .. فإني من الدّجى مرتـاعُ
لو سباعٌ عَوَتْ عليّ .. لما ارتعْتُ .. ولكن عوتْ عليّ الضباعُ
لستُ أخشى من الضياعِ .. فما فيّ بقايا .. يُخيفهنّ الضيـاعُ
شَعّ بالشيبِ مفرقي وبنفْسي .. جنباتٌ يرتدّ عنهـا الشّعـاعُ
أجَبانٌ عن الهُدى ؟! وشُجاعٌ .. في الهَوى .. بئسما يكون الشجاعُ
يا رِفاقي ودّعتُمو اللّهوَ من قَبْل .. فما لي يهول نَفْسي الوَداعُ
شَدّ ما أتّقي الصراع .. فيشقيني بلاءٌ يهولُ فيـه الصّراعُ
لو تمتّعْتُ ما شكوتُ ولكن .. فاتني – رغم ما ارتكبتُ – المتـاعُ
فأنا الخائبُ الذي عافَهُ الإثمُ .. ولكن جَنى عليـه السماعُ

وأنا .. مَنْ أنا ومَنْ أنْتَ ؟ إلاّ .. مركبٌ قاده — فسار — الشراعُ
هانَ فينا ربّ الحسام .. ومـا ردّ بلاء عن حـامليه .. اليراعُ

* * *

ربما كان لي غدي .. فإذا الأمسُ رَمادٌ .. تَذْروه هوج الرياحِ
فإذا بي .. بعد التعثّر في القيدِ .. شديد الرّضى .. طليق السراحِ
وإذا بالحياةِ .. بعد انْهِزامي .. كرةً بعد كرةٍ .. في كفاحي
تتجلّى بوجهِها .. فأراها .. شَبَحاً — مثلنا — من الاشْباحِ
واجهتني حَيْرى .. وقالتْ أتخشاني ؟! وما أنت غير ريش جناحي
لا تخِفْني .. فانّ همّكَ همّي .. والجراح الّتي تسيلُ جراحي
وتراني — مثل الألوف من الناس — فتخْشى أسِنّتي وصفاحي
وأنا — لو علمتَ — عزلاء .. ما أدفع خسري .. ولا أجرّ رباحي
ذَرّةً في الفضاءِ .. ليس مسائي .. عارِفاً بالذي يجن صباحي
ثُمّ خَفَتّتْ إلى القيامِ وقالتْ .. أين أودعت — يا بُنَيّ — وشاحي
لا .. فإني نسيته عندما جئتكَ أسْعى .. ومـا خشيت افتضاحي
عَجَباً للحياةِ .. ما كنتُ أدري .. أنها لعبةُ القضاء المتـاحِ
قد تبينتُ في ملامحها الضَعْف .. فكفكفْتُ فرحي .. ونَواحي
كيفَ أشكو ؟ وقد شكَتْ لي .. فأصبحنا سواء .. في خيبةٍ ونجاح

* * *

يا حياتي .. ما أنتِ إلاّ هَباءٌ .. فلماذا نسيرُ خلفَ الهَباءِ
وسَرابٌ .. فما تبلّ غليلاً .. منه للظامئينَ .. جرْعة ماءِ
ورداءٌ مُنَمْنَمٌ .. يخلبُ اللبّ .. ولكنّه رداءُ الفَناءِ
وصغارٌ يهوي إلى الأرضِ بالنّاسِ .. فما يدركون مَجْدَ السماءِ
ظَنّهُ النّاس كبرياء فلما .. عرفوه .. بَكَوا على الكبرياءِ
نحن مَنْ صَنَعْنا سُمُوّاً وخفْضاً .. ومتاعاً .. بالنّسْكِ والإغراءِ
فلماذا نَضيقُ ذَرْعاً بما نَصْنَعُ .. حتّى نضلّ في بَيْداءِ
فإذا ما احترقْتُ من وَهْجِ الإثمِ .. فماذا يُجدي عليّ بُكائي
كيف أشكو .. وجَنّتي من صَنيعي .. وجحيمي .. وعلّتي ودوائي
أنا مَنْ آثَرَ المَتاعَ على الزهْدِ .. فَوَيْلي من شقْوَتي .. وهنائي
ولقد لُذْتُ بالرّضى .. وتوخيتُ سلامي .. في الحُبّ لا في العداءِ
وتجرّدْتُ .. وانطلقْتُ أجاري .. صبوتي في الوضوحِ لا في الخفاءِ

* * *

قد خشينا الحياةَ .. ثمّ عرَفْنا .. انها خشية من الاحياءِ

مِـــرْآة الخَرِيفـــ

تطلعتُ للمرآة فاستهولتْ عيني — مرائي ما كانت لتخطر في ذهني

غزا الشّيب شَعْري فاستحال سواده — بياضاً . وحسني رحمتاه على حسني

وكان قَوامي السبط كالرمحِ فانحنى — من الرّيح حتى عاد قوساً من العهنِ

وخَصْري تناهى في النحولِ كأنّه — سِوارٌ يحزّ اللّحمَ في معصمٍ لـدنِ

وقد كان وجهي في الدّجنةِ كوكباً — يضيء فيستهدي بـه خائض الدجـنِ

ونفاثتا سحرٍ كعيني ما اشـتهَـتْ — عيونٌ . ولا ذابتْ قلوبٌ من البـينِ

وأنْفي ككليوباترة مُتَطَلّعـاً — إلى عاشِقِيه في تباعدٍ مستدنـي

وقد كان صَدْري شامخاً متوَثّبا — كأنّ بمسحوريه مَسّاً من الجـنّ

وقد كان غُصْني بالثّمارِ محمّلاً — ونَهْداي أشْهى ما تُطالع في الغصن

وردْفايَ هزّا باهتزازهما النّهى — فَضَلّتْ وعاذَتْ بالرّشادِ فلم يغنِ

وساقايَ لما تَسْتفق من طلاهما — نواظر .. جنت في محاجرها الرعنِ

ويا رُبّ يومٍ قد زهوت بمعصمٍ — يكادُ من النّعْمى يسيلُ بلا وهنِ

وزند كنورٍ شَفَّ عنه غِلافُــه   فبانَ .. وخمر قد تراءتْ من الدّن
وجيد . فما ظبي الكناس وجيده   وما كلّ ما أوحَتْ به روْعة الفنِّ
ونحر تخال السّحر في قسماتــه   يضجّ بلا صوتٍ . ويردي بلا طعن
وثغر إذا ما افترّ تحسب انّــه   ربيعٌ ضحوكٌ من مداعبة المزنِ
وظهر تندّى بالعبيرِ فلن ترى   وتستاف الا فتنــة الأنف والعينِ
وبطن يخال اللمس أن أديمها   حرير فتستهويه ضامرة البطــنِ
وضبن أريج المسك من نفحاتِه   فيا لكِ من حسناء عاطرة الضبن
ورخص بنان كالورود لطافــةً   ولكنّه في اللثمِ أحلى من المَــنّ
وشَعْر أثيث كالغياهبِ ترتمي   غدائره في كبرياءٍ .. إلى حضني
ولي بشر .. لو مَسّه متحنث   لهام .. وموتور لكفّ عن الضغنِ
وخفّة روح تستخفّ بسحرها   عقول نشاواها .. وتذهب بالحزنِ
ومزمار داوود كصوتي حلاوة   فقد كان ذا جرس كمستعذب اللحن

* * *

وها أنا قد ولّى الربيعُ بوشيهِ   وصوّحَ روضي .. أقرعُ السن بالسنّ
أقلّبُ طرْفي . أين صَحْبي فما أرى   سوى وحدتي .. حتى كأني بلا خدنِ
سوى وحدتي الصمّاءُ تفترس المنى   وتلقي بأحلامي إلى ظلمة السّجْنِ

سوى الحُسْنِ ولّى نضرةً وتوثباً وعادَ بلا طعمٍ يُذاقُ .. ولا لونِ

سوى طَلَلٍ بالٍ تمرّ بـه الرؤى سراعاً . وما يبقى سوى الأثر الجونِ

تَطوفُ برأسي ذكرياتٌ مريرة فتلقي على روحي ظِلالاً من اللّعنِ

وتسعدني حيناً فـأدْعو طيوفهـا ولكنّني أصحو .. وقد هربَتْ مني

* * *

ولو كنتُ أدري ما الخريفُ وعصفه لكان مَسيري في ربيعي .. على هوني

أفي الصدق أرجو من حياتي سعادتي فأشْدو به .. أم أرتجيهـا من المـينِ

نفسٌ تبحث عن نورها ؟!

قلتُ للأنجمِ المُضيئــة حوْلي — أيّ نجمٍ يضيءُ ظُلْمة ليْلي

سرمديّ الظلام ، هذي دياجيكَ — تراكمن في فؤادي وعقــلي

حندسٌ فوقَ حندسٍ — أيها اللّيلُ — وهوْلٌ يسيرُ في إثر هــولِ

واغتِرابٌ يحنّ للدّارِ والأهلِ — فيشقى بكلِّ دارٍ وأهـــلِ

ومسـير إذا استراحَ إلى السيرِ — تصدّى لوقفــه ألفَ غــلِّ

إنّ في وحدتي فراراً من النّــاس — ولكنّــــه فرار .. المـــدلّ

ما الذي أبتغيه منهُم سوى الجهل — وحَسْبي أني أضيـقُ بجهلي

رُبّ مستوحـد تجلّى له الأنس — ومستصحب عــداه التجلّــي

إن روحي لو استظلّ من الشمس — ليحسو الهجير في كأسِ ظلّ

قد توَلّتْ سـعادتي فتجلّدْتُ — ولكــن عِزّتـي لـمْ تـُوَلِّ

* * *

قلتُ للروضِ – والطبيعة تكسوه برودًا تَرِفّ حُسْناً وطيبا
عبقريّ الألحان يَشْدو بها الطير غناءً عَذْباً .. ودَمْعاً صبيبا
وخرير الغدير . ما أروعَ الفتنة فيه نجوى . وهَمْساً حبيبا
وعبير الورود . ما أطيب النفح وما أسعدَ النّهى والقلوبا
والربيع المخضر . ما أنضرَ الوشْيَ وَما أجْمَلَ الرِّداء القَشيبا
قلتُ للروضِ : هل تعيد إلى الغبطةِ قَلْباً يا روضُ عاشَ كئيبا ؟
إنّ شَدْوَ الطيور . والالق الضاحي والماءُ سَلْسَلاً .. والطيوبا
إنّ هذي الآلئ . لن تسعد النفس ولن تطفئ الجوى واللّهيبا
إنّ نَفْساً ترى الجديب خصيباً هيَ نَفْسٌ ترى الخصيب جديبا
وهي نَفْسٌ تضيقُ بالحُسنِ والمتعة ما دامَ نَحْسها مَكْتوبا

* * *

قلتُ للعاصِفِ المُدَمِّرِ . والنّاس سُكارى مِنْ بطشِه المرهوبِ
زلزلَ الأرض واستباحَ حِمى البحر عَتِيّاً بشَمْألٍ وجنوبِ
لا يُبالي بما يُلاقي ضحاياهُ .. وأنّى لها اتّقاءَ الخطوبِ
قلتُ يا أيها المُزَمْجِرُ في الجوّ غَضوباً هل أنتَ رَبّ الحروبِ؟
قِفْ تَرَفّقْ قبلَ الوثوبِ فما ثَمّ سبيل للرفْقِ بعدَ الوثوبِ
إنّ نَفْسي تَعاف بادرة الظلم ويَرْثي غُفْرانها للذنوبِ

لتَمَنَّيْتُ – يا عسوف – ضميراً ما يُبالي بنكبةِ المغلوبِ
أنا في رجفةِ الصراع مع النفْسِ أغَذّي محامدي بعيوبي
هي في ظلمةٍ .. فإن أشرقَ النّور عليها تحفّزَتْ للغروبِ
قادها النّاس للزهادةِ في الناسِ فعاشَتْ في وحدة المُسْتَريبِ

* * *

قلتُ للشاطئ الحزين . وقد لاذ مِنَ المَوجِ عادياً بالسكونِ
والخضمّ العملاق يلطم جنبيه ويرتَدّ شامِخاً .. كالمنونِ
قوةٌ تَستْهينُ بالضعفِ تحدوها إلى البَطْشِ .. قدرة المَفْتونِ
وضعيفٌ يردّه العجز للهونِ فيرضى بصفْقَةِ المغبونِ
والورى يشهدونَ هذي الأباطيل فما ينكرونَ .. عبرَ القرونِ
ما شكا الضعف من هوانٍ سوى القلّة والبَغي سادر في الجنونِ
أيّهذا الخضمّ .. يا رُبّ سجّانٍ تهاوى من نقمةِ المسْجونِ
وتحاملْتُ فارتميتُ على الشاطئ أطْوِي شُجونه في شجوني
إنّني شاطئٌ غزَتْني الاواذي فما دَكّ موجها من حصوني
هو مِثْلي في وحْدَتي واكتئابي وهو غيري في محنتي وظنوني

* * *

قلتُ للبُلْبُلِ المغرّد في الروضِ وقد راعَهُ فراق الأليف
فبكى ضارِعاً إليه . وناجاه بلحْنٍ يُذيبُ قلبَ اللهيف
ظلّ يشْدو وظلّ جرحي من الشدوِ يُعاني من حرقةٍ ونزيفِ
إيه يا بُلْبُلي قدتك تباريحي ونجواي للخيالِ المطيفِ
إن تكن أنت للربيعِ أغانيك .. فمَرْحى .. فانني للخريفِ
غنّ للروضِ .. للغديرِ لأحلامك نشوانة الرؤى والطيوفِ
وإذا لم يَعُدْ أليفك للعشّ .. فلا تبكِه .. بدمعِ الاسيفِ
حطمِ العشّ . وانطلق في الفراديس فليس الطليق مثلَ الرسيفِ
كنتُ – يا بُلْبُلي – كمثلك هيمان فأبليت تالدي وطريفي
إنما الحُسنُ في عيونِ أساراه وفي لمحةِ الرضى . والرفيف

* * *

أيها الشمس . قد أنَرْتِ الدياجيرَ فهلاّ أنَرْتِ دجور نَفْسي
إنّ في قاعها جيوشاً من الظلمةِ يعيي انكسارها ألف شمسِ
هي نَبْعٌ من الطبيعةِ فياضٌ ولكن ما فاضَ إلا بكأسي
قد تجرعته . وما زلتُ أشكو ظمأ حارقاً يقيني وحدسي
وتحاميته فأحسست بالري وأيقنت أنه ري تعسي
أنا في حيرةٍ فقد عادَ وصْلي مثل هجري . ومأتمي مثل عرسي

وتماديت في الضلالِ . وفي الهدى فطُهْري يقودني مثل رجسي

مَسَّني طائف من الخيرِ ليلاً ثم أصبحتُ أرتضي شرّ مَسّي

أفسعدي الذي يَسِمُ حياتي وينمي الشكوك . أم هو نحْسي

أيها الدّهرُ قد شقيتُ بيومي مثلما قد شقيتُ فيك بأمْسي



عُرُوبَة وَإسلام



مِن وَحي النبُوّة

إلى الروح العظيم الذي هدى الأرض
بوحي من السماء .. أهدي هذه الترانيم
المستمدة من روحه وهداه .. والمتطلعة
إلى عفو وتوفيق .

كسرتُ جاماتي وعفتُ شرابي   وزهدتُ في لَهْوِي وفي أصحابي
وتَطَلّعَتْ عيني إلى مستشرفٍ   عالي الصروح مقدّس الاعتابِ
تتواثبُ الانوارُ فيه .. كأنها   أسرابُ طيرٍ فوق خضر روابي
ويحفّه ألَقُ الجلال فتنثني   عنه العيونُ .. غضيضة الاهدابِ
لم تَعْشُ أبصار الذين تطلّعوا   لكنها غَضّتْ .. من الاعجابِ
وقَفَ الملائك خاشعين ببابه   والأنبياء .. فيا له من بابِ
تتقاصر الآمال دون ولوجه   ويطيش دون الفوز كل صوابِ
اللهُ شاءَ بأن يكون منارةً   شَمّاءَ بين مفاوزٍ وهضابِ

والله ُ شاءَ بأن يكون مثابـةً للنّاسِ .. بعد تفرّقٍ وتبـابِ
والله ُ شاءَ بأن تكون شريعةً سمحاء .. دعوته مدى الاحقابِ
والله ُ شـاءَ لمصطفاه مكانـةً جلّتْ برفعتهـا على الآرابِ
طوبى لمزدلـفٍ إليه بقربةٍ من مجدِ معركةٍ . وهدي كتـابِ

* * *

إنّ الصبـابة لا تكون تباهيـاً بالحُبِّ أو هي نزوة المتصابي
أغفيتُ بين هوىً وبين عقوبةٍ وصحوتُ بين هدىً وبين ثوابِ
فطفقتُ ألثمُ ــ في الخيالِ ــ أناملاً قلبَتْ نعيماً شقْوَتي وعذابـي
بوركتَ من طهرٍ تمثّل للورى متجسّداً متزمّـلاً بثيـابِ
ما كان مثلك بينهم فتحيّـروا أوَلَسْتَ أنْتَ محيّر الألبابِ
خسىء الضلال فمنذ أن قـام الهـدى في الناسِ .. عاد مقطع الأسبابِ
لو أنّ من عاداكَ حكّم عقلـه لرأى الحقيقة غير ذات حجابِ
هل بعد نسج العنكبوت دلائلٌ أمْ بعد جبرائيل من مُرْتـابِ
أمْ بعد ما القمر استجابَ لربّه فانشقّ تجحـد عصبة الأوشـابِ
أنا لا أعَدّد للنبيّ مـآثراً إنّ النبيّ وراء كلّ حسابِ
مَنْ كان مِنْ عند الالـه كماله كان الكمال لَهُ من الطلابِ
النّاسُ تجهد في سبيلِ بلوغـه فتتيـه بين متـالع وشـعابِ





واللهُ يمنحه فليس بتائهٍ عنه المبرّأ من ذميمِ العابِ
من كانت الاقدار ترسم خطّه ذاقَ الحلاوة من مرير الصابِ

* * *

الروحُ أنتَ نفختها في معشرٍ لولاكَ كانوا معشرَ الأعرابِ
فتواثبوا للمجدِ بعد تخلّفٍ وتلقّفوا العمران بعد خرابِ
وأتوا بأفْعالٍ يحار أمامها حذر اللبيب وسورة الضرابِ
كسرى تزلزلَ عرشهُ من رجفة وهوتْ بقيصر وثبة الوثّابِ
لو أنهم سمعوا النذير لأحجموا ولما أطاح بهم أسُود الغابِ
من كل من نذر الحياة لغايةٍ تسمو على الاطماع .. والأوصابِ
لم يثنِه في اللهِ برّ قرابةٍ أو مجد منقلب وفخر مآبِ
مَنْ آثرَ الخُلد استهان بزائل من وهمِ بارقةٍ .. ولمع سرابِ
ما عقّ والده ولا مولودهُ مَنْ عقّهم .. بعقيدة الاوابِ
هل قامَ كالصدّيقِ من متبتلٍ أو عادلٍ كقرينه الخطّابِ
أو مثل عُثمانٍ .. شهادة صابرٍ وفَخار سابقة وبذل رغابِ
أو مثل حيدرة العظيم شجاعةً وتحلّياً بالعِلْمِ والآدابِ
أو مثل خالد في النِزالِ تربّصاً وضراوةً كضراوةِ الغلاّبِ
أو مثل عمرو في الدّهاءِ كأنه يشتَفّ كلّ سريرةٍ وحِجابِ

أو كابنِ عبّاس جلاء بصـيرة   وجلال عارفة .. وزرقـة نابِ
واذْكُر بِلالاً .. والعذاب ينوشه   فتخالـه نُصباً من الأنْصـابِ
ما نالَ من ايمـانه طول الأذى   أو ردّهُ للكُفْرِ .. فرطُ عذابِ
فهُمُ النّجوم نسيرُ في أضوائهـا   أيّاً تبعتَ تبعتَ خيرَ شِهابِ
ضربَتْ كتائبهم بكلّ تنوفـة   ومَشَتْ مراكبهم بكلّ عبابِ
ومَضوا بأطْرافِ الأسِنّةِ والقنا   يَبْنُونَ .. لا ببراعةٍ وكتـابِ
المجْدُ أوسطُه اليَراع محلّقـاً   لكنّ أوّلَه مـن القرضـابِ
إنّ النّجيعَ هو الخضاب لأمة   عاشَتْ لغيرِ تبرّجٍ وخضابِ
ولقـد أتَتْ أقلامهمْ بعجائبٍ   من بَعْدِ تدحض فرية المغتـابِ
هل كالغزالي مفحماً بتفلسـفٍ   أو كالمعرّي مُعْجزاً بسوابي ؟

* * *

عُودوا إلى الإسلامِ إنّ سبيلـه   ما تَلْتَوي في جيئةٍ وذهـابِ
إنْ أوْحَشَتْ سُبُل وأجْدبَ مرتع   جلّتْ عن الإيحاشِ والإجدابِ
هذي المناهج بالدّماءِ تلطّخَتْ   وحُماتهـا تَعْتَزّ بالأسْلابِ
نبذوا التراحُم انّ من غلوائهـمْ   في الضغنِ رشق أسنّة وحِـرابِ
لم يعرف الإسلام أنّ رؤوسه   ديسَتْ بلا حرجٍ من الأذنابِ
أو يعرف الإسـلام ان اخوة   كانت مَثـار تشاحن وسبابِ

الحكم للبغضاءِ فهي شريعــةٌ للخاضعين لهــا .. من الأربــابِ
هذي مآسينا تــلوحُ مَهــازلاً أعيَتْ على الايجازِ والاطنابِ
إنّا لَنَضرسُ حين نأكل حصرماً أفَلا يجود الكَرْم .. بالأعْنابِ

* * *

الباطلُ استَشْرى فما من مَهْربٍ من شَرّهِ والحقّ نضْوَ مصـابِ
فاللائِذونَ بهم – وقيت – كأنهم حمرٌ تلوذُ من الردى بذِئـابِ
والمغمضونَ عيونهم من خشيَةٍ يَسْتبدلونَ الموق بالأهــدابِ
هل يَسْتَوي عيش السطوح محرراً من قيدِه بالعيشِ في سِــردابِ

* * *

يا مَنْ أتَيْتَ من السماءِ بملّةٍ تهدي العقول بمنطقٍ خـَـلاّبِ
مَلأتْ بقاع الأرض حكمة سرمد وسلام آبادٍ ، وخُلْد شــبابِ
هرِمَ الزّمانُ ومـا تزال فتيّةً معصومةً من نكْسَةٍ ومعـابِ
الدّينُ والدّنْيا رفيقَا مَنْهجٍ في شرعها .. للسوقِ والمحرابِ
الخيرُ غايتُهــا بكلِّ وسيلةٍ والحقّ مطلبُها .. بكلّ خطابِ
يَقِفُ المليكُ وإن تطاولَ مُلْكه برحابهـا .. في موقفِ الحطّــابِ
ما كان أسعدنا بدينك مُفْضياً بحياتنـا .. لمرابـعِ الاخْصابِ

لو لَمْ نحدْ عنه لكانَ لمجدنـا ... ما كان منه بسالفِ الاحقابِ
فتحَ الاباةُ طريقهم بسيوفهمْ ... فارْتَدّتِ الدّنْيا على الاعقابِ
كسرى استخفّ بهم وفارس ارْعدتْ ... فتمزّقتْ كتمزقِ الاثْـوابِ
والرومُ لم تُغْنِ الجحافل عنهمو ... وتمرّغتْ أذقـانهم بـترابِ
صاحَ النذير بهم فلم يستيقظوا ... فعَدَا الردى من أوسعِ الأبوابِ
كفَروا بأحمد والكتاب شـهيده ... مَنْ ينعتِ الإنجيل بالكـذابِ
هذا الزبور وهـذه توراتهـم ... قد لقّبـاه بأشرفِ الألقـابِ

* * *

أترى الربوع الحـاليات بسندسٍ ... من أرضنا تغدو ربوع يبـابِ
أو يصبح الإسـلام بعد توطّن ... فينا .. وتمكين من الاغـرابِ
صَدَقَ النبيّ فهذه أعلامـه ... تهوي بأيـدي ساخطين غضابِ
قـد أعرضوا عنه إلى مسترذل ... ممّـا يلفّق أحمـق الكتّـابِ
هذي العقائد كلّهـا محمومـة ... من حقدِ موتور وزيف محابـي
عكَفوا على أهوائهم فرقابهمْ ... مـا تنحني إلاّ لشرّ رقـابِ
مـا مجدهم إلاّ سعار خلاعة ... أو وحيهـم إلاّ خمار شرابِ
أو وكدهم إلاّ ثمـار منـافع ... أو علْمهم إلاّ قشور لبـابِ
إنّ الحمائم قد يعاف هديلهـا ... مَنْ ليس يطربه سوى التنعـابِ

* * *

للهِ أمّتنا فكم قـد كابَـدتْ		من كيدِ منتسبٍ ولؤم مرابي
رزِئتْ بإسـلاميـةٍ وعروبةٍ		نكْراء تطرب للدمِ المنسـابِ
رزِئتْ بهـا دعوى تطن عريضة		برئتْ من الأديانِ والأحسابِ
من عصبةٍ لا تستجيب لدينهـا		حقـاً ولا لعروبـةِ الاصلابِ
لن تستقيم لهـا سوى آرائهـا		حتّى ولو كانت طنين ذُبـابِ
العنف مركبهـا إلى غـاياتهـا		والعنف – مهما رضت – شر ركابِ

* * *

نَسَبوا اليك عقـائداً ممسوخـة		وعَوَوْا لنصرتها عُواء كِلاب
لو أنهم صَدَقوا لكانَ لقولهمْ		أثرٌ وقوبِلَ ثَمّ بالترحـابِ
لكنّهم كذبوا عليك وجاوزت		ألْعابهـم مُسْتهجن الألعابِ
الشمسُ لا تَخْفى على متطلعٍ		ولو انهـا استترت وراء سحابِ
ما أروعَ الذكرى إذا لقيت صدىً		وأجلّهـا نَسَباً من الانسـابِ

* * *

يا رَبِّ أنتَ مَلاذنا من محنـةٍ		قَذَفَتْ أمـامَ عيوننا بضبـابِ
كيفَ السبيل إلى اتّقاءِ كريهـة		ركب الحمير بها متون عـرابِ
أرْسَلْتَ بالإسلامِ أحمد هادياً		بشريعةٍ لَمْ تَنْتَقِبْ بنقابِ

سمحاء ما خفيتْ ولا هي أبطنتْ غيرَ الذي تبديه من اعرابِ
صُنْها فكمْ لجلالها من كائدٍ حنق . وكمْ للكفرِ من اجلابِ
كَمْ من دَعيّ يستمدّ نفوذهُ منها ويطعنها وراءَ حجابِ
خطَرُ المصاب من المجاهرِ هيّن أمّا المُنافق .. فهو شرّ مصابِ

* * *

يا خيرَ مبتعث بخيرِ رسالةٍ للعالمينَ فكنتَ خيرَ مجابِ
إنّي لألْتَمِسُ الشفاعة ـ ضارعاً لله ـ منك غداة يوم حسابي
لن تعوز الله الرحيم عقوبتي أو يعجز الله الكريم ثوابي
فامْنن بها ، فلربما نال المنى مَنْ راح يطرق أكرم الأبوابِ

* * *

إني لأشْتَمّ العبير كأنما تتنسم الدّنْيا عبير ملابِ

مكّة !

مهداة إلى أخي الصديق الأستاذ عبد الله
عريف الذي اقترح القصيدة .. والذي
أضاف إلى جلال مكة جمالا .. استحق
به أن يكون من أبنائها البررة .

مكّتي أنتِ .. لا جلال على الأرضِ .. يُداني جلالها أو يفوقُ
ما تبالينَ بالرّشاقةِ والسّحْرِ .. فمعناكِ ساحر ورشيقُ
سَجَدَتْ عنده المعاني .. فما ثَمّ جليل سواه .. أو مرموقُ
ومَشى الخُلْدُ في ركابكِ مختالاً .. يمدّ الجديد منه العتيقُ
أنْتِ عندي معشوقة . ليس يخزي العشق منها ولا يضلّ العشيقُ
ما أباهي بالحسن فيك على كثْرة ما فيك من مغانٍ تشوقُ
أنتِ قدس . فليس للهيكل الفاني بقاء — كمثله — وسموقُ
كل حسن يبلى . وحسنك — يا مكّة — رغم البلى الفتى العريقُ
دَرَجَ المُصْطَفى عليكِ فأغْلاكَ .. وأغْلاكَ .. بعدَه الصدّيقُ

وشكول من الرجالِ .. سبوق .. جد من خلفه .. فجلّى سبوقُ
إنْ أرادوا القِتال أرجفتِ الأرض . وضاقتْ على العدوِّ الطريقُ
أو أرادوا السلامَ رحب بالسلمِ .. عدوّ أصـابه التمزيـقُ
ليس بغياً قِتالهم .. انّه الرشد – ينير السبيل – والتوفيـقُ
كان في اللهِ حربهم والعداوات .. وفي اللهِ سـلمهم والوثوقُ

* * *

رُبّ صخْر في بطنِ واديكِ – يا مكّة – يهفو إليه غصن وريقُ
لستُ وحْدي متيّماً . فالملايين . فريقٌ يمضي . فيـأتي فريقُ
تتوالى عليكِ منهم صبابات . فيصغي لهـا الفؤاد الرقيـقُ
ليس فيكِ الدلال يوحي به الزهو . ويغري به الجمال الطليقُ
لِمَ تزهينَ ؟. رُبّ زَهْوٍ من الحُسْنِ .. تجلّى به علينا العقوقُ
وعتيّ من الجمالِ .. تحدّاه .. أسير .. بحبّـه موثـوقُ
إنّ حُسْناً يكبّل العقل والروح . لحسن – وإن أنال – حنيقُ
قد تركت البريق للبـلدِ الخامل . ماذا يجدي عليك البريقُ
وتمخضت عن فخار طوى الأرض . وما أجدبت عليك العروقُ
أين منه الرومان – والمجد ما ينكر مجداً شآه – والاغريـقُ
والبلاد التي تتيه . أجاءت ؟ بالذي جئت ؟ أم هو التلفيقُ

ما يقيم الولود تخصب للناس . مكان العقيم . إلاّ الصفيقُ

إن غمطنا الحقوق – يا بلد الطهر – خسرنا وأنكرتنا الحقوقُ

إنّ جرحاً يصيبنا من تجافيك – وما تفعلين – جرحٌ عميقُ

قد شربنا من السلافةِ فتياناً . ونحن الكهول . مـا نستفيقُ

ذاقها قبلنـا الكرام فقالوا .. أين منهـا . ومن شذاها الرحيقُ

نجد الأنس في رحابكِ .. والبسطة . حتّى كأننا مـا نضيقُ

ويشدّ القلوب نحوكِ – يا مكّة – حبّ يطوي القلوب وثيقُ

ما نطيق الفراق عنكِ . وهـل يحمل قلب في الحُبِّ ما لا يطيقُ

* * *

لكِ فضل على المدائنِ – يا مكّة – ما يحتويـه إلاّ المروقُ

أينَ منه فضل المدائن يخلبن ؟.. وأينَ الاغراء والتشويقُ

أينَ منه الغدير والروض ، والعزف . وأين الطّلاء والتزويقُ

إنما الحسن في النفوس . فما يعشق ثوباً من الخيوط المشوقُ

أترانا من الثرى . فإذا الروح غريب . والحُسْن جسمٌ مَشيقُ

لصقت بالتراب أجسامنا الغلف . فأهوى إلى اللصيق . اللصيقُ

* * *

يا نفوساً تطوف بالبيتِ لولا حرمة البيت ميّزتها الفـروقُ
أنتِ لولا الإسلام . كنا نرى السابق منا . يفوقـه المسبوقُ

* * *

ما تأنّقتُ في المقالِ . ففي سحْرِكِ معنىً – يعيي المقال – أنيقُ
واللّسان الذليق . يعجز أحياناً . إذا أحصر اللسان الذليقُ

يومٌ وَطنيّ ..

هو يوم بداية التوحيد فيه تمّتْ على يَدِ الصنديدِ
لم يكن يعرف المُحال من الأمْرِ .. إذا سارَ في الطريقِ الحميدِ
ليس في هذه الحياة محالٌ .. يتصدّى .. أمامَ عَزْمٍ شديدِ
يتهاوى المحال حين يرى العزم .. تهاوي الجدار تحت الحديدِ
ولقد كان ألمَعياً .. فما يحكم في الأمرِ غير حكم الرشيد
عاشَ للدّينِ . والعروبة . والمجد بشقّيْهِ .. طارفٍ وتليدِ
منذ ما شَبّ . شَبّ للعربِ الشمّ . فكان العميد .. وابن العميدِ
ظاهَروه . فجاءهم بقديمٍ .. مستعزّ . وجاءهم بجديدِ
وحّدَ الشمل بعدما انفرط الشمل . وكدنا نضيع بالتبديدِ
فإذا بالنثير يجمعه النظم .. فيغدو به كعقدِ نَضيدِ
عاشَ يُعلي هذا البناء ويرعاه .. بجهدٍ مدى الحياة جهيدِ

ومضى للخلودِ . فاستمتَع الناس بعيشٍ – بعد الكَفاف – رغيدِ
ردّدَتْ ذكرَه القلوبُ فأمسى هانئاً بعد موته بالخلودِ
انّ عبد العزيز تنفح ذكراه بعرفٍ يفوق عرف الورودِ

* * *

ومضى الليث مطمئناً إلى الشبلِ .. وما بعد شبله من مزيدِ
يتحلّى بعزمة كشبا السيف ورأي في المعضلات سديدِ
وأناة .. لكنّها تدرك الفرصة في سيرها البصير الوئيدِ
طاردوا الأمر مسرعين .. ولمّا تعبوا أبصروه .. بعد الطريدِ
ولقد يعجل الحكيم ليدني من عصيّ الأمور .. كلّ بعيدِ
يفتح الحزم في التعجّل والريث طريقاً يفضي إلى المقصودِ

* * *

ولقد جاء فيصل بعد لأيٍ . صامت شفه .. وبعد صدودِ
كان منا القريب بل كان منا دانياً دانياً .. كحبلِ الوريدِ
فإذا بالسلامِ ينتظم الشعب ويصغي منه لعَذْبِ النشيدِ
وهو يصغي إليه في يومِ بؤسٍ .. وهو يصغي إليه في يومِ عيدِ
وهو في عيده .. وقد آذن الفجر بنورٍ يغشى البلاد مديدِ

* * *


فرعان عمر

هو عقل على الشدائدِ يصفو وهو عينٌ تقر بالتسهيدِ
وهو طبع يكاد يشمل بالخيرِ لو اسطاع كل هذا الوجودِ
ما يُبالي بالأفك ما دام يمضي .. في سبيل الهدى ، ولا بالجحودِ
إنما الأفْك والجحود هباءٌ يتلاشى صداه .. بالترديدِ
كيفَ يَقوى الصعيد أن يلمس القمّة أو أن ينال بالتنديدِ
ما يطيق الصعود إلاّ إذا شاء هلاكاً لنفسه بالصعودِ
وكبار النفوس تأنف كبراً من ضجيج الصدى وهزل الوعيدِ

* * *

أيهذا اليوم السعيد . وقد أشرق فينا . بكل معنى سعيدِ
وعتيد الأيام يبقى على الدهر ويفنى ما كان غير عتيدِ
كل من في جزيرة العرب العرباء يومي اليك .. بالتمجيدِ
أنت رمز التوحيد .. رمز الأماني نشاوى ورمز عيش رغيدِ
رمز عهد يضمّ كل بديدٍ . بعد ما ضاق ذَرْعنا بالبديدِ
وحدة وطّدَتْ طريقاً إلى المجدِ ويتلو الوطيدَ بعد الوطيدِ
مهدت من صعاب وحدتنا الكبرى فراحت بعزّةِ التمهيدِ
هي من سيّدِ الجزيرة ارهاص « عميق » بسرِّ هذا الوليدِ
وهي من شبله جهاد « وتنسيق » ليمشي الوليد عبرَ الحدودِ

ليس تبقى على الزمـانِ قيود حـين يبغي الاحرار كَسْر القيودِ
حين يمشون للوصيدِ فينهار أمـام الاحرار كلّ وصيــدِ

* * *

فسلامٌ عليكَ من كلّ نَفْس تتمنّى انهيار هـذي السدودِ
وسلامٌ عليك من كل قلبٍ .. ظامئٍ . ظامئ ليومِ الورودِ
وسلامٌ عليك من كلّ حُرٍّ ليس يخشى إلا حيـاة العبيدِ

* * *

أيهـا الحقل مـا زرعناكَ إلاّ .. رغبة في جناكَ يوم الحصيدِ

مِن وَحيِ البُسفُور !!

سحرٌ نبيد ، وما يبيد ، ورؤى يتيه بهـا القصيـدْ
يا طارفَ الإسلام ... والإسلام طـارفه تليـد
هذي الرحاب الخضر كيف غدتْ على الأيامِ بيد
ظلتْ نضارتهـا حديثاً ، في القديمِ ، وفي الجديد
الوردُ كان حصيدها .. والشوك عـاد هو الحصيد
ما زالت الجنات ترفل .. في النثيرِ .. وفي النضيـد
لكنّما الإسلامُ أوشكَ أن يكونَ بهـا الوئيد
كادَ العميدُ لَهُ .. ولكنَّ الفنـاء طَوى العميد
ما زعزعَ الإسلام .. لكن زعزعَ الجيل الجديد
ما كان لولا حكمة الاقـدار .. يبـدىء أو يعيد
لو أنّه لم يَدْعُ للإلحـادِ .. كانَ هو الرشيد
قـد شادَ للأولى .. فـهَلاّ كان للأخرى يشيد
ومضى .. ولكن العقـائد .. لن تزيغ .. ولن تبيد

هو كالملاكِ .. فإنْ تنمّرَ .. عادَ شيطاناً مريد
أو كالسّحابِ يسحّ خصباً .. ثُمّ يلفح بالجليد
أدّى العديد من الأيادي .. واسْتَرَقّ بها العديد
ما كان يرضى .. أن يكون له بأمّته .. نَديد
قد كان عزّتها .. ورايتها .. وكان لها النشيد
هذي إرادته .. فليس لقومه .. عنها محيد
قد كان يربض بالوصيدِ .. فكيف يقتحم الوصيد
ما استعبد الأحْرار .. إلاّ من تَزَعّمَ بالعبيد

* * *

إنّي اشمّ روائح الإسلام .. من هذا الصعيد
من ها هنا .. من تحت أجداث .. المجدل والشهيد
من كل أروع .. كان للإسلام كالبرجِ المشيد
يفديه بالروح العزيز .. وبالطريف وبالتليد
ويراه أغلى من كرائمه .. وأجدر .. بالمزيد
أفلم يذودوا عن حماه .. ويبلغوا الشأو البعيد
رجفت أوروبا من سنابك خيلهمْ .. وشكا الحديد
وتطامن الاقيال .. من هولِ المعاركِ .. والوعيد

رِيعَ الصليبيونَ .. لمّا شاهدوا الزحفَ العتيد
ظَنّوا صلاحَ الدين .. عادَ يُجدّد العهد السعيد
عجباً .. أما يدري العلوج .. بأنّه الجيل العتيد
ما ينجب الصّيد الأشاوس .. للملاحم غير صِيد
مَستّهُمو الضرّاء .. ما بين المصرع .. والشريد
ركضوا كأنّ وراءهم .. جِنّاً تنكّل بالطّريد
لا تركضوا فلرُبَّ فتحٍ .. جاءَ بالعيشِ الرغيد
ولَرُبّ فَتْحٍ كان للموتورِ مطلبه الوحيد
ما أنْصَفَ الرومان في أيامِ حكمهمو المديد
العيش أنْ تجِدَ الكرامة .. من صديقٍ أو لديد
هي لحمة القُرْبَى فما .. تجدي القرابة من وليد

* * *

يا جيرة البسفور .. يا فَخْر الفيالقِ والبنود
يا راية الإسلام .. تخفق في السهولِ وفي النجود
يا صيحة دَوّتْ .. فحطّمَتِ الحواجز والقيود
يا أمّةً دانَتْ لها الدّنْيا .. ونحنُ من الشهود
ذِدْتُمْ عن الدّينِ الحنيفِ .. من النصارى واليهود
شرف الجهاد قضى لكم .. أنّ النجوم هي اللحود

مـا ماتَ شعبٌ قد تعلّقَ طَرْفهُ بذرى الخلود

الموتُ للجُبَنَاءِ منحدر ... وللغزى صعــود

شتّان مـا بـين الثعالب – في المعامعِ – والأسُود

مَنْ طَوّرَ الإسلام .. هل يرضى لحاضره الجمود

أترى يعيـد له السيادة .. مَن تعوّدَ أن يسود

العُرْبُ والاتراك .. كانوا كالمخافر .. والحدود

مـا بينهمْ نَسَبٌ يفوق جداه أنْساب الجدود

* * *

يا راية التوحيد .. كم .. وحّدت من شتى الجهود

ليس الوشائج في العقـائد .. كالوشائجِ في الجلود

فإذا خفقت تواثب الاشياع تحتـك كالفهـود

هم في ظلالك مـا يبـالون النحوس من السعود

هم أخوة في اللهِ من قبـل الضمائم والمهـود

مـا فَرّقَ الإسلام بـين الناس من بيضٍ وسود

فمتى نعود إلى الوئام .. ونَتّقي شَرّ الصـدود

وتعود للإسـلام عزّتـه .. كمنصرمِ العهـود

هذي السدود أقامها الشيطان .. فاخترقوا السدود

مِن وَحي المؤتمر الإسلامي

يا مرحباً بهجيره وظلاله ... وبمائه الجاري هناك .. وآلهِ *
وبروضه الحالي . وبلبل روضه ... وببيده .. وصخوره .. ورماله
وبكنّسٍ يسلبْنَ عقل متيّم ... ويُثِرْنَ رائع فكره .. وخياله
يُبْدين زينتهنّ .. دون تبرّج ... ويلحْن للمعمود .. فوق مناله
لو يُشتَرَيْن .. لجاد كلّ مغامرٍ ... لينالهنّ .. بروحه .. وبماله
لكنّهن نفائس .. ما تُقْتنى ... إلا إذا أفضى الهوى لرحاله

* * *

وطني .. وأنت إذا العروبة طاولت ... بجلالها .. لم تعْنِ غير جلاله
وطئ السّهى بنعاله .. وتخلّفتْ ... من دونه أمم .. لِبُعْدِ مطاله
كيف الوصول إليه في عليائه ... والمجد .. كلّ المجدِ تحت نعاله

* الآل : السراب .

ولَرُبَّ من يرنو إليك . وقلبه متقطّع .. من ضعفه وكلاله
عزّتْ بك الأحسابُ قبل محمّدٍ وأعزّك الإسلامُ .. بعد كماله
في الجاهليّةِ كنتَ فخر رجالها ورأى بك الإسلام فخر رجاله
فإذا افتخرت . فكل فَخرٍ قانعٌ بالعجز عن إدراك بعض فعاله

* * *

منح الهدى للكونِ حين تمزّقت أوصاله .. بجحودِه وضلاله
فإذا الذين يُزيغهم بهتانهم يجدون نور الحقّ .. طيّ مقاله
وإذا الذين يُذِلّهم طغيانهم ويلفّهم بقيودِهِ .. وحباله
ويسومهم سوء العذاب ويشتفي من طعنهم .. بسيوفه ونباله
يجدون فيه ملاذهم من بعد ما ظُلِموا .. وذاقوا المرّ من أهواله
وإذا الرّحى دارت فقلْ لثفالها إحْذَرَ من المظلومِ طحْن ثفاله

* * *

يا موطن الحسب الرفيع .. وموطن العزّ المنيع .. ببأسهِ وخلاله
يا من أضاءَ الكونَ نورُ محمّدٍ في أرضهِ .. فسما به .. وبآله
من كلّ أروع . لو مشى لكتيبة لتمزّقت يوم الوغى بصياله
وتراهُ في مِحْرابه متعبّداً للهِ .. خوفَ عقابه وسؤاله



يخشى .. ولو لم يعصه .. ويرده ... للأمن عِرفان .. بجمّ نواله

كالكوكب الهادي يضيء فيهتدي ... بضيائه .. مَن ضَلّ في تجواله

هم للعروبة حصنها .. ولدينهم.. ... أركانه .. في سلمه .. ونضاله

كانوا سواءً في المشاعرِ والنّهى ... والحقّ .. ما عمدوا إلى استغلاله

صدّيقهم يُصْغي إلى فاروقهم ... إصغاءَه .. لصهَيبه وبلاله

يا مَن بهم باهى النبيّ . فمجدهم ... ما تُخْلِق الأيام من سرباله

إنّي لألمح في الظلام ملامحاً ... ومضت لتُنْبِيء عن بزوغ هلاله

وأرى عزائم في الوجوهِ كأنّما ... هي عزمة الإسلام في أبطاله

يهفو إلى الدين الحنيف كما هفا ... روح الظّميء جَوىً إلى سلساله

في موطني .. جاءت إليه يهزّها ... هذا العرين .. يصيح في أشباله

لبّتْهُ حين دعا .. وحين تجمّعتْ ... سُحُبٌ تكادُ تسدّ رحب مجاله

سودٌ تلوحُ من الجهامةِ مثلما ... لاح النّذير .. بشرّهِ ووباله

لو أنّها هطلت غداً في أرضنا ... لم يَنْجُ ربّ الطّهر من أوحاله

* * *

يا موطنَ الأحرار .. ليسَ لموطنٍ ... نحميه .. أن يهتز في أغلاله

من ههنا انبثقَ الضياءُ فَرَدّدَهُ ... لثغوره .. وسهوله .. وجباله

ناديتهم فأتوا إليك فقُلْ لهم ... كونوا بني الإسلام أسدَ دحاله

كونوا له ما يشتهيه فإنكم ... في يومه .. المَرْجوّ من آماله

لا تتركوه إلى الخصومِ تنوشُـه ... بِسِهامها .. وتجزّ مـن أوصـالـه
ولَنَـحْنُ قيدومُ الصفوف وكلنا ... يمشي لِنُصْرَته .. ورفعة حاله
نحن العيال له .. فكلّ موحّدٍ ... منّا .. يصون حماه .. قبلَ عياله
ولقد يكون الدّينُ أكرم نسـبة ... للمرءِ من دمه .. ومن صلصاله

* * *

شادَ البناءَ "محمّدٌ" .. بيمينه .. ... فتطاولت أركـانه .. وشـمالـه
متحدّياً هذا الزمان فلمْ ينَـلْ ... منه .. ولم ينسج على منوالـه
ولئن أراد فلن يطيق فمجـده ... كالنّجْمِ .. يَسْتعلي على أمثالـه
أفلا نشدّ من البناءِ .. وحولـه ... من ليس يُسعده .. سوى زلزاله ؟
سنشدّ منه بقوّةٍ .. ونـذودهم ... فالشرّ .. كلّ الشرّ في استفحاله

* * *

ولقد سعدت . وقد رأيت بموطني ... نور النبوّةِ .. مُشْرِقـاً بجمالـه
وسألتُ : هل هذا هو البعث الذي ... نرجوه .. وافى بعد طول ملاله ؟
فأجابني الصّيدُ الذين تجمّعـوا ... هو .. في مقالته .. وفي أفعـالـه

* * *

وإذا أراد المرء كَسْبَ قضيةٍ ... فالفوز أوّل ما يمرّ ببالـه

العُروبَة وَالإسْلام ؟!

قُلْ للنبيّ محمّد إنْ جئتَه.. في المسجدِ النبويّ .. في أقداسهِ
والصّاحِبانِ بجنْبه .. وعليهما.. من نوره ألَقٌ .. ومن نبراسهِ
ويحفّه من كلّ أروعَ ينتمي.. للمجدِ .. في المحيا .. وفي ديماسهِ
ركبَ العلا .. ومَشى إلى غزواتِه وكأنّهُ يمْشي إلى أعْراسهِ
وكأنّما هي . وهي تَخْطُرُ في الوغى بكميّها المختال .. من أفراسه
وبطيبةٍ .. من بهْره وجلاله ما شيّدَ التاريخ من آساسه
الفجرُ لاحَ بها فبدّد نورُه ليلاً .. تضلّ الروح في أغلاسه

* * *

قُلْ للرسولِ .. بأنّنا في محنةٍ نكْراءَ .. تستهدي بغيرِ قياسه
قدَحَتْ بها الشّررَ المبيدَ عصابة كانت من الإسلامِ شَرّ أناسه
قالوا عن الدين الحنيف بأنه .. تَزْهو حضارتهم بغيرِ لباسه
تستّروا خلف العروبة والهوى بادٍ يُميط الستر عن أحلاسه

* * *

يا ويحكم . إنّ العروبةَ قد زكتْ ... بالدّينِ .. وهي تُعَدّ من حرّاسه

وهي مَن أقام صروحه فتطاولت ... وهي التي نشرته .. في آماسه

وهي التي في يومِه .. تمشي به ... لفَخَارِه .. وتشدّ من أمْراسه

ولها الغد المأمول حين تُعيده ... لشبابِه .. وتَدّقّ في أجراسه

لكنّها سادتْ . وقد دانتْ به ... وتحسّستْ ما جلّ من إحساسه

لولاه ضلّتْ في المهَامِه واستوتْ ... في سفحِ هذا النّجم . لا في راسه

نشرتْه . واستعلتْ به . ففخارُه ... من بأسها . وفخارُها من باسه

* * *

لا تنبذوه .. فإنّ في أصلابكم ... دَمَه . وإنّ الهديَ في أطراسه

أو تُنْكروا مقياسه .. فلربّما ... وجد الخصومُ الحقّ في مقياسه

مجْدُ العروبة .. مجدُ كل يراعةٍ ... عربيةٍ .. خَطّتْ على قرطاسه

فتنفّسوا منه المكارم .. إنّها ... لو تعلمون .. تفيض من أنفاسه

هم أنكروا الدينَ الحنيفَ . وإنما ... أخذوا جزيل العلم من كُرّاسه

ما ضاع في أجناسهم .. كمنارةٍ ... تهدي . فكيف يضيع في أجناسه؟

عجباً .. وهذا الكنزُ يخطف ماسُهُ ... أبصارَنا .. أن نستخفّ بماسه

هو كنزُنا .. لا كنزُهم . ونُضيعه ... ونجدّ كلّ الجدّ .. في إفلاسه

أقْدارُنا مرهونة .. بمصيره ... فعلامَ نُسْلمهُ إلى أرماسه ؟

* * *

أبني العروبة .. والجلال يحفّهم — في يومهم .. بنضاله .. وحماسه
قولوا لكلّ مُخادعٍ .. متربّص — بكيانكم .. متحفّزٍ .. لمساسه
خافتْ معاولُه الظهورَ فأبلستْ — ولرُبَّ شرٍّ بانَ من إبلاسه
وتَستّرَتْ لتنالَ منه بنجوةٍ — وتَدكّ من جدرانه وأساسه
قولوا له : لا تَسْتخفّ بمعشرٍ — أطهارُه تعلو على أنجاسه
ولرُبَّ ناطورٍ لها .. فتخطّفَتْ — أيدي اللصوص الحُلْوَ من أغراسه

* * *

لا تَتْركوا الإسلامَ في يَدِ غاشمٍ — أو ماجنٍ .. يصبو إلى أرجاسه
باسمِ العروبةِ .. يا لها أكذوبةً — رَفع الشّعار . ولجّ في وسواسه
مُتَخَرّص . فالتّبرُ في أوهامه — ما يَسْتَوِي .. بترابه ونحاسه
تُبّاً لكم .. إنّ العروبةَ كلّها — غضْبَى . على مَن ضَلّ في أحداسه
هيَ تسْتعزّ بدينِها . وتسير في — أضوائه .. وتصدّ عن أنكاسه
وترى الحياةَ سعيدةً في ظلِّه — وكريمةً .. بِمحاله .. ومراسه

* * *

يا أيّها الروضُ المدلّ بحسْنِه — والمسْتعزّ بوردِهِ .. وبآسه
إنّ الوجودَ يراكَ في إيحاشه — هدْياً له .. ويراكَ في إيناسه
كلّ الوجودِ . فلن تضيرك عصبة — قَدْ لَفّها الشيطانُ في أطْلاسه

من كلّ مَوْتورٍ يكاد لحقده يهوِي عليكَ – وما يطيق – بفاسه
أينَ الغضنْفر .. أينهُ من ثعلبٍ بَطْشاً . وأين الظبيُ من نسْناسه

* * *

إنّا لنأمُل أنْ يثوبَ لرشده مَن ضَلّ منّا .. بَعْدَ طول شماسه
ولَرُبّ ضُرّ كان بعض سُهاده يشْفي لواعجَنا .. كبعض نعاسه
جَمَحَ الجواد . وحين أتْعبه السّرى نجحتْ يَد الترويض في إسْلاسه
ليسَ الذي يَطْوي على إيقانه قَلْباً .. كمن يَطْوي على إيجاسه

حُـرّة ثارتـــ..؟!

ساءَلتْني ، وأنـا منطلق في حديثي كانطلاق الحمم
ورفاقي حلقـة مفرغـة ترهف السمع لمجد الكلم
فتيةٌ تحسبهم من قُضُبٍ تتلظّى ظامئات للـدمِ
للدّمِ المسفوك ينفي ذلةً ويُعيد الحقّ ... للمهتضم
أنّ مَجْداً شَيّدته حقبٌ هو مجدٌ ليس بالمنهدم

* * *

ساءلتني ، وهي تغضي خجلاً يصبغ الوجه بلون العندمِ
أيّها المنطيقُ قد علّمتْني بحديثِ اليومِ ما لم أعلم
رُبّ قولٍ هزّ من أعماقنا هامدَ الحسّ ، نما في الألمِ
فأجبْني ... إنني في غربتي حرّة تهتف بالمعتصمِ

حرّة قد يئِسَتْ من يومها فأشْرأبّت للغـدِ المبتسمِ
هو حُلمٌ ولقد تسعدني صحوتي .. حتى أراها حُلُمي

* * *

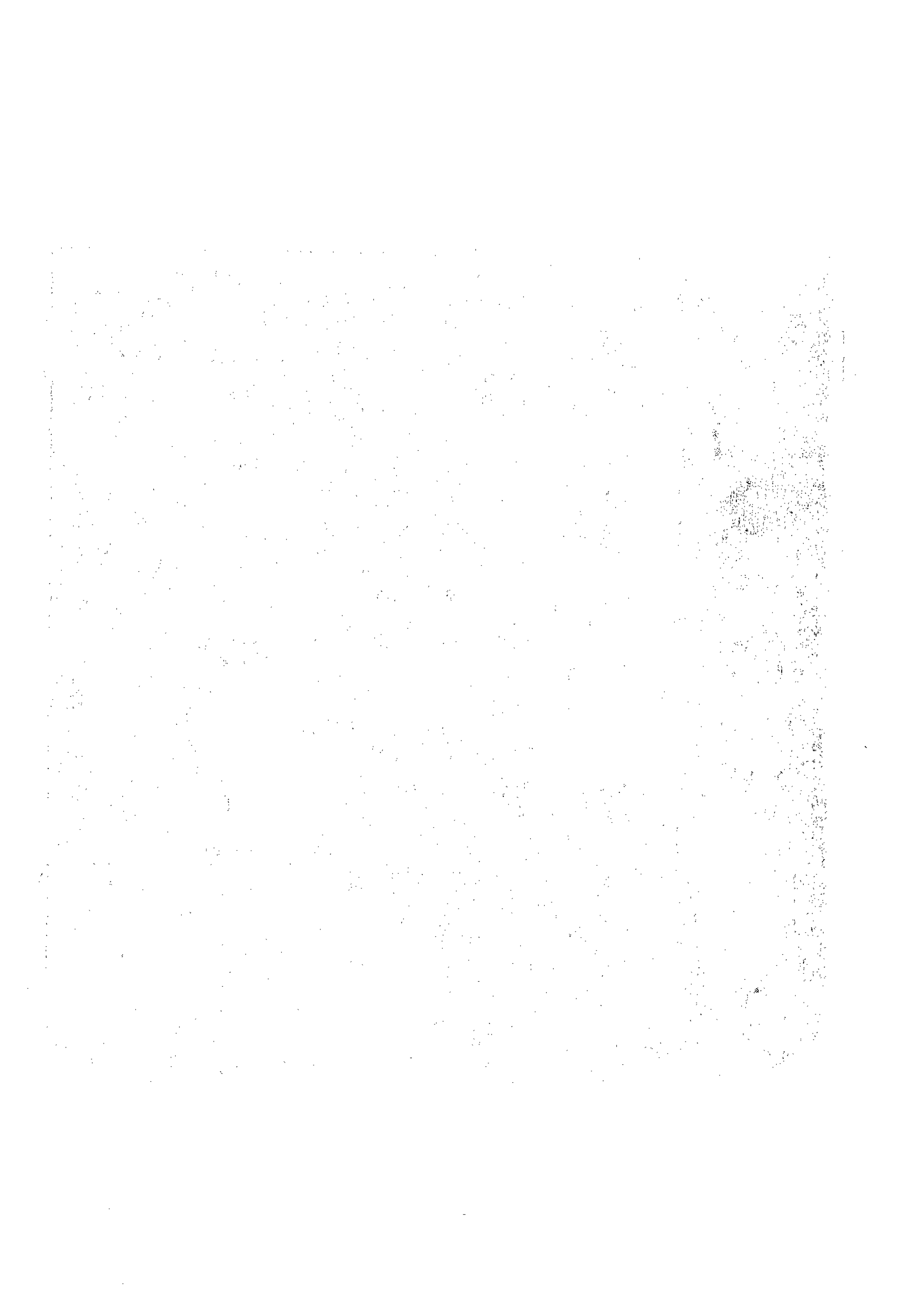
ما لقَوْمي اضطربوا في محنة غشِيَتْهُمْ بدياجي الظّلَمِ
إخوةٌ تفتنهم أهْواؤهم فتريهِمْ حلهم في الحرمِ
من كبارٍ ... نصبوه مأتماً وصغار رقصوا في المأتمِ
يا لَنا من أمّةٍ قد شقيَتْ ببنيها ... دون كلّ الأممِ
كلّ يومٍ تبْتني صَنَماً ثم تشقى – ويْلَها – بالصنمِ
ولَكَم يذهلني من معشري أن أرى مُبْصِرَهم مثل العَمِي
وَيْحَهم كانوا كآساد الحمى ما الذي صيّرهم كالغنمِ
أيّها الملهبُ من أرواحنا أيّ نارٍ هجتها في الضرمِ

* * *

إنّ من كانوا علينا رُجُماً سوف يُصْلَوْن سعير الرّجُم
سوف نغدو شُعَلاً هادية في السّرى .. راعيةً للذممِ
ان من في السفح ضلّوا سعيهم حينما ساروا وراء القممِ

* * *





كيف ترضون .. وأنتم عربٌ	من دعاة السوء قطع الرحمِ
برّأوا المجرم ... ثمّ اتّهموا	أبرياء الناس شرّ التّهمِ
إنما يقضي الهوى في شرعهم	أن تكون الرأس تحت القدمِ
كنْ وليّاً ... وسواء بعدها	صفوة الناس ودون الخدم

* * *

يا فتاتي ... أنتِ روحٌ ملهمٌ	فأمدّينا بروحٍ ملهمِ
حرّة ثارت على القيد وقد	يُكْسر القيد رخيص الغنم
ليس للأحرارِ أن يستسلموا	بعد أن أعجزْتِ أن تستسلمي
يتمنون الردى .. لن يحجموا	عنه في معتركٍ .. أو تحجمي
إنّه معترك ... تشعله	شفرة السيف ... وحدّ القلم

* * *

للثرى الغالي لأمجاد الأُلى	ركّزوا الأعلام فوق الأنجمِ
ولنا نحن ... فما يغلو .. الفدا	يا فتاتي ... تحت ظلّ العلمِ
ما الذي نخشاه ... أوما نرتجي	حينما نحياة حياة الرّممِ
إنّ هذا قَسَمي .. ما أنثني	دون حقّي... ان هذا قسمي



أُمَمٌ وَشُعُوبٌ



لبنَان ..

لبنان .. ما هذي الخمائل　　لبنان .. ما هذي الجداولْ

لبنان ما هذي الطيوب .. كأنها نفح المنادل ؟

ليس الجمال بساحرٍ .. إن لم يكنْ برباك نازل

هل كان يدري نازلوه .. بأنّه .. خير المنازل ؟

ما فيك من سهْلٍ .. ولا جبلٍ .. من الأحلام عاطل

والشاطئ المجنون .. يزخر بالأوانسِ والحلائل

سيظلّ محتضن الفواتن .. عاريات غير عاقلْ

كمْ قد تمنّى مثل حظك شاعر .. بالحسنِ ذاهلْ

ليت الثرى والماء كانا يدريان .. بما نُصاولْ

لم يبق فينا مقتل　　إلا أصيب من القواتل

هل نحن إلا عندهن .. إذا لهون .. من المباذل؟

بدَمي أفدي الحُسن مرتخصاً .. وما أرجوه نائلْ

إني ليفتنني العذاب . . فمـا أفرّ إلى المعاقل
مَنْ كان عنصره اللهيب .. فليس تطفئه المنـاهل

* * *

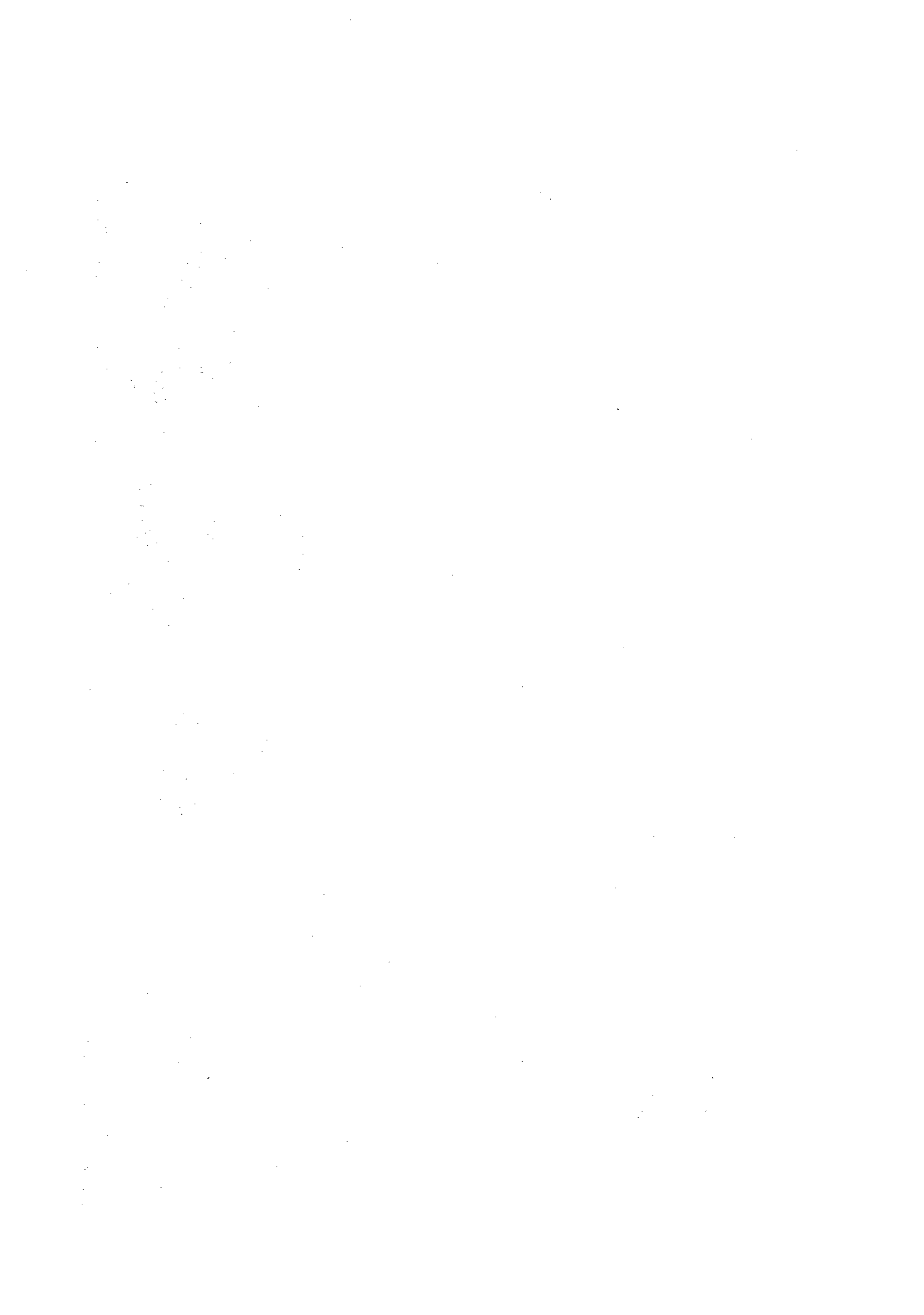
لبنان .. يا بلدَ الملاحم .. والأشاوس .. والفطاحلْ
كمْ فيكَ رائعة من الألحانِ .. لَمْ توهب لقـائلْ
لهث النوابغ خلف عثيرها .. فأعيت كل بازل
سكرتْ مغـاني الخُلد .. لمّا غالها شـدو البلابل
لولا الحداة لمَا أغذّت سيرهـا هذي القوافـل

* * *

كمْ من كميّ فيكَ .. ما راعته صلصلة السلاسـلْ
كاللّيث يمشي في العرينِ .. ولا يبالي بالزلازل
بدَمِ الضّحايا أيقَنَ الباغونَ .. أنك غير هـازل
دفنت بقـايا الغاصبين .. وسوّتِ الأرضَ المعاول
ذادَ البواسل عن حماك .. فحيّ لبنان البواسل
حيّ الأُلى مـا يرهبونَ الموتَ من حممِ القنابل
ما كلّ من خاضَ القساطل تستعزّ بـه القساطل

* * *





كمْ للأواخرِ فيكَ من فضلٍ .. على فُصحى الأوائلْ
صانوا معالمها كما صانتْ معالمهـا .. العباهـل
لم يبقَ فيهـا مجهل .. إلاّ أضـاءته المشـاعـل
دُرَرٌ تزينُ مفْرق الفُصّحى .. وتاريخ الجلائـل
يا لَلْفُحول .. ذَوِي العزائم والمَواهب والشمائـل
مَن ظَنّ أنّ المجدَ تهريجٌ .. تخبّطَ في المجاهـل
فالمجد لا يعطى مقادتـه .. سوى الحُرّ المُناضِـل
والمجدُ مـا فَتَحَ الطّريق لنا .. وما حَلّ المعاضِل

* * *

لبنان . إنْ زال الخُلود — ولن يزول — فأنتَ زائلْ
ما فيك إلا ما يلذّ الحسّ .. أو يشـفي البـلابـل
رَنّتِ السفُوحُ إلى الجبالِ .. وهَامَ تربك بالجنادل
الحُسنُ يَعْشقُ بعضُه بعضاً .. ويَسْخَرُ بالعواذلْ
كمْ في الرياضِ الغنّ — يا لبنان — من فِتَنٍ مواثل
طابَتْ بواكرها .. وطابَتْ في خمائلِها الأصائـل
ما بينَ زَقْزَقة الطيور .. وبينَ وَشْوَشة الخمائـل

والرّيحُ تعْصفُ .. ثُمّ تأذنُ للنّسيمِ بأنْ يُغازل
والسّحب تُنْعِشُنا بطلٍّ .. ثُمّ تدهمنا بوابل

* * *

وتَرى الضّباب على الربوعِ .. كأنّه أبهى الغلائل
وكأنّما قمم الجبال .. توَشّحَتْ بيض الجدائل
هل كنتَ تَعْرِف ما حوَيت .. فكنت تقنص بالحبائل
أمْ أنتَ عن دُنْيا الجمال .. تضجّ في مغناكَ غافل
مرح بعدواه .. يكاد يصيب أفئدة الثواكل
ويكاد أن يئد الهموم .. وأن يذيب أسى النوازل
كمْ ذا لديكَ على التفوّق في الأصالة .. من دلائل
من ذا يساجلك الفخار . وأنت أكرم من يساجل

* * *

ما أنت يا لبنانُ .. إلاّ الرّوح .. والدنيا هياكل

اليابان..؟!

يا أمّة اليابان ، يا أمّـــة كانتْ من المَجْدِ على موعدِ
يا أمّة ما افتخرت مثلما يفتخر التافة .. بالمحتــدِ
نفوس أبنائك تغلي كمــا تغلي براكينك كالموقـدِ
علّمتِ أهل الأرض ما مجدهم بأمْسِهِمْ . لكنّه بالغـدِ
قد كنتِ قبل اليوم مجهولـة وبعـده كالعَلَم .. المفرد
العِلْمُ جلّ العِلْمُ كم من يد مِنْهُ على الأصفرِ والأسود
ما ابيض اللون على جهلـه إلا مسوداً ليس بالسـيد
والفخر إن فاخرت أهل الحجى بالفكْرِ ، لا باللّون والمولـد

* * *

يا أمّة اليابان ليس الـثرى في كفّة الميزان كالعسجَدِ
وليس من يمشي على فدفد كمثل من يمشي على فرقـد

أرضك ما فيها سوى قاحـــل لولاك – والماء بـلا مورد
وليس فيها اليوم من ظامئٍ وليس فيها اليوم من أجرد
تمدكم بالعيش ، بل بالرؤى حالمـة ، بالمجْدِ والسؤدد
أنتم من المَجْدِ على قمـةٍ يرنو إليهـا أمل المُصعد

* * *

لم تُغْلَبوا في الحرب لو لم تكن معجزة جاء بها المعتـدي
أذقْتمو « الروس » على غرة حرّ لظاها .. وعلى مشـهدِ
ودانَتِ الصينِ لكم فترة.. خوفاً،وما كانت سوى جدجدِ
إنْ لم تكن كثرتكم عـزة فلستمو إلاّ من الجلمـــد

* * *

لكنّها « الذرّة » كانت لكم من غيرِ ما تدرون بالمرصَدِ
مبيدة يرهب من ينتهي منها – كما يرهب من يبتـدي
هدية الفكر إلى عـــالَمٍ ضلّ عن الدربِ ، فما يهتدي
يبيد من أعـدائه جاهلاً بأنّه يبحث .. عن مرقـــد
إن الذي بادله عصبـــة في يدها البتّار ، لم يغمـد
هذا سلاحٌ عجب للورى أضلّه العـادي عن المقصـد
الآمن الغـافل يقضي به حصداً ، ومن قاتل لم يحصد

لعلّ هذا الدرس أمثولة   تبدّل الأنحس بالأسعد
أمثولة تنفعنا في غدٍ   قبل فناء العالم الانكد
هذا الردى يرعد من حولنا   فمن يقينا سطوة المرعد

* * *

لو كانت « الذَرّة » معروفة   عندك مثل الغرب لم تسجدِ
لم يوصد الباب سوى مرة   عليك ، فاستوحي من الموصد
لعل روح الحرب قد أخمدتْ   فيك ، وروح السلم لم تخمد
الحرب بعد اليوم مجنونة   تفتك بالمصلحِ والمفسد
ما تنطفي الشعلة في أمّةٍ   تحلم في اليوم بمجد الغد

جَـزيرة وَأمَّـة

أهذه أرضكم . أم سندس عجب — من الطبيعـة وَشّتْه بألـــوانِ
السّهْلُ فيها على ما ليس نعهده — نضارة .. والربى زينت بتيجـان
والروض تحسبه من فرطِ بهجته — وطيب زينته . فردوس رضوان
ألوان أزهاره شتى فمـن يقـق — للجونِ ، للفاقعِ المصفرّ للقـاني
أحصيت منها عديـداً ثم داعبني — برد النسيم ورياه .. فألهـانـي
وعدت أستلهم الذكرى لعل بهـا — ما قـد يرد صبـاباتي لأوطـاني

* * *

يا جيرة المانش. ليس الحُسْن محتشماً — كالحُسْنِ يمْرَحُ فينا شبه عريانِ
الناس لو برئوا من فسقِ أعينهم — لما تحكم فيهم .. كل شيطـان
أيرْتَضون — إذا داسوا جنايتهـم — ويسخطون — إذا ديسوا — على الجاني
سمعتُ بالخُلق السامي فأذهلـني — اني أرى غير ما أوعته آذانـي
لو أنني في جوارِ السين ما نكرت — مباذل العُهْر من حواء أجفـاني
رأيتُ في كلّ حيٍّ فتنة عميت — لكن مَن أيقظوها غير عميـان

في كلِّ ناحيةٍ .. تختال غانيـة تَدْعو إلى الريّ جهراً كل ظمآن

لباسهن .. وما يبديه .. أطمعني ومشيهن .. وما يمليه .. أغْواني

كأنهنّ نَشاوى من مُعتّقَـةٍ فما يُهَدْهِدْنَ إلاّ قلبَ نشوان

أو أنهن ترانيمٌ معربدة .. ما تستقيم معانيها .. لأوزان

كمْ من سكارى بهذا الحُسن مبتذلا وكَمْ سمي التصابي غير سكران

ما الحُسْن مرتدياً أرْدانه خفراً كالحُسْنِ يخلع عنه كلّ أرْدانِ

حيّيْتُه فتوارى في غلالتـه وكنتُ أجْفُوه .. لو ابتّى وحيّاني

* * *

طوّعْتُ للعزّةِ القعساء قافيتي وصُغْتُ للروضةِ الغنّاء ألْحاني

لم يعرف النّاس إلا في جزيرتكم طبيعة سَحَرَتْ .. بالعاصف الحاني

شتاؤكم قسوة هام الضبابُ بها وصيفكم رحمة . طابت لهيمانِ

مِنَ الطبيعة ني لألائها ألقٌ وحلّة عجب من صنعِ إنسان

في وقْدة الصيفِ أنْفاس الربيع بها كأنما نتملى روح نيسان

لم يعرف الناس إلاّ من مصانعكم .. ان البِناء وِسام المجد للباني

دُخانها كضبابِ القرّ متصل وفَيْضها بحثيث العزم فيضان

ما دام بالفلكِ الدوّار معتقدي فإنّ بالمصنعِ الجبّار إيماني

لولا العزيمة عشتم في جزيرتكم لِحَرْثِ مزرعةٍ أو صَيْد حيتان

لكنّكم جُبْتُمو الدّنْيا بهمتكم وسُدْتموها بدأبٍ غير خوّانِ

وما تزال بأيديكم .. بقيتهـــا وما يزال لديكم بعض سلطان
وما تزال شعوبٌ من خديعتكـــم وفي محاريبكم عُبّاد أوثـــان
وثلة غيرهـا .. في القيدِ راسفة وسوف تكسره في هـامة الجـاني
لم تلق إلاّ على طول المدى جنفـا ولم تنل من هواكم غير خسران
قد رابها الغدر مطوياً وعلّمهـا أنّ الاساءَةَ لا تُمْحى بإحْسـان
وإن معتنق الأجـرام يحفـزه إلى الجريمةِ . أنْ تحظى بغفـران
مَن أنكر الحقّ مزهواً بقوّتـه فإنّه سوف يلقى شرّ نكـران
إنّ المَدين إذا أغْراه دائِنـه وضاعف الربح . يغدو شرّ ديّـان
لا تَسْتَثيروا من الأحرارِ نقمتهم فإنهم حُممٌ .. في جوفِ بركـان
مَصَصْتمو الضرع حتى جفّ واختلطت لِبانه – لا رويتم – بالدّمِ القاني
ألْبَسْتُمُ الظّلمَ أثواباً مُمَوّهـة مِنَ المَوَدّةِ تخفي روح ثعبـان
فما تحَجّبَ منّا تحت مَلْبَسـه هل تحْجب الموت عنّا بيضأكْفان

* * *

خضوعكمْ أيهـا الأحرار منقصة ما يرتضيها – اختياراً – غير عبدان
لقد شَقِيتم به دهْراً وليس لكم من خير نعماه إلاّ شَرّ حرْمـان

* * *

سُبْحانَ مَنْ غَيّرَ الدّنْيا وعلّمها أنّ الكرامة والاقدام صنـوانِ

حُبُّي !



حبّي ..[1]

لست يا فاتني ، وإنْ بَعُدَ العهد ، بطاوٍ على سلوك نفْسي
أنتَ همّي ، ومُلْهمي الأمل العذب ، ونجوى يومي وأحلام أمسي
وسبيلي إلى الفراديس والخُلْد ، ومجلى فنّي ، ومَرْتع حسّي
وملاذي — إذا افتقدْتُ الملاذات — وهاديّ في ظلامي ويأسي
والذي يَبْعث المعاني إلى الفكرِ عذارى ، تعيى المُنى والتّأسي

* * *

لستُ أسْلوكَ يا ظَلُوم ، وإن كنت خلياً مما يسيل جراحي
أنا أهْواك ، فلأذُقْ غُصَص الحُبّ وحيداً ، فلستُ منه بصاحي
شَقْوَة الحُبّ خمرة تُنْعِش الروح ، وتَسْمو بها على الاتراحِ
فاسْقِنيها فما أطيقُ فَكاكاً ، من قيودي ، وما أطيقُ سراحي
لا وَقاني الشيطانُ من سِحْرِ عينيك ، ولا خَفّفَ الغرام التّياحي

* * *

أنا أهْواكَ فلأعِشْ أمَدَ العُمرِ شَجِيّاً ، فَرُبَّ شَجوٍ أفادا
فاسْتَبِحْ ما تشاءَ منّي وَدَعْ لي ، في هواكَ الضّنى ، ودعْ لي السهادا
واهْتَضِمني فقد أراكَ إذا لم تهضمني ، أضعت في الرّشادا
واعْتَسِفْ فالحُنوّ في منطقِ الحُبّ فسادٌ ، وما أريدُ الفَسادا
أتراني أنا الغَبينُ ؟! فزِدْني ، باختياري غبناً ، وزدني اضطهادا

* * *

أمْ تراني متيّماً ذاهب اللّب ، فما أرْتضي بحبّي بَديلا
كالعليل الذي استراحَ إلى العلّةِ ، يأبَى – لألفها – أن تزولا
قد أكون العليل ، لكن أيعنيك – شفائي ؟ وما عسى أن أقولا ؟
إنْ يكن في السّقامِ برئي ، فما الطبّ سوى أن أعيش دهري عليلا
لا تُحاوِل – فَدَتْك نَفْسي – إشفاقاً ، وحاول تبرّماً وجفولا

* * *

أمْ تراني يئسْتُ ممّا أرجّيه ، فآثرت أن أبادر حتفي
وتخيّرت شرعة الأمل الخائب ، كي يعصف القنوط بضعفي
وتظاهرت بالزهادة في الوَصْلِ ، لتلوي يَد القطيعة أنْفي
وتحايلتَ فاستَترت قوى الحُبّ ، ليقضي علي بالموتِ خوْفي
هَبْكَ أني أنا اليؤوس فذرْني ، في بلائي ، فما أداوى بعطفِ

* * *



أمْ تراني مُغامِراً ناهَضَ الحُبَّ وديعاً ورامه جبّارا
فتحدّاه – والتحدّي رهانٌ – لم يَفُزْ فيه مَن يخاف الخسارا
فتصدّتْ له اللواحظ فانهارتْ قواه وما استطاع اصطبارا
فتردّى ، ورُبَّ من ينشد الفوز يُلاقي هزيمة وتبارا
إن أكن ذلك المُغامر فاحذرني ، فضعفي يزيدني استكبارا

* * *

أمْ أنا الماجن الذي يمقت الحبّ بحاليْه ، شقْوَة وسعاده
هَمّه في الحياةِ أنْ يشبع اللّذة ، ان ضلّ هائم بالعباده
سيء الرأي في الهوى ، فإذا المتعة وافَتْ فإنّ فيها مُراده
مَرِحُ الطبع ساخِرٌ بالمحبّين ، خلي ممّا يُذيبُ فؤاده
لستُ هذا ، وإنْ يكن ذلك الطبع يبيد الهوى ويطوي عناده

* * *

أمْ أنا الدارس الهوى درس تحليل ، فما للهوى عليّ سبيلُ
إنْ تلَظّتْ منه القلوبُ فقلبي ، ما تلَظّى ، وما رعاه الخليل
رائدي الفكر ، فالعواطف عندي ، نزوات مضلّلات تغول
وأرى الحُبّ في تعاليه سلطاناً ، وصرعاه طائشون فسول
أتراني هذا ؟! وما أنا منه ، بسبيلٍ ، فأينَ أينَ الدليل ؟

* * *

لستُ أبغي منك الوصال وإن كنتُ لهيفاً على الوصالِ مشوقا
أو أرجّي منك الفكاك ، وإن كنت زعيماً بأن أعيش طليقا
أو أخاف الفراق عنك ، وإن مزّق قلبي بكيده تمزيقا
أو أرائيك ، والرّياء هوانٌ ليس بالحُبّ والوفاء خليقا
غير أني أهْواكَ للسّحْرِ والفتنةِ ، توحي إليّ فنّاً عريقا

* * *

أنا أهْوى فيك الجمال مثالاً ، عبقرياً ، قدْ أبْدعتْه السماء
ولقد اجْتويك إنْ نَضبَ الحُسْن وشيكاً ، وزال عنك الرواء
لا تؤمّل منّي الوفاء على الدّهْرِ ، فما ثَمّ في الحياةِ وفاء
كيفَ ترجو ما لا تنيل ، كِلانا ، في تحلّيه بالوفاء سواء ؟
إنما مَيْعَة الشباب رداء ، فاغْتنمها ، فقد يحولُ الرداء

بَين الكَرامةِ والحُسن

قالوا شربتَ ، فقلتُ كلاّ ، لم يبقَ لي في الكأسِ إلا
شَربَ الندامى وارتويت بمدمعي نَهْلاً وعَلاّ
ما عادَ يُسْكِرني الشراب وإنْ شَرِبْتُ شربت مَهْلا
دَغْدَغتُ آلامي بنشوته فزدن عليّ هَوْلا
سأظلّ في صحوي المخيف ولو شربت الخمر حَوْلا
وأظَلّ في شغلٍ عنِ الدّنْيا بمن قد صارَ شغلا
وأظَلّ في سَقَرٍ كأنّي لسْتُ للفردوسِ أهْلا
وأظَلّ ما بين النّشاوى الهازجين أذوب ثكلا
سهرت عيوني والنّدامى ضاقَ مضجعهم ومَلاّ
فلقد صحِبْتُ الليل في سهري فكدت أكون لَيْلا
لكأنّ أحداقي تَشُدّ جفونها علوّاً وسفلا

* * *

يا مَن لقيت على وفائي من هواه جوى ومَطْلا
ومَن استعزّ به الفؤاد فلم يعزّ به وذلا
ومن ابتسمت له فقطب واهتديت به فضلا
ومَن احتميتُ به فطوّح وارتبطتُ به فحلا
ومَن استجرت به من البلوى فكان أشد عضلا
قد كنتُ حراً قبل أن أغشى حماكَ فصرت مولى
ما كنتُ أحسب أن خصبي في هواك يعود مَحْلا
إنّ العيون إذا انْبَرَتْ للمدْنفين قَتَلْنَ قَتْلا

* * *

يا مَن بسطوته استباحَ ، ومَن بقسوته استحَلاّ
لجهلت أقْدار الرجال فسمتْها عَسْفاً وذُلاّ
هَلاّ ارعويت وأنتَ تذبُل وانتهيت وأنت تبْلى
البدر أروع في سناه تألّقاً والظبيُ أحْلى
والوردُ أنْدى في الرّياضِ شذىً وأنضر منك شكْلا
هذه المفاتن نجْتَليها ما نَهون بها ونُصْلى
لم تُشْقِنا يوماً ولم تغلظ لنا قولاً وفعلا
أو حقّرَت نجْوى مشاعرنا وكادتهن ختلا

* * *

أوَ كلّ مَن ملَكَ القُلوب يصوغ للمَمْلوكِ غلاّ
لولا ترفّعْنا لما صرمت لنا الأيام حَبْلا
إنْ كان هَزْلك ما يجِد فجِدّنا يطويك هَزْلا
تبُدي الطبيعة من مفاتِنها وتمنح وهي جَذْلى
وترد والهة النفوس تغص بالاشجانِ بُخْلا
الفرض ان أقذى العيون فإنها ستراه نَفْلا
دَعْ عنكَ شحّكَ فالحياة ، وإن كَرِهْتَ ، تريد بذلا
واستَبْقِ مِن عُمْرِ الجمال بقية توسِعْك فَضْلا
أفكُلّما زِدْناكَ حُبّاً ، زِدْتَنا تيهاً ودَلاّ
ما يَشْتَكي الهُجران إلاّ مَن تَذَوّقَ منك وَصْلا
لا تحْبِس الماءَ الغزير فإنّه سيعودُ ضَحْلا
يزْكو بسقْيانا فإنْ لَمْ يَسْقِنا يرْتَدّ وَحْلا
خدَعَتْكَ بارقة الجمالِ فَزدتَ بالأقْدارِ جهْلا
إنْ أنْتَ لم تَعْدِلْ فلا تَطْلُبُ مِنَ المظلومِ عدْلا
قد كان ينشده فتأباه فجار وقد تَوَلّى
مُتَرَبّصاً بالحُسْنِ وَدّعه الشباب فعاد كَهْلا
لا ، لسْتُ أشْمَتُ بالصّريعِ المُسْتهينِ فلسْتُ نذلا

* * *

مَهْلاً فَدَيْتُكَ والنّصيح يقولُ في الازماتِ مَهْلا
إنّ الهَجر لَيَلْفح الأجسام ثُمّ يَعود ظِلا
ما ثَمّ في هذه الحياة ملاحة إلاّ ستُبْلى
وَلّى الربيعُ ولن يَعود فلا تَسَلْني كيفَ وَلّى ؟
قد كنتَ تَلْهو بالفحولِ ولم تكنْ في اللّهْوِ فَحْلا
أنا لو عرفت ندامة تجديك لم اسمعك عذلا

لستُ أنا الغَــادِرَة

رد من الشاعر على القصيدة السابقة
« بين الكرامة والحسن »

ما كنتُ أعهد منك نُكْراً بل كنتُ أعهد منك شُكْرا
كيف انطويت على المساءة واحتسبت الوَصْل هجرا
كانت أيادينا الحسان — وما تمن — عليك تترى
ومَضَتْ بنا الأيام تنبض فرحة وتفوح عطرا
والامْسيات تمر عابقة بريا الحُبّ سَكْرى
نجوى العيون الهامسات بحبنا سِرّاً وجَهْرا
كمْ آهة لك عانَقَتْها آهة بحشايَ حرّى
ومدامع جمدت فسالت في الضلوعِ جَوىً وجمرا
كانت ترقرقها المشاعر ثُمّ تحبسهنّ قَسْرا
لا خَشْيَةً من طُهرَهنّ ، فأنهن يَذُبْنَ طُهرا

بـل خشية ممّـا نُحاذِر أنْ يَذيـع وأنْ يَضُرّا
إنّ العَفافَ يقوم دون تحَكّم الشهوات عـذرا
مَنْ كان عُذْرِيّ الصبابـة لم يضق بالنزر صَدْرا

* * *

ما كنتَ غدّاراً ، ولكنّي لمحتُ عليكَ غـدْرا
عطفت عليك وأنت تشكو مهجتي .. وَوَقتَلْك شَرّا
قد كنتُ من شكواك في قلقٍ .. أكاد أموتُ ذُعْـرا
لولا الرقيب ومـا أكن لـه لـزارك مَن تحـرى
لو أنّ بحْـراً حـال مـا بيني وبينك عـادَ جِسْرا
أو سرت مـا بـين النجوم لكان لي مسراك مسرى
وتظلّ تَشْكوني وتحفر للهوى في الصدر قَبْـرا
ويَظَلّ قَلْبي في يـديك تبيحـه نابـاً وظفْرا
قـد عشت راسفة بقيـدي مـا أريم وعشت حـرا
لظلمتني وأدرت ظهركَ لي ومـا استأهلت ظَهْـرا

* * *

بَرَدى أتذْكره . فليس ألذّ مِن ذِكْراه ذِكْـرى
لو كـان يعقـل كان سـطر حبّنـا سَطْراً فسَطْرا

ما زلتُ نَشْوى بالحديثِ يُطلّ مِن شفتيكَ دُرّا
الضّفّتانِ هناك ما أحْلاهُما ماءً وزهْرا
عيناكَ تَسْحرني وأنتَ تَذوب من عينيّ سِحْرا
والخمر من شفتيك تُسكرني وأنتَ تَضجّ سكرا
أفْديك يا بَرَدى تركت مرابع الاحرار خضرا
الماءُ عندك كاللجينِ فكيف يكسو الروض تبرا
إنّ القلوب الواهات رجعنَ من مَغْناكَ حمرا
هَلاّ وقَيْتَ جِراحَهُنّ من الردى .. بوركْتَ نهرا
وحفظتَ مِن أسْرارهن فما تذيع لهنّ سِرّا

* * *

وذكرت أنّ البدر أروع في السنا وأشَدّ بهرا
هل كنت تحسبني أغارُ عليكَ إنْ أحْبَبْتُ بَدْرا
والروضُ أنْدى في العبيرِ فلستُ أطيب منه نشرا
والوردُ أنْضَر في الربيعِ فأينَ حُسْني منه نضرا
والظّبْيُ يفتن بالتّثَني إنْ تَلَفّتَ واسبطرا
لا — لستُ ما دمتَ الجحود المستهين عليكَ غيرى
حَيّرْتَني ، وأنا التي ما كنتُ قبل هَواكَ حَيْرى

قد جُرْتَ في الأولى فحسْبك لن تجور علي أخرى
أنا ما أدلّ عليك حُسْناً أو أتيه عليك فخرا
كلا .. وما أعلنت حبُّك للورى ختْلاً ومكْرا
خفَقَ الفؤادُ فما أطقت وقد دهاني الحُبّ صبرا
إن كنتَ تجحدني الوفاء فقد أضعت عليّ عُمْرا
أين المشاعر من أولئك والنّهى منهن طُرّا
قلبي .. وَدَعْ عنك الجمال أجَلّ في الميزانِ قَدْرا

* * *

لا ، لست مُرْتاباً بقلبك إنما ترْتاب كبرا
ولأنْتَ أعْرَف بالضّميرِ وإنْ تحَجّبَ واسْتَسَرّا
لو كنتُ أعْرِفُكَ الخؤون كفَرْتُ بالأحْياءِ كُفْرا
كُنْ لي – كما أنا لا شريك فما أطيقُ الشرب سؤرا

نهدٌ ورعد

عَجَبي من الظبي النّفور .. يطيح بالليثِ الهصورْ
لرأيت أقوى من يجير .. عنا لأضعف من يجور
ورأيت خافية الحمائم .. فوقَ قادمة النسور
لكأنّهُ قَدَرٌ تحكّم في المَدارِكِ .. والشعور
هو سافِرٌ ممّا تجن – على تباينها – الصدور
سيّان إنْ كَشَفَ الستور فبَانَ أوْ أرْخى الستور

* * *

يا ربّةَ الروح الشفيف .. وربّة الجسد الطهور
الرّوض أنْتِ بكلّ ما في الرّوضِ من نَفْحِ العطور
وبكلّ أفْوافِ الربيع به .. وألحان الطيور
لا تَعْجَبي إنّا نراكِ جُبِلْتِ من أرجٍ ونور

فلأنْتِ أروع في السّنا .. منها .. وأضوعُ في العبير

العطْرُ أنْتِ أريجه .. والنّور أنتِ له سفور

* * *

قل للبدورِ .. وهَلْ يَطيبُ العَيْش إلاّ بالبدور

المانحات قلوبنا الترويح .. والأمَل النضير

أهيَ الشّفاه ؟ أمِ العُيون ؟ أمِ القُدود ؟ أمِ الخصور

نِعَمٌ تُطالعنا الحياة بها .. فما نخشى المصير

بشِباكِها يَقَع العَمِيّ .. وربما يَقَع البصير

نحنُ البخور لنارهن .. وهُنّ يحرقْنَ البخور

هُنّ الربيع لمجتليه .. وهُنّ باقات الزهور

تَحْلو الحياة لنا بهن .. فما تُساوِم في المُهور

* * *

أفَما تُنير لنا الغياهب .. غير هاتيك البدور

ويُذيب أكْباد الرجال هَوى الترائب والنحور

ما كنتُ أطمعُ في الفَكاكِ .. لو أنّني كنتُ الأسير

قد أرْتضي القَيْد الصغير .. لأحَطّم القيد الكبير

حُرّيْتي في أن أسير .. فما يُكبّلني .. المسير





فلقد نَذوبُ من الظِـلالِ .. وما نذوب من الحرور
مـا شقْوَةَ الاكْواخ إلاّ من رفـاهيةِ القصور

* * *

يا خمرةً شَقِيَتْ بهـا .. أرْواحنا أبَدَ الدّهور
ولّى النشاط بشربهـا .. عنّا .. وحاقَ بنا الفتور
عَصَروكِ من دَمِنا .. فبئس شرابنا هـذا العصير
قالوا لنـا هذا الطهور .. فكيفَ دَنّسنا الطهور
إنّ الفضيلة .. حينَ تُمتَهَن الكرامة .. كالفجور
ليس الكفور .. هو المُدافِـع .. إنمـا الباغي الكفور
وَيْحَ النفوس .. من الغرورِ .. إذا تملّكها الغرور
يَرْمي بهـا .. وهي البصيرة .. بين أحضان الشرور

الحُسْنُ يشمله الغرور .. فما يضيق مـن الخمـور
حتّى نضيق بـه ونسلمه إلى الجـد العثـور
إنّ المحاسن .. قد يشَوّهها .. التّـأله والنفـور
والعقل يركسه الغرور .. فمـا يرى إلاّ القشـور
يَرْنو إلى سفرِ الحيـاة .. فما تحرّكه السطور

لَكأنّه الحَيّ الوحيد رَثى لِسكّان القبور
تطويهم الأحْداث .. لولا أنه كان النشور

* * *

وَيْح الصقور .. من البغاثِ .. إذا تجبّرتِ الصقور
يتربّصون بها الدوائر .. والدّوائر .. قد تدور
الرّيحُ قد يردي الصبا .. منها وقد تشفي الدبور
والأرض قد يغدو الخصيب بها على الأيام بور
ليس المخافت في الطلاب .. كصاحب الصوت الجهير
إنّا لَنَخْشى العقم .. حين يكون رائدنا الحصور
أنّى لنا سَدّ الثغور .. ومنه تنفتح الثغور

وإذا تحلّلتِ الأمور .. سَعى لتعقيدِ الأمور
وإذا أطَلّ لنا السرور .. بوجهِه حَجَبَ السرور
وإذا رأى الحق استبان .. رماه بالسّهمِ الغدور
حظ الظهور .. إذا استقامت .. منه قاصمة الظهور
لو كانَ يفخر بالجريمةِ .. مجرمٌ .. كان الفخور
إنّ الصبور على الهوانِ .. بداره .. بئس الصبور

قد يخطئ الموت الجسور .. ويـدرك الموت الحذور
ما دام في الموتِ الحياة .. فما الذي يخشى الجسور
إنّ الذي بذر الشرور .. لنـا تسمّـمَ بالشّرور

* * *

إنّ الإناث .. إذا كرمن .. يقـدن للمجـد الذكور
بالأمسَ كُنّ — وقد برزن اليوم — ربات الخـدور
عفْنَ الخدور لأنهـا .. في رأيهن .. هي الجحور
أفنَحْنُ نرضى .. أن نكون — على رجولتنا — الجسور
كلا .. فما نحن الجسور .. ولن نهادن في العبـور
إنّ الكرامـة .. حين تغضب سوف تقتلع الجـذور
ولَرُبّ من ضَحك العشي .. بكى إذا شهد البكور

* * *

قُلْ للبـدورِ .. ولو غضبن .. بأننـا عفنـا البدور
هـذي القلوب الخافقـات بحبهن .. غدت صخور
الموطن الغـالي .. دعاهـا .. فاستجـابت .. للحضور

نذرت له زاكي الدّماء .. ولن تحول عن النــذور
انّا وأهلْونا الفداء لــه .. عـلى مَرّ العصـــور
ما عاش من أرضى هواه .. وعاش من أرضى الضمير

أذكريني

الى تلك التي اسعدتني حيناً من الدهر ...
الى (س) الفاتنة الخالدة في الفكر والشعور ...
أهدي هذه النجوى .

أذْكريني كلـّما اللّيل سَجـــا   واذْكريني كُلـّما الصبح استنار
إنني ألْقاكِ في جنحِ الدّجـى   مِثْلما ألْقاكِ في ضوءِ النّهـــار

* * *

إنني ألْقـاكِ جسْماً فـاتِنـــا   مثلمـا ألْقاكِ روحـاً أفْتَنـا
ولقد أحسبُ قلبـي خـائنـــاً   إن رأى – في غير عينيكِ – المنـى

* * *

إنني ألْقـاكِ في نَفْحِ النّــدى   مثلما ألْقاكِ في لفحِ الهَجــير
ولقد يطربني منكِ الصّـــدى   ولقد يسكرني منكِ العبـــير

* * *

أذكريني . لا تظني .. أنـني أنْشدُ السلوان من دُنْيا الجمـال
أنْتِ دُنْياي . فلـو أقْصَيتِني عنكِ . أرْضتني سمادير الخيال

* * *

أنْتِ دُنْيايَ . فما عدتُ أريد غير مـا تُلْهِمني تلك العيون
وشُجوني ليس لي عنها محيـد فأنا أقْتاتُ من هذي الشـجون

* * *

أنْتِ دُنْيايَ . فما أشكو النوى فأنا منكِ مدى العُمْرِ قريب
كيف أشْكوها . وقد كان الجـوى هو فردوسي . ولو خضت اللهيب

* * *

أذْكريني بـين أطفالٍ صغـار وقرين . لم تخونيـه وفـاء
أنْتِ لا تدرين ما يدري الحمَّـار حين ألْقيه على وجهي مساء

* * *

إنني أنشـقُ من لحمتـه .. وسداه . عبق المسك الفتيـت
ولقـد ضاعف من حظوته .. أنّه لمّ من الشعر الشـتيـت

* * *

إنّه منك .. فمـا أقْدَسه أثَراً عندي . وإن كان نَسيجا
هو من روحك .. فما أنْفَسه حينما يملأ أنْفاسي أريجا

* * *

أذْكريني . حين يلهيك الحِسان من رَفيقاتِ الصّبا واللّعب
حيثُ يحلو الأنْس في تلك الجنان ويطيبُ اللّهو .. للمنتهب

* * *

ليسَ للفتنةِ قلبٌ يا فتاتي نابضٌ بالحُبِّ . كالقلبِ المعنّى
فإذا ما ضقتِ ذَرْعاً بصلاتي فاحْذَري الحسن إذا أخضعَ حسنا

* * *

إحْذَريها . رُبّ معبود هَوى حينما فَرّطَ في .. عِزّته
أنْتِ في الفتنةِ لونٌ ما غوى أو تَرَدّى النّاس في حَمْأته

* * *

أذْكريني بينَ أشْباه الرّجال حينَ يطرونكِ .. يا ذاتَ البهاء
إنني أهْواكِ روحاً وخلال وأنا الحُرّ .. وهم أسرى اشتهاء

* * *

لسْتُ أهْواكِ .. جمالاً عاتيا   يَلْتَقي الفردوس فيه بالسّعير
إنني أهْواكِ .. لحناً ساجيا   وشَذىً يملأُ روحي بالعبير

* * *

إنني أهْواكِ .. نَجْماً هاديا   في السّرى .. بينَ دياجي الحَلَك
لا يُدانيه .. مَداراً ساميا   أيّ نَجْمٍ من نُجومِ الفَلَك

* * *

أذْكريني يا فتاتي واعْلَمي   أنّ يومي – كغدي – بين يديكِ
لا أداجيكِ بقلبي أو فمي ..   فأنا أكْرَمُ من يحْنو عليكِ

* * *

أذْكريني .. ثُمّ إنْ شِئْتِ فلا   تمْنَحيني غيرَ هذي الذكريات
فلقد تُسْكرني .. مثل الطلا   ولقد تُطْربني كالأغْنيات

* * *

رُبّ ذِكْرى حَفَلَتْ بالمتع   أو أسالتْ بمآسيها المآقي
إنها – في حالتيها – مَطْمَعي   منك .. حتى يَكتب الله التلاقي

* * *

دَمّرَ الحُبّ حياةَ المـاجنين   وبَنى أمْجادَ مَن صانوا حِماه
أنْتِ . لو أنّكِ يوماً تَفْخَرين   كان من فخرك قلبي ورضاه

* * *

أنا روحٌ عبقريّ الألم ..   مثلما حسنكِ فينـا عبقري..
هاكِ عهداً من يُراعي بدمي ..   كتبت أحرفـه .. اني الشجي

* * *

لستِ من طينةِ هذا البَشَر   أنْتِ . بل أنْتِ ملاكٌ من ضيـاء
ولقد شـاء لقلبي قَـدَري   انني لولاكِ .. أصبحتُ هباء

* * *

فاذْكريني . قد تَسامى وطـري   عن لذاذات الهوى .. والبرحـاء

المركبُ الوَعــر ؟!

تحجّبتِ عني خلف ألف حجاب ... فخلفتِ قلبي رهن ألف عـذابِ
ألا فارفعي عنكِ الحجاب فأنمـــا ... حجابك يغريني بهتكِ حجـابـي
وقفتُ بصرح الحُسْن أطرق بابـه ... فأدمى بناني منه وخز حراب
لقد كنتُ في الاعراف أطلب جرعةً ... تبل . فلم أظْفَر بغير سـراب
فلا تَبْطري بالحُسن . يا ربّ غادة ... تمَنّتْ مَشيبي بعد فوت شبابي
يَسيل لعاب التافهين على الهَـوى ... وَدوداً . ولكن لا يَسيل لعـابي

* * *

وَعُدْتُ فألْقَتْ بين رجلي وردة ... فيا ليتها ألْقَتْ إليّ صوابـي
أأدْعسها . كلا ، فما هي وردة ... ولكنّها دون الورود مـلابـي
تناولتُها .. ثم ارتويتُ بعطرهـا ... فلابَ الشّذا في معطسي بـتّرابِ
لئن هي لم تكرم عيوني بنظـــرة ... فقد أكرمت أنفي بخير كتـاب
لعلّي به استروحتُ ذكرى حبيبــة ... إليّ .. فلم أحْفَل بشرِ مــآب





فيا وردتي ليس التّراب بضـــائر   نضارة حسن . ما ازدهى بثيـــاب
ألَيْسَتْ يَد الحسناء مسّتك لحظة   فَنلْتَ بهـا دوني جزيل رغــاب
فيا ليتها مَسّتْ . ولو بمهنّـــدٍ   يَدي .. ثم ثَنت بعدها بمصابـي
ألا تبصرين السقم يُنْذر بالرّدَى   حياتي .. كبومٍ مُنْذر بخـراب

* * *

وعُدتُ إلى بيتّي وفي النفسِ غصّة   وفيها سؤال لم يَفُزْ بجـــواب
لماذا – إذا لم ترتضِ الحُبّ جهرة –   تَدين بـه سِرّاً وراء نقـــاب
وتعرف اني ما أضيق .. بخلّـــةٍ   كضيقي ، بمن يخفي الهوى ويحابـي
أتحسبني أرضى – كما شاء حكمها –   مجيئي إذا مَنّتْ به ، وذهابـي
وما أجْتوي ،حتى ولو مسني الأذى   وكان عِقابي .. في مكان ثوابـي
إذا رضيَتْ عني ، رضيتُ ثوابهـا   وإنْ صَدَفَتْ عني ، رضيتُعقابي
لئن حسبت هذا . فما أكذب المـنى   عليها ، وأشقاها بصدق حسابـــي

* * *

وجاءَ غُلامٌ بالدّجى مُتَسَتّرٌ   يُسائِلُ عني جيرتي وصِحابـي
فلمّا رآني أبرقَتْ في عيونـــه   معانٍ ، ولم ينبس بأيّ خطــاب
وأخرجَ من تحت الثيابِ رِسالـةً   وفَرّ كبرقٍ ، أو كخطف شهـاب
أذابَ شَذاها حكْمتي وتجلّـدي   وأذْهَبَ عنّي نقمتي .. وعتابي

عجبْتُ لهـا في حالتيها .. وردني إلى الرّشدِ إيماني ، بكل عجـاب

فحيناً أراها كل يومٍ فأشْتهـي لأنعم بالحرمانِ .. يوم غيـاب

وحيناً يمرّ الحول ما نلتقي بـه فما هو عندي .. غير عام تبـاب

تجَرّعني شَهْداً ، فأرتشف المنـى عذاباً ، تراءت في رحيقِ رضاب

وأحسب أني لستُ أشكو من الصدى وأهفو إلى ريّي ، فأجرعُ صابـي

* * *

دُنْيا الغواني . لستُ فيكِ بطامـع وقد كنتِ حيناً ، مَطْعَمي وشرابي

أوكيف ، وفي رأسي من الشيب هالة سَمَوتُ ، فما لَوّثْتُها بخضـــاب

ركبتُ عباب البحر حتى ألفتـــه وأعْجزني في الحُبّ خوض عبـاب

وأغْضَبه .. أني تركتُ ركابـه .. وسرت ، فأضْحى ماشياً بركابـــي

تجود على المُسْتَضعَفين قشـوره ونأبى ، فما نرضى بغيرِ لبـــاب

ونشربُ حتى نرتوي من شرابه فما نحن ممن يرتوي ، بحبـــاب

وما نحنُ ممن يطربون لبلبـلٍ إذا هو وافانا .. بثوبِ غُـراب

إذا لم نكن في الغابِ أسُداً فحسْبنا من الغاب ، أنّا فيه غير ذِئاب

وما نرتضي عيش التّراب ونرتضي من العيش ، أنّى كان، فوق سحاب

* * *

مشيتُ ، ولكنّي نصبتُ معالمـاً على الدّربِ ، يستهدي بهنّ ايابي

زجاجة العطر

يا عطرها لما أتتني به خجلى . كأنّ العطر شيء قليل
خجلى كعذراء . ولكنّها بليغة . ليس لها من مثيل
إنْ نطقتْ فالقولُ طوعٌ لها أو صمتتْ . فالصمتُ منها جميل
صمتٌ ترى الحكمة تصغي له وربّ صمت فيه نفعٌ جزيل

* * *

يا زينة النسوة .. يا فتنة للفكرِ .. حققتْ لنا المستحيل
كنا نظنّ الجنس هذا بلا عقل . فأخطأنا . وكنت الدليل
يا آهة أنّ بها شاعر كأنّةِ الورْقاء ذات الهديل
يا دُمْيَةً جاءَ بها ناحتٌ فجاءَ بالفنّ الذي يستميل
أو انها أغنية ما شدا بمثلها البلبل عند الأصيل

إنْ ضاقَتِ الدّنْيا على بائس منّا . ولم يبصر . أبَنْت السبيل
أبَنْت يا نور الورى نهجه وكنت في الوحشةِ نعم الزميل
نعيش أنّى عشت حتى إذا أنت ترحّلت يطيب الرحيل
نشرب من عينيك عَذْب المنى كأنما نَشْربُ من سلسبيل

* * *

أصغي . فإنّ العطر هذا الذي أهديتِه يَشْفي فؤاد العليل
حفظته عندي .. ويا ربما أضعت من قبل النفيس الجليل
أخاف أن أسكبه في يدي فيعرف الحاسد فضل المنيل
أو ينشق الناس شذاه فما أسلم مِن قالٍ لديهم وقِيل
لقد حفظت العطر في مكتبي فهو بظلٍ – في حماه – ظليل
ثمّ نزعت القلب من صدره وقلت اطفىء يا فؤادي الغليل
من عطرها . لا بل بما نالني من فضلها . بعد الشقاء الطويل

* * *

ضمّخْتُه بالعطرِ حتى انْتشى وعَزّ بالحُبّ . وكان الذليل

كلير ؟!

« كلير » لولاكِ ما همْنا بمؤتلق — من الوجوهِ . ولا حال من الصورِ
ولا اغْتربْنا فما نرتدّ من سَفَرٍ — إلاّ ونحن من الذكرى على سفَرِ
ما نَسْتريح ولا نقضي لبانتنا — ففيمَ نَطْوي الدّجى طياً بلا ضجر
تَبارَكَ الحُسن نرضى من خلائقه — بالصفوِ .. مثل رضانا منه بالكدَر
إذا وردنا فإنّ الورد غايتنا — وإنْ صدرنا .. فما نشكو من الصدر

* * *

كلير ان تنكري في الحب ما اجترحت — نفسي فلا تنكري اني من البَشر
مَن ذا رأى مثل هذا الحسن منطلقاً — فلم يَسِرْ خلفه رغماً على الأثر
صَبَوْتُ . والشيب ينهاني فيفجعه — أني غدوتُ بلا سمع ولا بَصَر
لم أعْصه غير أني كنتُ أسمعه — كأنما هو اغْراء من القَدَر

سـيّان . والقلب مفتون بصبوته صوتٌ من الجد أو صوت من الهذر
أنْذَرتُ قلبي مليّاً قبل مصرعه لكنّه كان في شغلٍ عن النـذر

* * *

كلير .. غاض نميري بعدما رويت من عذبه فتيات البدو والحَضَر
وفيك أرْوَع ما في الغيدِ قاطبةً مِنَ المَلاحةِ والإدْلال والخفر
جمعت كلّ الذي فيهن من أرَجٍ ومِن رواء ومِن سحر ومِن حوَر
فمَن رآكِ رأى دُنْيا قد اكتملت من المحاسن واستغنت عن الدرر
كأنها الروض يجري في خمائلـه ماء الغدير فيغنيه عن المَطَـر

* * *

كلير .. عشتُ بلا حُبٍّ ولا أمل كالقَفْرِ عاش بلا ماءٍ ولاشجر
أنا اليتيم – وما تحصى عشيرتـه – لكنّني بينهم عود بلا وتَـر
كالدّوْحِ من حوْله الأشجار مثمرة ويشْتهي – دون جدوى – نعمةالثمر
يكاد يحسبني مَن ليسَ يَعرفني من التبلّد . تمثالاً مِن الحَجَـر
المالُ والمجدُ أوهاق لمرتقـبٍ ما ليس فوق أديم الأرض من وطـر
قد اغْتربت بداري غير مؤتنس بها . وأمسيتُ من أهلي على حَذر

* * *





كلير .. ما أضْيَعَ الباكي على دنفٍ   لاهٍ . وما أهْوَنَ العاني على كبر

ربيع باهلة أزْكى بنضرتــــه   من الخريف الذي يأتيك من مضـر

قد عشت في القصر لكنّي إذا نظرتْ   عينايَ ظبياً تركت القصر للـوبر

إذا نظرت إلى الدّنْيا فلم ترهـا   إلا ظلاماً . فما جدواك بالنظـر

هذا الدّجى في حنايانا وليس لـه   من كاشفٍ نتمناه سوى القمر

* * *

كلير .. لا تأبهي للضعف ملتمساً   فربمـا عصف الاخفاق بالظفـر

وربما رحمة أدنت إلى خطرٍ   وربما قسوة أقْصَتْ عن الخطرِ

إذا دعتك إلى النعماء داعيـة   فربمـا كانت البأساء في الأثـر

لبيت قبلك في الأصباحِ دعوتهـا   فكدتُ أنكر ما لبيت في السحر

لولا المعاني اللواتي لم تدع جنفـاً   في النفْس كنتُ حسبتُ النفع كالضرر

* * *

كلير .. إنْ فرّقَتْ ما بيننا سـبل   فسوفَ يجمعنا مُسْتَعذب الذّكر

كتبتُها بمدادٍ من دَمٍ عَطِــرٍ   وليس أثمن عندي من دمٍ عطر

وصنتُها في شغافي فهي كامنــة   فيه كمثلِ كمون النّار في الحجـر

وما أراكِ على النسيانِ قــادرة   فإنّ قلبكِ لا يقوى على الغـرر

قرأتُ سيرتكِ المُثْلى بصفحته | فما قرأتُ لهـا صنواً من السِيَـر
ما فيه إلا الذي يفضي إلى شرفٍ | وليس فيه الذي يفضي إلى وضر
كالرّوض أنت . فإن لم تشف نضرته | شَفاكِ نَفْحٌ من الأوراقِ والزهر
قد كنت قبل رحيلي عنه في جَـذل | فصرت بعد رحيلي عنه في سَقَـر
ورُبّ قلب من الذكْرى على سنة | غافٍ . وقلب من الذكرى على سهر
يُشْجيه أنّ الذي ناجاه مصطـبر | عنه . وما زال عنه غير مصطبر
وهل يطيقُ حبيب عاش مدكـراً | هواه نجوى حبيب غير مدكر

* * *

ماذا يريد هوىً يَطوي شبيبته | من الشبيبة إلاّ قسوة العـبر
شتّان ما بين ذاوي العُمْر محتضر | وبين نضر فتي غير محتضـر

حيّ «مايْفِير» ؟!

زار الشاعر واحد اصدقائه اسرة انكليزية بحي مايفير بلندن وهو حي الصفوة المختارة من الاستقراطية الانكليزية وقد التقى هناك بسيدة يجتمع الى جمالها المذهل شخصية قوية مسيطرة وثقافة واسعة. وقد اتصل الحديث بينها وبين الشاعر ثم تكررت اللقاءات التي تمخضت عنها هذه القصيدة .

في حيّ مايفير صادتني حبائله ... يا ليتني لم أشاهد حي مايفيرِ
أغن تحسبه من فرط رقّته ... طيفاً تلفّع فيه العطر بالنور
رأيتُه فتبدّت لي مخائله ... كأنها أفق في عين مبهور
أحسست أني بلا عقلٍ يوجهني ... ولا فؤاد يقيني سطوة الحرر
وكيف يشعر من لاقى صبابته ... وكيف يعقل مَن أمسى كمسحور
وكيف يطمع في حس وفي مقة ... مَن عاش يطمع في حب وتطهير
قد كان يخدعني في الحسن منظره ... لكنّه اليوم حسن غير منظور

بألفِ باصرة من كل جارحة | أبصرته مثل موسى في حمى الطور
وكنت في الحب مخموراً بمظهره | وإنما اليوم حبّي غير مخمور
بكل صحوي وتبصيري شغفت به | وقد جزاني على صحوي وتبصيري
إنْ كان في شهوات الجسم معضلتي | فإنّ في صبوات الروح تفسيري
ما الفجر يهدي إلينا النور مؤتلقاً | كالليّلِ يهوي بنا نحو الدياجير
ولا التذاذي بشادي الحُسن يفتنني بطهره .. كالتذاذي بالمواخير
العُهْرُ تخلبني منه .. بوارقه | وترتوي من دمي والطهر اكسيري
وما رسوفي بقيدٍ لا انفكاكَ له | كمثلِ منطلقي منه .. وتحريري

* * *

يا أيها الحسن مطوياً على جنفٍ | يحوطني بنطاق منه .. كالسور
وايها الخفر المفتون صاحبه | إذا لَهَوْت عن اللّقيا بتذكيري
للهِ فاتنة بالحُسْنِ حالية | بالطهرِ لاهية عن كل محذور
ودَدْتُ لو لم تقيّدني سلاسلها | وأنني في هواها غير مأسور
وانني كنتُ مشغوفاً بغانية .. | يفضي اليها فيرضي كل مهجور
ليست محاسنها نجماً يلوحُ لنا | فما ترى منه إلاّ وَمْضَة النور
فإنما نحن من طينٍ فليسَ لنا | من الملائك حظّ قيدَ أظفور
من اصطفى مُلْكاً ظلت نوازعه | من غير زاد من النعماء موفور

* * *

يا عازفون عن النجوى بميسرة   من العواطف إني غير ميسور
إذا انصرفتم عن البلوى فما أحدٌ   بمستطيع سواكم صرف مَقْدوري
إني لأطمع فيكم .. ثم يصرفني   عن مَطْمَعي انني أسعى لتدميري
لَشدّ ما حجبت عني مفاتنكم   بجبوحة العيش في شم المقاصير
إذا لَقِيتم سراة في مناعمهم   فقد لقيتم هباء في المعايير
لا تحفلوا بالدّمى واحفلن بي بشراً   من الاعاجيب ألحاني وتصويري
كأنّني هالةٌ للنّورِ تعصمه ..   من ظلمةِ اللّيلِ أو دهم الأعاصير
شَدَتْ بشعري الصحارى وهي مجدبة   فأخصبت وارتوت قبل النواعير
إذا الجهام أظَلّتْني سحائبه   أيقنتُ أنّ صعيدي غير ممطور
ما كنت قبل صباباتي بمتهمٍ   ولست بعد صباباتي بمنكور

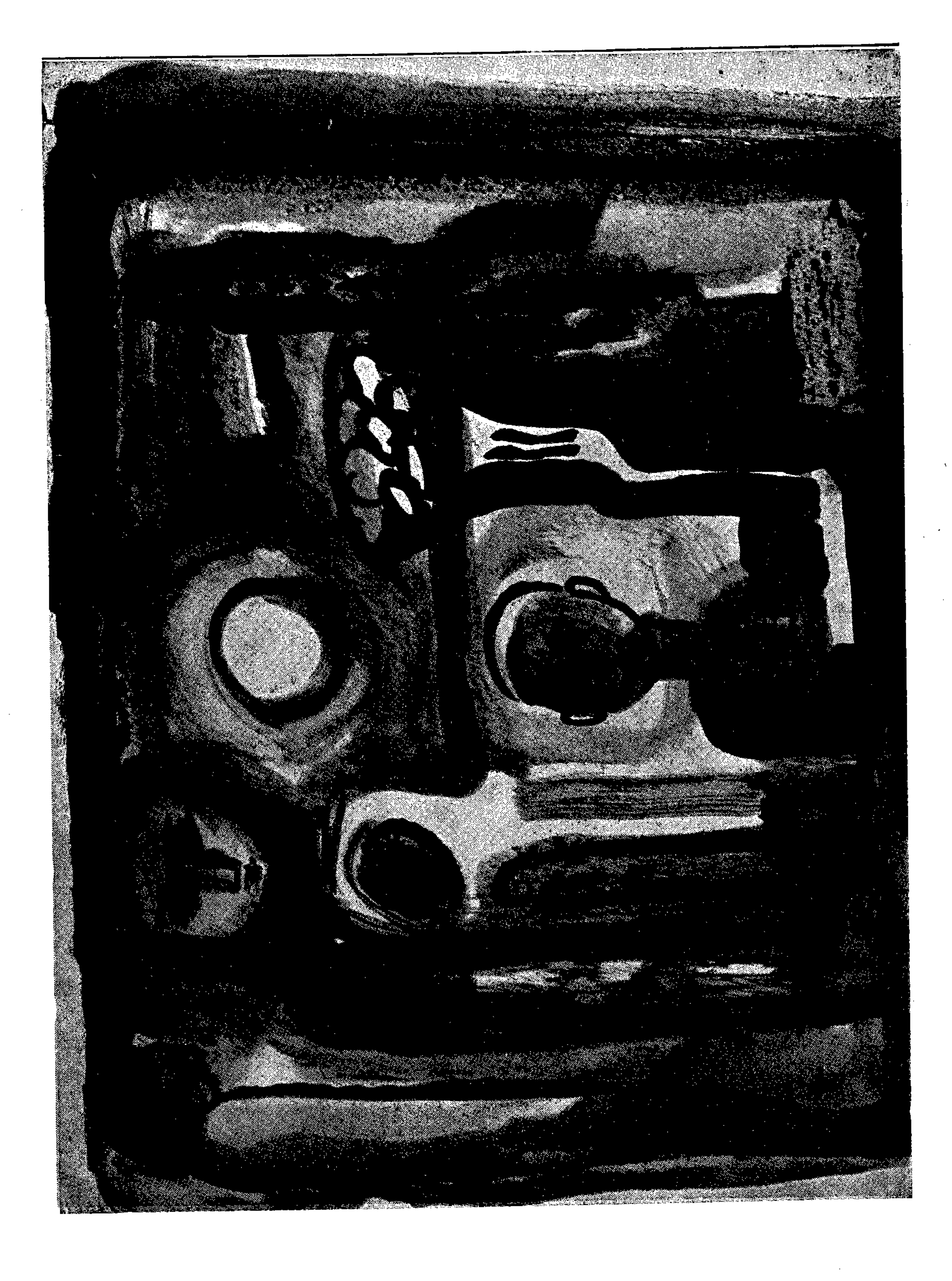
* * *

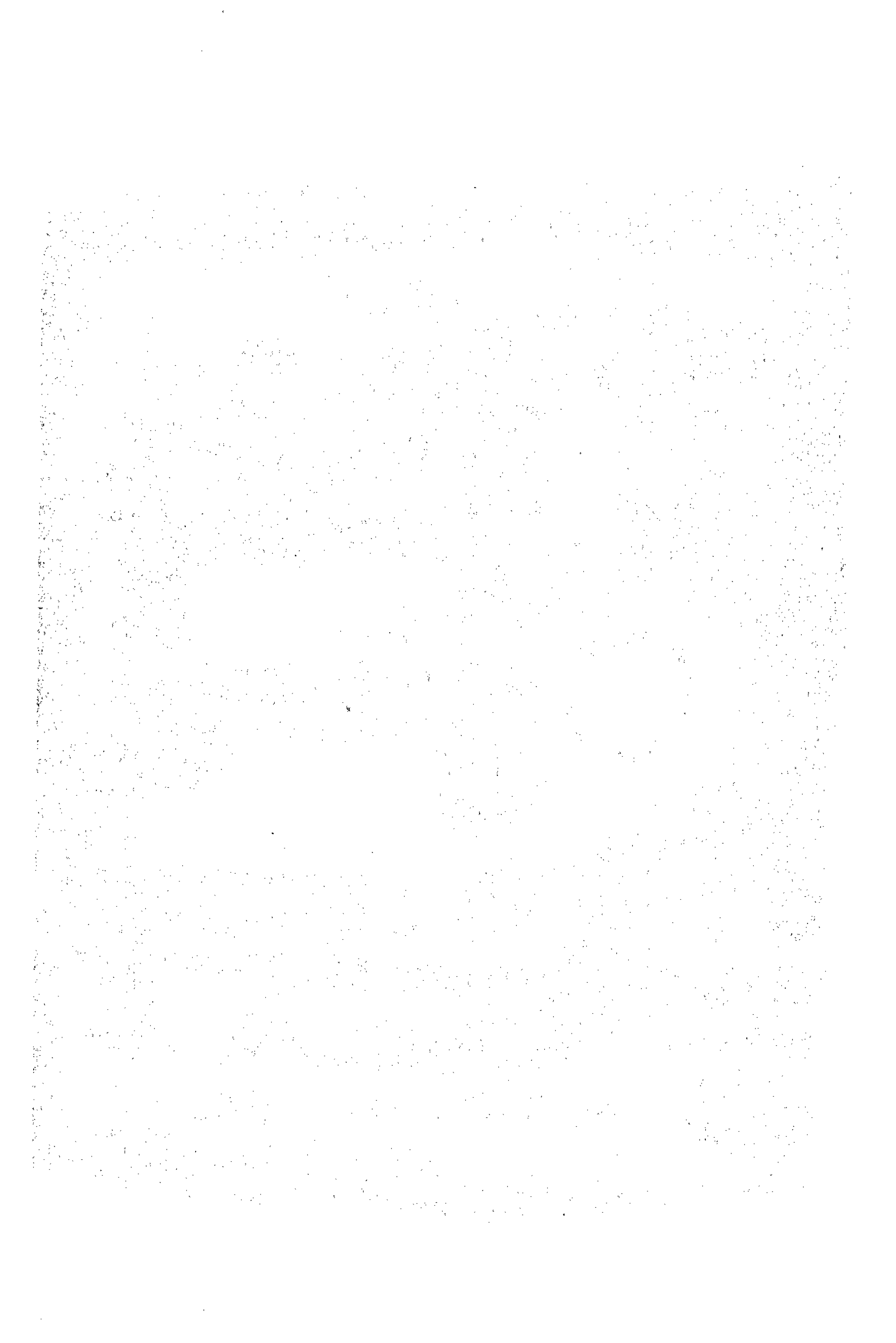
يا رَوْضةً حَيّرَتْني في خمائلها   حتى تخيّلتُها إحدى الأساطير
أمِنْ رياحينها ؟ أمْ من جداولها ؟   سكرت ، أمْ من شَدْو الشحارير
لقد أهبْتُ بألحاني فما صدحتْ   ولا استجابت لأشجاني مزاميري
وقفتُ بالسندسِ المخضرّ أسأله   والبِشْرُ يَطْفَحُ منه في الأسارير
وقد تمنطق .. أحْداقاً وأفئدةً   ما بين مكتئبٍ منها ومحبور
هل أنت ناري ؟ فأطوي دونها دنفي   أمْ أنت جنّة أحلامي وتصويري
هامتْ بك الروح ترضيها وتسخطها   واستعذبتك على صفوٍ وتكدير

مَـذبح الحُـرّية !؟

ورأيتها ! في عريها .. فتراجعت | عيني تراجع خـائبٍ محـزونِ
لم تبق فيهـا فتنـةٌ مخبـوءةٌ | تُغْري العيون بسرّها المكنـون
الفتنة العصماء تكمن في الـذي | يخفى فلا تبقى بدون كمـون
ما يبذل المعمود من صبواتـه | ليعود منك بصفقة المغبـون
إنّ ابتسامته كمثل حبـالـة | نصبت لصيد الأحمق المفتون

لو تبصرين غداً بيومك أبصـرت | عيناك وجهـاً ليس بالمأمــون
صوني عفافك رُبّ تفريط بـه | يلقيك في حمـأ الهوى المسنون
تتخبطين بـه فما من مسـعف | لك حينما يلقـاك وسط أتـون
ولعل ذئبك لا ترف جفونـه | جزعـاً وكيف لمثـله بجفـون
أنتِ الـتّي تتحملين شجونـه | وهو الذي يمضي بدون شجون





ولربما ألقى الملام عليك في ما كان بينكما كفعل الدون
جرح العفاف يظل أحمر قانيا تشتم منه مذلة المطعون

* * *

سيري على النهجِ القويم فإنّه نهج الكرامة ليس نهج الهون
ما تخفضين الرأس فيه لعابثٍ متربّصٍ بعفاف كلّ مَصون
يبدي الحنان إلى الحسان تزلفاً فإذا تملّكَ عاد غير حنون

ما هَمّه إلا اقتناص فريسة برزت له بغواية وفتون
فإذا نصحت له أجاب مُغالطاً هي مَن أثارت لهفتي وجنوني
لولا تبرّجها لما طَمِعَتْ بها نَفْسي ولا راوَدتّها بعيوني
هذي شقيقتها لفرطِ تقاتها مني تكاد تكون فوقَ ظنوني
تمشي — ويمشي خلفها من حزمها حَرَسٌ يَردّ تطاول المأفون
جرّبتُ — في إغرائها فتمنّعتْ وسَمَتْ على الاغراءِ — كلّ فنوني
أنا عندها الملعون في نَزَواتِه ولدى الفريسة لستُ بالملعون

* * *

إنّ التحرّر دون قيدٍ آفة كالقيدِ دون تحرّر وركون
فتجمّلي لكن بدون خلاعة وتحرّري — لكن بدون مجون

وخُذي بتقليدٍ أتاكِ وراثة		من أمّةٍ ليست بذات قرون
لا بالقيودِ – كما تقول عصابة		خرقاء قد حكمت ولا بسجون
لكنّها أعطتك من حرية		مضمونة الاهداف من مضمون
شَرّ الخليقة أن تسير مع الهوى		وتطيع فيك نوازع المجنون

* * *

لا تحْسَبيها دعوة رجعيّة		أهْذي بها قبل اقتراب منوني
فلَعلّني مُتَحَرّرٌ ولَعلّهمْ		ظَلَموا التحرّر حينما اتّهموني
أنا لستُ أرجو من نَوالكِ غيرما		يرجوه شادي الطير فوقَ غصون
لكِ في البكور يَراعتي وملاحمي		ولكِ الغداة ربابَتي ولحوني

الحُبّ الأخِير ..!

رآها فلم يملك فؤاداً ولا لُبّــــا ... كــأنّ الذي من قبلها لم يكن حُبّا
وراعته أمواجٌ من العين تنطوي ... بها روحـُه .. من دون أن ترفع الهُدبا
فيا ويحَ قلبٍ يستطيرُ من الهَوى ... شُعاعاً ، فما تلقاه ـ إن شفـّهُ ـ قَلْبا
تراه إذا ما الحسن ألْقى شباكَـه ... يسير إليها جائعاً .. يلْقط الحَبّا
يسيرُ ويدري أنّ في الحسن مصْرعاً ... ولكنّه يستمرىءُ المصرعَ العَذْبا

* * *

رآها . وقد كان الحسانُ لواهِفاً ... عليه . وقد كان الهوى عنده نَهْبـا
إذا لاح في دربٍ تطلّعْنَ نحوه ... وسِرْنَ ـ إذا ما سار ـ من خَلْفه ركبا
فعاد . وقد يُرضيه منها تَعِلّةٌ ... بوعدٍ . وقد تأبى . فيُرْضيه أن تأبى
تخاضعَ من بعد الترفّع واستوى ... مهيضاً . فلا سِلْماً أطاق . ولا حَرْبا
تقول له في سطْوة الحسنِ كلّما ... أتاها .. لقد أذْلَلْتَ في عِزّه الشّيبا
وأيْنَ له رشدُ الكهولةِ .. أينَهُ ... وقد عَصَبَتْ عَيْنَيْه ـ من دونه ـ عصْبا

ويُغضي . فهذا بُؤْسُه بعد فترة من الدّهرِ أصباهُنّ من لم يكن صبّا
ويا رُبّ إغضاءٍ من الحُرّ تكتوي به نَفْسُهُ .. حتى ترى حبها خَطْبا

* * *

تذكّر . والذّكرى أجاجٌ بحلْقه وكيف تطيق النّفسُ من ملحهِ شُرْبا
تلوح له أطيافُها في غلائلٍ .. مُنَمْنَمَة .. كانت له المرتعَ الخصْبا
فأمسى بهذا الحسن من بَعْد خصْبه بتلك الرّؤى يرْعى . وما يشتكي الجدْبا
وتدري . فتلهو لَهْوَ حُسْنٍ مُمنّع بقلبٍ شجيٍ .. ظن في خُسْرِهِ الكسْبا
فهل هي تدري .. أنّ خلْفَ غرورها فواجعَ .. لو تدري بها امتْلأتْ رُعْبا

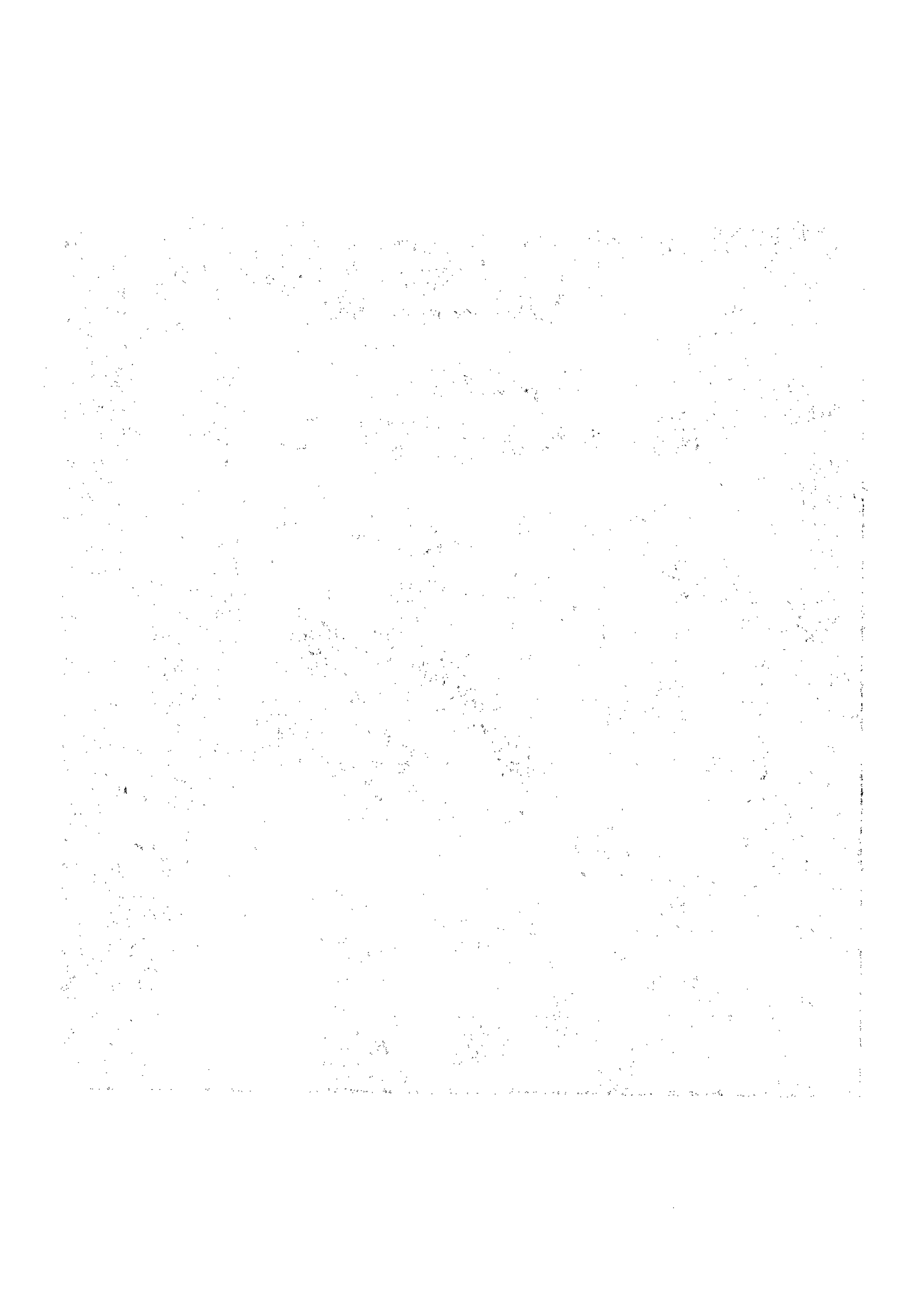
* * *

أطِلّي عليه .. من سمائكِ .. إنّه فؤادٌ تودّ الشهْبُ لو عَشِق الشّهبا
لو ريشةٌ يَعْنو لها الخُلْدُ لو جرَتْ على صخرة صمّاءَ .. أنْبَتَتِ العُشْبا
أبيحي لها هذي المفاتِنَ .. إنّها إذا لامستْها .. لم تَعُدْ للبلى نَهْبا
ستغدو على الأيام لوحةَ مُبْدِعٍ يرى اليأسُ في أظْلالها الأملَ الرحْبا
وإلاّ فماذا أنتِ ؟ هل أنْتِ فِتْنَةٌ مُجسّمةٌ تختالُ ما بيْننا عُجْبا
ولكنّها استعصتْ عليه .. كأنّما ترى بُعْدَهُ — عما يُتَيّمهُ — قُرْبا

* * *

لقد كان ذنْبي في هواكِ مُضاعَفاً فقد صرْتُ من هذا الهوى أعشقُ الذّنْبا
إذا لم تكن ربّا لقلبكَ لم تجِدْ له غيرَ من يُشْقي خوالجَه .. ربّا





وجاءَتْه من بعد الصدود مهيضةً تجرّ خُطىً .. كانت تسير بها وثْبا
تنوءُ من الذكرى ..ويارب حاضرٍ عليل بماضيه الذي أنكرَ الطِّبا
لقد كان هذا القلبُ رطْباً فأيْبَسَتْ يداكِ –وما كفكفتُها– ذلك الرّطْبا
وأطْعَمْته السّلْوانَ فاستعذبَ الردى عليه .. فجافاهُ رداهُ .. وما لبّى
مضغتُ به الطّعْمَ المرير فردّني إلى هيكلٍ .. لولا العزيمةُ .. ما دبّا
وها أنتِ . بعد اليأس ترْجين صُحبة وقد عافَتِ النّفسُ المدامة والصّحْبا
سَلَوْتُ.وقدشاختْ أحاسيس نابضٍ فلستُ أحسُ اليوم من نَبْضِه وَجْبا
حماني الأسى أن أستجيبَ إلى الهوى وقد ضاعَ أمسي .من مواجده غَصْبا
ولو أنني أقوى عليه .. لَخفتُهُ .. وآثرت من أهواله .. البُعْدَ لا القُرْبا

* * *

ذريني .. ذري هذا الحُطامَ فإنّه يكاد لطول الكَرْبِ يستعذِبُ الكرْبا
أمامكِ من دُنْياكِ .. ما ترتجينه لعُقْباكِ .. لكنّي غَدَوْتُ بلا عقبى



في موكب الحياة

جَحيم النَفس

اسْبقيني إلى الجحيمِ فــأني | سأوافيكِ من غدي للجحيمِ
واطلُبي من سراته أن يكونــوا | عند أبوابــه .. قُبُيْلَ قدومــي
أخبريهم انّ الزعيم سيأتيكـــم | فَهُبّوا إلى لقــاءِ الزعـــيم
قد شكت من مبادئه الأرض.. | فمــا حادَ عن هواه الذمـيم
قال شيطانه له ، وهو يطريـــه | لأنْتَ الرجيمُ مولى الرجـيم
لستُ أدري . فأنت في الشر موهوب | وفي الاثم ضارب في الصمــيم
أنا أقــوى عـلى الضــلالة .. | أم أنت، وأولى بالحمد والتقــديم
هكذا كنت في الحياة ، فقــولي | لبني النار عن عتوي وخيمـــي

* * *

وأتيْتُ الجحيم يَسْبقني الزهو | ويضفي عليّ مجــد الاثــيم
فإذا بي أرى المواكب كالليل | وأصْغـي لأعــذب الترنـــيم

كان إبليس والشياطين والخلـق   يضجـون بالثنـاءِ العَظـيم

هتفوا حينما أبصروا المـارد   حييـت مـن جحود .. لئيم

وتلاهم إبليس بالمدْحِ يزجيه   إلى الشيخِ والفتى والفطـيم

وفلقد كنت مذ شببت عن الطوق   خليعـاً في غبطتي ووجوهـي

لم يزعني المشيب . أما شبابي   فلقد كان مثـل ليلٍ بهـيم

تبَيَّنْتُ في الزّحامِ فتـاتي   تَلْفَح النّار وجهها كالهشـيم

تتلظّى بها . وما تحسن الشـكـو   كمثْلِ الجواد .. بعـد الشكـيم

ايه لا تَغْضَبي . فما أنتِ إلا   صخرةٌ حَطّمَتْ حديد القـروم

حيّةٌ تَنْفث السموم ولكني   تجرّعْتُ كلّ هذي السـموم

أنا لولاكِ لم أكن عارم الصبـوة   أعنُو لخمرَتي .. ونـديمي

ولمـا تنصبين من شرك اللهـو   ومـا تَشْتَهين من تـأثـيم

قدتني كالبعير .. يلهو بـه الطفل .. خطيماً حيناً .. وغير خطـيم

ربمـا قـاده لسكّين جـزار   فيغدو – من بعدها – كالرميم

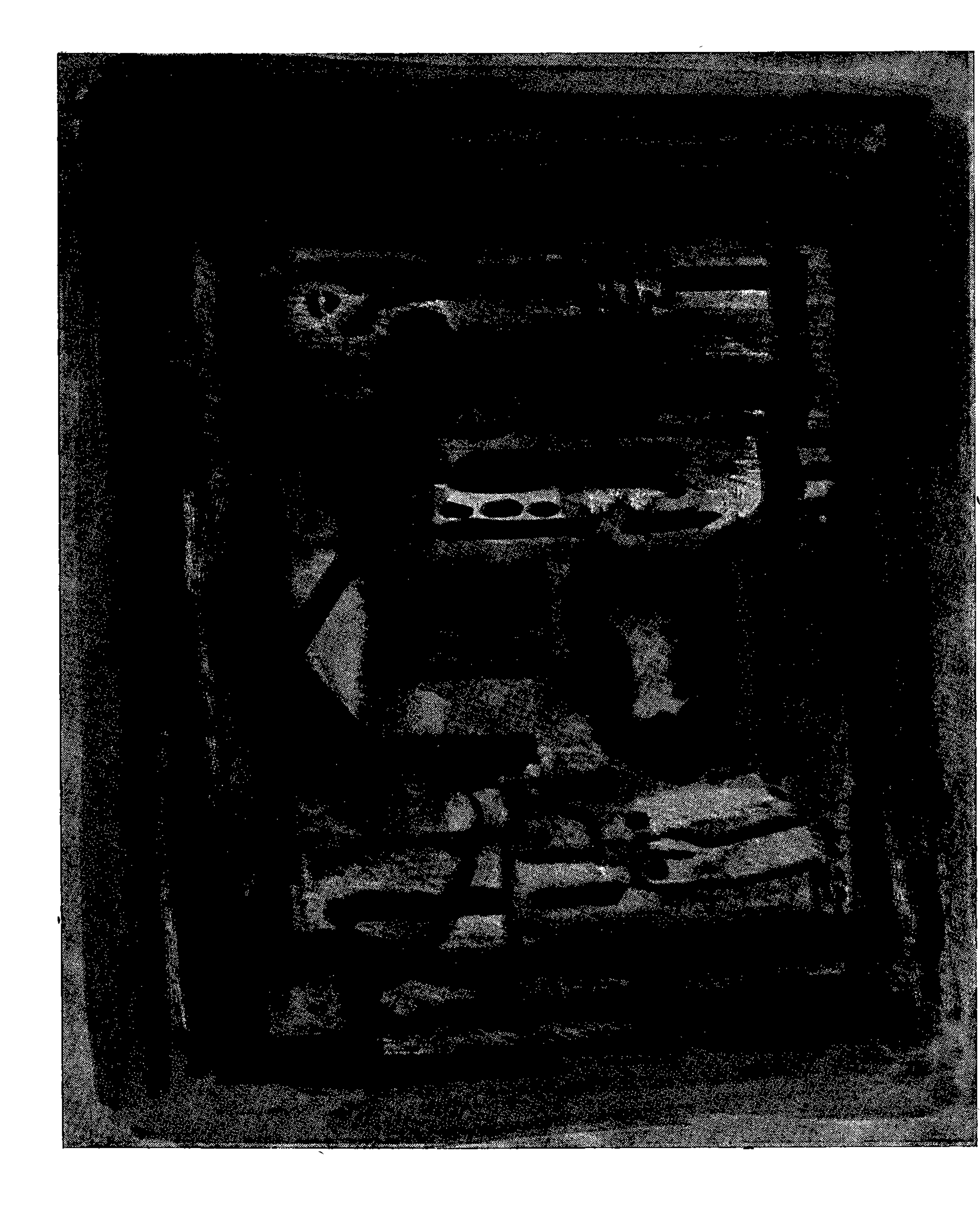
لو تبينت مصرعـي لتمـردت   وأعـدَدْتُ مَصْرعاً لغريمي

غيرَ أنّ القناع يسدله الوَهْـم   يغطي .. على عيون الحكـيم

ما أراني إلاّ المحاسن يخلـبن   ولم يبـد مـا وراء الأديـم

فتدهورتُ نحو قاعي ، فما أبصر فيه   إلاّ ظـلام السـديـم

قد تَلَمّستُ في الجدار نجـاتي   فإذا بالجدارِ يدمي كلومـي





وتَعَلّقت بالنتوءِ فـأهويـتُ   إلى مجهـلٍ رهيب .. ظلـيم
لا تخافي . فقد أعود وإيّـاك   طهورَيْن ، بالعـذابِ الألـيم

* * *

ثمّ طوّفْـتُ في الجحـيمِ   وما فيه سوى الهول والشقاء المقـيمِ
فإذا باللئـامِ في دركِ النّـار   يصيخون للحـديثِ اللئــيم
للحديث السقيم نَمْنَمَه الأفك   ليغْدو للنّـاسِ غير سـقيم
الذي حَوّلَ الكريم إلى اللؤمِ   فأمسى – من بعد – غير كريم
ولقد رابني السماع فأصغيـتُ   لأبليس ذي الحـديث الوخـيم
قال ان الفردوس قـد أجـدب   اليوم .. فما فيه من ولي حمـيم
ولقد جاءَني رسول من الجنـة   يشكو إلي شكوى العـديم
سـوف أسـقيهمو الغمـام   واهديهم رخاء من ناعمات النسيم
قال هذا . وصدّ عن وجهه الـدامي   شواظـاً .. أهدته ريـح السموم
فتعجبت للهـراءِ . وقهقهـت   فولّى . وقال .. أنت خصيمي

* * *

أيهـذا الجحيم مـا أنْتَ إلاّ   بعد كشف الغطـاء دار النعيمِ
كيف لم أبصر الحقيقة في الدنيـا   ولم أمشِ في الطريقِ القـويم
ورأيتُ الحسناء . قد عقها الحُسْـن   وولّى . فـأصبحت كالصريم
أطرقت كالأثيم في غمرةِ الخَطْب   وظلّت في حيرة وسـهوم

قلتُ لا تطرقي . فيا رُبَّ نصرٍ ... أخْضَعَتْه إرادَةَ المهزوم

ولقد كنت في الحياة ضياعي ... وجديدي هنا كمثل قديمي

اسمعي . كنتِ فتنتي في المسرّات ... وما أنتِ فتنتي في الهموم

ولقد جئت بي هنا . فتبينت ضلالي ... مسجلاً في رقيمي ...

ولقد كنت حاقداً يطلب الثأر ... ولو كان ثأره في النجوم

ثُمَّ أمْسَيْتُ ما أبالي ... فقد بلّد حسي انهيال هذي الرجوم

لا تخافي فقد تبدلت حتى ... خفت لا أن ألوم . بل أن تلومي

وتطهرت باللهيب من الرجس ... فأبصرت كعبتي وحطيمي

لن تقيمي مثلي هنا ... ان تحولت إلى منهج الهدى..لن تقيمي

* * *

فبكَتْ . ثم أجهشَتْ . رُبَّ ليثٍ ... دمعَت عينه لدمعة ريم

وتبينت في ملامحها الضعف قوياً ... على الفؤاد الرحيم

إنّه ضعف مَن تشبث بالحقّ ... ليقوى . وليس ضعف الحريم

واتجهنا إلى السمو .. كِلانا ... سائر في صراطه المستقيم

* * *

ربّما طَهّرَ الجحيم نُفوساً ... شقيت قبل طهرها بالنعيم

أيها النفْس بين جنبيك نار ... تتلظّى . تفوق نار الجحيم

فارحميني من الضريم فأني ... لم أذق في اللظى كهذا الضريم

عَذابُ الحيرة

لِمَ لَسْتُ أقْنعُ في الحياةِ بكلّ أوطارِ الحيـاة
لِمَ حين تمنحني الهِبَات .. أضيقُ ذَرْعاً بالهبَات
ويشوقني الحرمان . ثم أضيق بالحرمان . من كلّفي بذاتي
وَيْحِي فما أشكو سوى ... أني أعيشُ بلا ثبات

* * *

هذا التطلّع للجديدِ .. يرنق الصفو القـديم
فإذا تحَقّقَ لي .. ركضتُ وراءَ مفرى الاديم
وكِلاَهُما يَشْقى .. فما أرْضى الجحيم ولا النعيم
وأحِنّ شَوْقاً للحميدِ .. كما أحنّ إلى الـذميم

* * *

ماذا أريد ؟ فقد بَرِمْتُ بما أريد .. ولا أريدْ
إنّي لأهْدِمُ .. ثمّ أبْني .. ثُمّ أهْدِمُ من جديد
وأرى الْحَصى دُرّاً .. فأنْظم منه كالعِقْدِ النّضيد
ويهولني قَدَري .. ولكن ليس عن قَدَري محيد

* * *

أهْفُو وأسْأم .. يالحَيران يعاني شَقْوَتيْن
مَنْ ذا رأى مثلي .. تعَذّبَ في الحياةِ بمَوْتتيْن
قد ذُقْتُ ما في الموت .. من ألمٍ ورعبٍ مرتيْن
وبقيتُ أرْقُبُ نعمتيْن .. وقد بُليتُ بنقمتيْن

* * *

لو سامَني دَهْري العذابَ .. لما اشتكيت من العذابْ
ما دامَ يَتْلوه الثواب .. فأسْتريح إلى الثواب
لكن على أن لا يَضلّ كِلاهما .. درب المآب
فتملّه نَفْسي .. ويدفعها الملال إلى التباب

* * *

قد كنتُ في فجرِ الشباب .. أرى الكهولة مغْنَما
وأرى المشيب هو الوَقار .. هو الفخار الاعظما
حتى إذا وَافى .. رأيتُ بـه الحيـاة جهنّما
لكن .. أيُسْعِدُني الشباب ولو أثاب وأكْرما

* * *

كَلاّ .. فما أنا بالشباب .. ولا المشيب بنـاعمِ
فَكِلاَهُما يُدْني إليّ .. نسـائمي وسمائمـي
وأنا الذي ضَحّيتُ .. بعد مغارمي بمغـانمـي
كيْ أستريح .. فما استَرحْتُ سوى استراحة حالم

* * *

ويَلُوبُ في نَفْسي .. سؤالٌ حائرٌ .. من صَدّهِ
لو انّني أدْري الجواب .. لما بَخلتُ بردّه
لكنّني أنـا كالمكبّل .. راسِفاً في قيْـده
أو كالمقـامرِ .. قـد يضـلّ بنحْسِه وبسعدِه

* * *

لا تَنْشُدي عَوْني .. فما أقْوى عليه .. ولا ألامْ
كيفَ السبيل إليه ؟.. والدّنْيا ظلامٌ في ظَـلام
ولقد أعاني النقص .. لكنّي أخاف من التمـام
يا وَيْل مَن رَكِبَ الغَمام .. إذا تمَرّغ في الرغـام

* * *

ما حيلتي .. وأنا الذي .. يا نَفْسُ مثلكِ حـائر
قد سـاقَني قَدَري .. وها أنا في المتاهةِ سـائر
أأكُفّ عن سَيري ؟ وكيف ؟ وما يكفّ الزاجـر
أمْ هل أسِيرُ .. ولو هَلَكْتُ ؟ وما لدَرْبي آخر

* * *

هذا السؤال .. وقـد عَيِيتُ على المَدى بجوابِـهِ
لا تَعْتبي .. فلقد يغول الحُرّ مُرّ عِتـابـه
ولقد يَتُوه المرء .. بينَ خطـائه وصـوابـه
كَتَبَ القضاءُ .. وما أطيق سوى الرّضى بكتابـه

* * *

يا نَفْسُ . هل أنا في الوجودِ .. وأنت إلا كالهباءْ
قَدَرٌ يُسيّرنا .. فما نَدْري الوضوح من الخفاء
سيّانَ مَن ذَرَفَ الدموع له .. ومَن سَفَكَ الدّماء
فلقد يكون النور في الظلماءِ .. والظلماءُ في وهجِ الضّياء
ولقد نَسيرُ على التّرابِ .. ونحنُ نخْطُرُ في السماء
ما تعرفين ولستُ أعرفُ .. ما يُدَبّره القضاء
فإذا سخطتُ فإنّه .. قَدَرٌ يَسيرُ كما يَشاء
وإذا رضيتِ .. فقد يكون رضاكِ قنطرة النجاء

الأفعى

أنا في بيتها .. ولكنّ حولي   ألفَ أفعى تميتُ بالسُمّ روحي
هي جرحٌ من الجروح .. وقد أنكأ من شِقوتي نَدِيّ جروحي

* * *

هي أنثى لكنّها تُفزِعُ الليلَ .. فتجري أغلاسُه للصباحِ
صارخاتٍ رُعْباً .. وقد أرْخت الشّعرَ . وألقتْ عنها رقيقَ الوِشاح
فبَدَتْ ليسَ مِثْلَها ما ترى العين .. ولا تنشد المُنى في الملاح
جَسَدٌ لا يُتاح للناسِ في الدّنيا .. وروحٌ تخيفُ هوجَ الرياح

* * *

نَظرتْ فامتلأتُ رُعْباً .. فقالتْ .. كيفَ يخشى الرجالُ أنثى ضعيفه ؟
أنتِ أنثى ؟! أجلْ ولكنّكِ الهَوْلُ .. أرانا دنيا الحسان المخيفه

* * *

ألفُ شَمْسٍ تُضيءُ من وجهك الساطِع .. لكنّها شُموسُ احتراقِ
عَصَفَتْ بالمنى كما تَعْصفُ الريحُ .. بغُصْنٍ مُنَمْنَم الأوْراق
ليسَ فيها دِفءُ الحنان .. وفيها .. لَهَبٌ ما تُطيقُهُ أحْداقي
جئتُ أستنشقُ العبير من الروضِ .. فلاقيتُ في العبير اختناقي

* * *

فاتركيني فليسَ حسّكِ حسّي .. يا فتاتي . وليس ناسُكِ ناسي
أنْتِ جِنّيةٌ فما يجد الإنسُ بها .. غير شِقوةٍ .. وابْتئاس

* * *

واتركيني أهيمُ في هذه الأرض .. فقد يهْدأ الأوارُ بنفسي
أحرقتْهَا مجامرُ الحبّ لمّا .. بانَ لي مأتَمي بليلة عرسي
وبجَنْبيّ خافقٌ .. ما يرى الحبّ .. سوى طائرٍ يضيقُ بحبْسِ
فيه للحس والحنان بقَايا . لاهفاتٌ على هوى يومِ أمسِ

* * *

كيف يرضى هذا الطليقُ بأن يقْبَعَ .. في سجنِه مَهيضَ الجناحِ
راسفاً في حبال أنثى بلا قلبٍ .. فيا لَلْخسران بعد الرباح

* * *

ألفُ غَيْداءَ لم يَنَلْنَ سوى الصدّ .. وقد نالهنّ مُنْذُ اللقاءِ
لاهثات عليه .. وهو عميدٌ .. بجديد من الهوى والرواءِ
كلّ أنثى مضتْ .. رداءٌ عتيقٌ وهو يهفو إلى جديد الرّداءِ
قُلّبٌ ما يذوبُ في الحسن إلاّ لحظةً .. ثم يحتمي بالجفاءِ

* * *

ما الذي كاده .. فما ينشدُ اليومَ سُلُوّاً .. ولا يُطيقُ بعادا
هذه حيّةٌ .. ويعرفُها الناسُ هلوكاً تمزّقُ الأكبادا

* * *

نفثَتْ فيه سمّها .. فغدا الوالِه ما يبتغي الجديد الحَلوبا
أيّ سُمٍّ هذا ؟! فقد كاد قلباً طالما كاد في هواهُ القلوبا
أيّهذي الرّقْطاء .. هذا صريعٌ خرّ من بعد أن أخافَ الحروبا
فاحْذريه إذا استفاقَ .. وشُقّي .. عندما يَسْتَفيقُ منكِ الجُيوبا

* * *

أقصاصُ الحياة هذا ؟! أم الحبّ يُرينا تَناقُضَ الإنسان
كيفَ يأبى الحنانَ في الحبّ .. والمنْحَ .. ويرضى بقسْوةِ الحرمان

* * *

هذه متعةٌ تُباع .. وهـــذي مُتْعَةٌ ما تُنالُ إلاّ بحبّ
هذه قسوةُ الخداع .. وهذي .. مِنْحةُ الحسّ في ابتعادٍ وقرب
هذه نزوةٌ تُضلّ .. وهـذي صبوةٌ تستقرّ في خيْر قلْـب
ما تُبالي بخُسْرِها .. حين تمضي في هواها .. وما تُبالي بكسْب

* * *

لِمَ تَهْفو إلى السّراب .. وتمضي .. خلفَه .. وهو لا يَبُلّ الغليلا
وألوفٌ من المناهل تدعوك .. فتـأبى .. أن تشربَ السّلْسَبيلا

* * *

يا فؤاداً يَهيمُ في كلّ روضٍ راشِفاً كلّ زهرةٍ فَيْنَانَـهْ
قد يَغصّ الرحيقُ إن أسرفَ الشاربُ في الشّرب .. واستباحَ جِنَانه
أنتَ نَشْوانُ .. ما شربتَ .. وهذي .. زهرةٌ فوقَ غُصْنِها نَشْوانه
لا تَذَرْها بعد الوُرود .. فقد تَأسى .. إذا ما تركتها أسوانـه

* * *

لا تَذَرْها . فَرُبّ جُرْحٍ إذا سالَ .. تضجّ الأحقَاد في جنبـاتـه
والفؤاد الذي تأوّهَ يطْويكَ .. إذا ما استهنتَ .. في آهـاتـه

* * *

واستفاقَ المخمورُ من بعد أن أدبرَ عنــه شَبابُهُ وفُتونــه
وتوارت عنه .. ويا رُبَّ عانٍ .. مثله أنقذتْه منهـا منونــه
ما الذي تَبْتَغيه منه .. وقد ضاعَ .. ولم يَبْقَ منهُ إلاّ شُجونه
وتسامعْن .. من شقين .. فأشفقْن .. ففاضت لذكرهنّ عيونــه

* * *

رُبَّ ذكرى تَحُزّ في النّفس كالسيف .. فيبكي الرّشاد عُقْبى الضلال
لو كشفْنا الغطاءَ ؟ لكنْ أيُجْدي كشفُه ؟ أم يُصيبُنا بالخَبال

الحائرة !

كانتْ متيّمـةً بالشّعر تحسـبه من السماءِ .. وأنّ الشاعرَ المَلكُ
وأنه لو أرادَ اللّيلَ متّشحاً بالنّورِ . طاوَعه في ذلك الحَلَكُ
يدور عالَمُنا الأرضيّ في فلَكٍ ويستقلّ به في أوْجه .. فلَـكُ
شتّان هذا على الجوزاءِ أخْمَصُـهُ وهؤلاءِ احتواهم دونَهُ الـدّرَكُ
قالوا لها . وهي تدنو من حبـائلـه وليسَ يَخْفى عليها الطّعْمُ والشّركُ
إيّاكِ .. لاتسقطي .فاسترسلت ضَحكاً وقد يجرّ إلى ويلاتنا .. الضّحكُ
خاضَتْ إلى حبّها الملتاث مُعْتَرَكاً وهل يُخيفُ الهوى الملتاث مُعْتَرَكُ
لقد رأت أنها تَقْضي به نُسُكـاً وأين مما ترى أهواؤنـا النّسُكُ
لو أنّ كلّ فؤادٍ هزّه دَنَفٌ أطاعه . لأضلّ العدّ مَنْ هلَكوا
يا مَنْ يَعيش على الأوهامِ يحسبهـا قُوتاً . لقد كان قُوتاً عندك الحَسكُ

* * *

وجاءَها الشّاعر المفتون يحسبها كالناس قد جُبِلَتْ فكراً وإحساسا

وما دَرى أنها مخلوقةٌ جُبِلَتْ ... من طينةٍ .. يتحدّى طبعُها الناسا
خَيالُها يتعدّى كلَّ ماثلةٍ ... أمامها . ويُريها النّورَ أغلاسا
نحنُ الذين نرى في الحُسْنِ مائدةً ... شهيّةً .. ونشمّ الوَرْدَ والآسا
نكْسو الحياة إذا عرّتْ مفاتِنَها ... من حُبّنا . لنزيد العُرْيَ إيناسا
هذي هي الأرضُ .ما تؤوي ملائكةً ... بها . وتؤوي مع الأطهار أنجاسا
ما نستطيع عُروجاً للسّماءِ بها ... إلاّ إذا كانت الأرواح أفْراسا
ونحنُ رُوحٌ وجِسْمٌ إنْ هما انفصما ... فالجسمُ يَفْنى .وتغدو الرّوحُ أنفاسا
وحَمْلَقَتْ فيه.هل هذاالذي نَصَبَتْ ... من روحه للدّجى..بالأمْسِ نبراسا
ماذا تُريدينَ يا هذي .. فما أحدٌ .. ... مِنّا يرى الحُبَّ أحْلاماً وأقداسا

* * *

أغْضَتْ وقد راعها أنّ المُنى حُلُم ... في رأس أحْمقَ. أوفي رأس حمقاءِ
حتى الذي رَفَعَتْهُ فوق هامتها ... رأتْه منْحدراً .. من فوق شمّاءِ
هذي الطبائع .. ما أخْفى مساربَها ... فلَسْتَ تمْشي بها في غير ظَلْماء
وَقَفْتُ أرمقُها في موكبٍ لجِبٍ ... فما رمَقْتُ سوى همّي وبأسائي
من كلّ مستترٍ بالليلِ .. مُنْطلقٍ ... كالذئب يبحث منهوماً عن الشاء
أوْ كلّ مُنْتَهكٍ يمضي علانيةً ... إلى مآربه .. من دون إخْفاء
أوْ كلّ مُعْتَنِقٍ آراءَ شيعتِهِ ... ونَفْسُه .. نَفْسُه من دون آراء

أوْ كلَّ مرتزقٍ تُلْهيه لُقْمَتُهُ عن عزّةٍ في حنايا النّفْس شلاّء

أوْ كلَّ معتزلٍ . لو عاش في مَلأٍ من قومه . لم يعيشوا مثْلَ أصْداء

فكيْفَ . كيفَ ستحيا بين أظهُرِهم وهُمْ عناصرُ أسواءٍ وأخْطاء

* * *

كانتْ تعيش ببيت في حِمى رجل ففارقَتْه . وخلّى حبّها الرّجُلُ

وكان أفراخُها .. يَمْلأْنَهُ مرحاً لكنّهم . كأبيهم . بعده ارتحلوا

فهل تَعودُ إلى أكنافِ وارفةٍ من الظّلال . تناءَتْ دونها السّبُلُ

كانتْ إلى الأمَلِ الريّانِ ظامئةً وقد تولّى بعيداً .. ذلك الأمَلُ

وأصبحتْ في هجير القَفْر تائهةً تكاد من وقْدتَيْها النّفْسُ تَشتعِل

تسيرُ حَيْرَى وما تدري أيُسْعدها خيالها .. أم هو التّرْويعُ والزّلَلُ

ظلّتْ مُؤرّقَةَ الذّكْرى مُقسّمةً يشدّها الحبّ .. والأطفالُ والنّزُل

ترنّ في سمْعِها الأصداءُ مُعْوِلةً ثكلى تضجعُّ بها الاحزان والعللُ

وقد تشيع بها الأنغامُ راقصةً جَذْلى .. تماوجَ فيها الرّقْصِ والجذل

ضاقتْ بأحلامها ، ضاقتْ بمنزِلها فكيف يَصْنعُ من ضاقتْ به الحيلُ

* * *

وأجهشَتْ فبدا في وَجْهِ ملهمها حُزْنٌ . ويا رُبّ حزن بات يُلْهمُهُ

قد كان يَحْسبُها .. قَلْباً يُدَلّلُه وليس يَحْسبُها قَلْباً .. يُعَلّمُهُ

يا ليته كان قلباً مثلها التمعت له — فلم تطوه في الحب — أنجمه

فيا لها حرة .. تبكي على شجن لم يردها .. وفؤاد ليس تفهمه

أهذه بشر ؟! أم أنني حجر أم في الكيانين سر لست أعلمه

أضله الجسد الفاني فمحنته من صبوة فيه .. يعطيها فتحرمه

أكان يشقيه ما يعطيه في سرف؟ أم كان يشجيه . أن الجسم يظلمه

كلا .. فإن لروحي ما يجشمها وإن للجسم أيضاً .. ما يجشمه

سعدت من شقوتي . لكنها شقيت بسعدها . ولكل ما يتيمه

قلبان ما اجتمعا .. إلا ليفترقا فالماس ليس كمثل الفحم منجمه

قَـدَرٌ وَرَجُـل

لستُ أشكو ، إنّه قَـدَري　　ما يفرّ المرء مـن قـدرهْ
ظمِئتْ روحي فـأوْردهـا　　ما تعـاف الرّوحُ من كدره
رُبّ مَنْ أفْضى إلى وَطَـرٍ　　ردّه المكروه عن وطـره
وحَـذورٍ لَفّـه شَرَكٌ　　نسجتْه الغيدُ من حَـذَره
إسْقنيهـا غير مـرتقـبٍ　　صحوة المخمور من سَكـرِه
صحـوة المكروب تُسْلِمه　　لجحيم الخوف من فِكـرِه
مـا الذي يبغيـه محتضرٌ　　يتشهى الموتَ من عُمُـرِه
إنّ مَنْ يَخْشى سحابته　　يتقي المدرار من مَطَـرِه
يا نَـدِيمي لَيْتني ثَمِـلٌ　　ما يفيق الدهر من خَـدَرِه
أتحَسّى الراح من قـدحٍ　　تذهبُ الاحزان في أثَـرِه
ظَلّ يسـقينيه ذو خَفَـرٍ　　وأرتوي منـه على خفَرَه

شَعَّ في أحْداقـه ألَقـاً كشعاع اللّيلِ من قَمَـرِه
منجـمٌ ترضى بمُغْلقـه وإذا استثمرت من دُرَرِه

* * *

يتثنّى مـن لـدونتـه كتثني الغصن من ثَمَـرِه
مـال فاسـتعجلتُ ضمته وثنـاني لـين مُهْتَصره
خلْتُه .. والرّاح تصرعُـه وتزيـح الستر عن غُـرَرِه
كوكبـاً يهوي فيحضنـه خافقٌ يلتاع مـن سَقَـرِه

* * *

يا نديمي سـوف أشربهـا ما تراءى الحسن في صورِه
علّـني منها ، فما عُمُري بمصـافيني .. على قِصَـرِه
ليس لي في الصحوِ من أربٍ ما الذي أرجوه من عـبره
إنّـني أحْيـا عَلى أمَـلٍ ولقد نُبِّئْت عن خُسُرِه
وقَضـائي ظَـلّ يدفعـني ثُم َيهْوِي بي إلى حُفَرِه
ولهيبٌ كـانَ يُدْفِئُـني قد رأيتُ الموت من شَرَرِه
إنْ يكن لا بدّ من سـهرٍ لمَ يشـقى المرء من سَهَرِه

* * *

رُبّ روميّ تـدين له مهـجُ السادات من مُضَرِه
فتْنَـةٌ تُغْويك عـارية وتريك السـحر في أُزُرِه

نالني منه .. على كبرٍ ما ينال المرء من كبره
شدّ ما ترضيكَ صحوتُه ولقد يُرْضيك في هَذَرِه
خيرُ ما في الحسن تَمْتَمةٌ من حُمَيّاه ومن وتَرِه

* * *

أنَشاوى الكَرْم عُصْبَتُنا أمْ نَشاوى حسن معتَصَرِه
أمْ كِلا الكرْميْن يُسْكِرُنا ونفدّيه .. على خَطَرِه
أيّ مُخْتالٍ . بفتْنَتِه أنْتَ يا مَنْ لَجّ في بَطَرِه
قد نَسينا فيه عِزّتنا وهو ما ينفكّ عن أشَرِه
لا تَلُمْ في الحُبِّ مُرْتَهِناً حُبّه .. غَطّى على بَصَرِه
سَوْفَ يمضي الحسن مرتحلاً عنك ما يَبْقى سوى خَبَرِه
يا له – إنْ شِئْتَ – من خبرٍ عاطر الذكرى لمدّكره

جـدارُ الظّـَلام !

من حياتي الأخرى .. رجعتُ إلى الأرض .. فألفَيْتُ كلّ شيءٍ غريبا

ألأنّي رجعت من عالمِ الطّهْرِ .. أرى عالمَ الفجور .. كئيبــا

أتُرى لو خَلَدْتُ في هذه الدّنيا .. لأصْبَحتُ بالتّقى مُستريبا

ما الذي أشتكيه من عالم العُهْرِ .. إذا نِلْتُ من جَداهُ الحبيبا

وأرى في الهُدى الضّلالَ .. فقد عاد ضلالي .. بما يُفيءُ مُصيبا

لستُ أخشى من الخطايا .. وما الخشيةُ منها ؟! ولستُ منها حريبا

ما تخاف النفوسُ إلاّ من الهَوْلِ .. فلا إثْمَ .. حيثُ لا تَثْريبا

* * *

أتُراني هذا ؟ إذا كان في الأرض خلودٌ .. وليس فيها عِقـابُ
أنا فيها .. مثلُ الألوف .. فما يُخْشى عقابٌ . ولا يُرجّى ثوابُ
ما نُبالي بما يجرّ على الهالك .. بطْشٌ .. وما يضرّ مُصابُ
هَمّنا في انتهابِ حُلْوِ اللّذاذاتِ جهاراً . فقد تلاشى الحجابُ
هو عُمْرٌ .. على الزّمانِ شبابٌ .. كيفَ يخْشى من اللّغوبِ الشّبابُ
كان يَخْشى بنو الفَناءِ من الضّعْفِ تباباً .. وأين منّا التّبابُ
نحنُ أهْل البَقاءِ .. ما يَهْرَمُ العمرُ لدينا .. ولا يروعُ الحسابُ

* * *

إنْ نكنْ هكذا نصيرُ .. فما نحنُ سوى شهوةٍ .. ولُؤْمٍ كريهِ
ليس فَضْلُ النفوس أن تَنْبُذَ الشرّ .. إذا كانَ طَبْعُها يحتويهِ
ليس فَضْلُ النفوس أن تَحْضُنَ الخير .. إذا كان طبعُها يشتهيه
إنّما فضلُها .. إذا راضتِ الطّبعَ فأجْدى .. ولم يَعُدْ بالسّفيهِ
خيَرُنا ذلك الأثيمُ الذي يدركُ .. ما في الآثام من تَشْويه
والذي يرتضي المَرارةَ في الكَأسِ .. ويَأبى حَلاوةً تُشْقيه
إنّ في طَبْعنا من الخيرِ والشرّ .. خليطاً .. لآثمٍ .. ونزيه

* * *

أشْتَهِي عالَماً .. يرى في الدّنيّاتِ ابتئاساً .. وفي المحامدِ نُعْمى
يَفْعَلُ الخيرَ .. عارِفاً أنّه الخيرُ .. فما يَبْتَغي جزاءً وغُنْما
ويَرى الشرّ حينَ يخطُرُ في النفْسِ .. افعواناً يجيش .. يقْطُر سُمّا
فيُلَقّيه .. ما يُداجيه .. عَزْماً .. يتلظّى .. فإنّ للشّرّ عَزْما
هكذا أشْتَهيه .. لكنّها الأرضُ .. ترى في تَوَقّدِ الحرب سلْما
ليسَ فيها من المَلائك إلاّ .. نَفَرٌ .. سامَه الشياطين ظُلْما
أنا فيها مُضَيّعٌ .. كلّما شئتُ بناءً .. يردّه الدّهْرُ هَدْما

* * *

أنا فيها مُضَيّعٌ حينَ جاهَرْتُ برأيي .. فقيلَ .. رأيٌ سَقيمُ
ليسَ فيه من الحديدِ بَصيصٌ .. بل وفيه من الهُراءِ قديم
قال هذا الذين لو أبصروا النّورَ .. لَقالوا .. هذا الظلامُ المقيم
ولَقالوا .. على الرّجيم . مَلاكٌ . ثُمّ قالوا .. على الملاك .. رجيم
يَسْتَريبونَ بالعُقولِ .. ويا رُبّ مُريبٍ .. هو العليمُ الحكيم
وَيْحَ قَصْدِ السّبيل .. أيّ سبيلٍ .. مَلَكوه .. هو السّبيلُ القويم
قد تَطَلّعْتُ للسماءِ .. فَأبصرتُ نجوماً .. لكنّهن .. رجوم

* * *

يا سَمائي .. هذا الدّجى يَغْمُرُ الأرضَ .. فأينَ الكواكبُ الوَضّاءَه
اللّواتي يرى بها السائرُ المُدْلِجِ .. في الليلِ .. سِحْرَهُ ورُواءه
ويرى بَعْدها ُذكاءً .. وقد لاحتْ .. فأجْلَتْ عن الوجود مساءه
أيْنَها .. أطبَقَ الظّلامُ .. ودَرْبي .. ما أرى من ظلامه لألاءه
هُوَ دَرْبٌ أنكَرْتُ منه الدّياجير .. وأنكرتُ أرضه وسماءه
خِفْتُ أهْوالَه . وقد لفّني الصّمْتُ ..كما خِفْتُ بعدها أصْداءه
أيّ سارٍ هذا الذي ألِفَ اللّيلَ .. على رغْمِه .. وجافى ضياءه

* * *

أيّ سارٍ هذا الذيضلّ فاستهدى .. فلم يَهْدِهِ الظلامُ المخيفُ
يتهادى به . وقد قيّدَ اللّيلُ ُخطاه .. فهو العَمِيّ الرّسيفُ
غَيْهَبٌ حالِكٌ . وقد يصدمُ السائرَ في تيهه .. الجدارُ الكثيف
لستُ أشكو من الضّياعِ .. فقد ضِعْتُ .. وما يشتكي الضّياعَ الضّعيف
أنا هذا الأسيفُ .. قدْ سارَ في الدّرب مُخيفاً .. فَرِيعَ منه الأسيف
كان لي تالدٌ يتوقُ .. فأرداه من الهونِ .. ما اتّقاه الطّريف
رُبّ غَيّ .. يَهْدي الأثيمَ إلى المجد .. ورُشْد يَضِلّ منه الشّريف

السّاري .. والليّل !

سِرْنا . وكان النّور يظهرُ تارةً ويَغيبُ أخرى
في الليّلِ .. والظّلْماءُ تحسبها .. إذا حَمْلَقَتْ جَدْرا
والسّائرونَ من الكَلالِ . من الأسى يَبْكونَ ذُعْرا
هرَبوا من الحَدَثِ المَريرِ .. فصارعوا الحدَث الأمَرّا
فزعوا من اللّيْلِ البَهيمِ .. إلى النّهار . فكان أضْرا
وأنا الذي وَحْدي شقيتُ بهم .. وهذا اللّيل أدْرى
سَخطوا عليّ فَفارقوا .. وعُرْي .. فرحتُ أجوب وعْرا
ومَضى النّهارُ بهم يخبّ .. كأنّه قَدْ عَبّ خَمْرا
وبقيتُ أخبْط ما أرى .. في هذه الظّلماء فَجْرا
لكأنّها قَبْرٌ .. ولكنّي أحِسّ بهَوْله .. وبما أسَرّا
أسْري به .. وأجرّ رجلي من عَناءِ السّيرِ جَرّا



فتخيفني الغيلان .. لكنّي أعود لهنّ قَسْرا
وألفتُهنّ .. وقد ترى .. في عُسْرةِ الأيّامِ يُسْرا
ما خيفتي ؟! كلاّ .. فقد عاشرتها في اللّيلِ دَهْرا
عاشَرْتُها .. فوَجَدتُها .. أنْقى مِنَ الإنْسانِ سرّا
أنْقى . ولَوْلا الجوع كانتْ فوقنا نُبْلاً وطُهْرا

* * *

يا ليلُ .. قد ضَرَبَ الدّجى .. بيَني وبينَ النّاس سترا
هَدّ السّرى مني قِوايَ .. وآدَني بَطْناً .. وظَهْرا
لو قد وَطئتُ الجمر هان .. فإنّ في الأحْشاءِ جَمْرا
ويَكاد تَقْطيبي الحَزينُ .. يَبين لِلأبْصارِ بِشْرا
للهِ .. كَمْ خَدَعَ العُيون .. بما يُبين لهنّ مكْرا
ما حيلَتي فيه .. وُتجْدي حيلَتي .. لو كنتُ حُرّا
لكنّني عَبْدٌ .. ألبّي أمْره .. نَفْعاً وضُرّا
لو كانَ لي أمْرٌ .. لمَا لَبّيْتُ لِلْعادينَ أمْرا

* * *

يا ليلُ .. ما تُجْدي الشّكاةُ .. إذا قَسَوْتَ فكُنْتَ صَخْرا
هذا الظّلام . متَى يَذوب .. وقد تكاثَفَ واسْبَطرّا

أأظَلّ أخبطُ فيه عُمْري .. ساءَ هذا العُمرُ عمرا
لَمْ ألقَ نجْماً فيه .. يهديني السّرى .. أو ألقَ بَدْرا
أفَهَلْ أرى الرّوضَ الأنيقَ غداً .. وأنْشقُ منه عطْرا
وأرى الغَدير . وقد تَدَفّقَ . والغُصون تميلُ سكْرى
وأرى البلابِل تَسْكب الألحان .. في الأرواحِ خَمْرا
وأرى الرّفاقَ الغُرّ .. بعد النأي — والزّمَن الأغَرّا
ويقول لي اللّيل الرّهيب .. وقد تَبَدّى النور — غَفْرا
أمْ أنّني في السّفْر .. سفْرِ اللّيل .. ما انفكّ سطرا
أسْري به كالطّيف .. ينشد في الفيافي السود قَبْرا
ويرى الحياة . وقد دَهَتْه . فما يطيق العيشَ خُسْرا

* * *

عَصَرَتْني الأيام .. حتى ما تطيق اليومَ عَصْرا
وغَدَوْتُ لا حسّاً نعمتُ به . . ولا استثمرتُ فِكْرا
يا ليلُ .. إني قد ألفتك دون هذا الناس طُرا
ما عدتُ أخْشى من غَياهبك الفواجع .. وهي تَتْرى
أنا قِطْعَةٌ منها غَدَوْتُ .. وصرتُ أعمقَ منك غَوْرا
وأنا الذي نُوري .. سَيَغْمر هذه الآفاق غَمْرا

فَـأنير للأجْيالِ .. حاضِرها .. ومقبِلِها .. المَـمَرّا
ولَرُبَّ عَصْفورٍ .. يعـود بقسـوةِ الأيّـام نسرا
ولَرُبَّ مَرْهوبٍ يَعود بكَـرّةِ الأيّـام .. ذكْرى

* * *

آثَرْتُ رقْماً .. فاسْتحال الرّقْم في كَفّيَّ صِفْـرا
يا ويحـه .. هَلاّ استحال نحاسـه في الكفّ تِـبرا

* * *

نسي المواجـد من رأى .. في أهْلها نَسَباً وصهرا

هنري



استوحاها الشاعر من لوحة « هنري » – الصورة إلى اليمين – إثر رسالة تلقاها من الناشر الامريكي ماكس أولاف الذي يعتزم إصدار كتاب عالمي يضم انطباعات شعراء العالم المجيدين المستوحاة من هذه الصورة ، وقد اختار الناشر شاعرنا من المملكة العربية السعودية .

ما الذي خطّه الزّمانُ على وجهكَ .. من نقمةٍ .. ومن بأساءِ
فغدا ساهماً .. وإنْ شَعّتِ الحكمةُ منه .. على دياجي الشّقاء
أفَهذا السّهومُ ضَرْبٌ من الطّبع .. وإلاّ ضَرْبٌ من الإعْياء
أمْ بَصيصٌ من الذكاءِ تُداريه .. ليخْفى بلَمْحَةٍ من غَباء
حِرْتُ في وجهك العجيبِ .. فقد شِمْتُ وُضوحاً به وراءَ الخفاء

فيه ما تَرْهَبُ النفوسُ .. ومـا ترغَبُ من جفوةٍ ومن تَـأساء
فهو كالدّهرِ مُظْلِمٌ ومُضيءٌ .. بدُجاهُ .. بِفَجْره الوضّاء

* * *

هل تَرَيّبْتَ بالزّمانِ وأهليه .. ومـا فيهمـا من الأسـواء
فطويتَ الضّلوعَ حُزناً ؟! وهل يَشْفيكَ حُزْنٌ من هذه الأدْواء
أمْ دَعاكَ الوُثوقُ بالزّمنِ الخادع .. لِلْوَهْمِ في بريقِ الرجاء
فتَطامَنْتَ للنّوالِ .. فما نِلْتَ سوى لَوْثَةٍ من البَغْضـاء
ما الذي يَمْنَح الزّمانُ ؟! أما تَعْرِفُ .. أنّ الزّمانَ شرّ البلاء
ما الذي يَمْنَح الزّمانُ ؟! وقد كانَ ذكيّاً .. لثُلّةِ الأغبياء
هو حَرْبٌ ما يَسْتَريح إلى السّلْمِ .. وغَدْرٌ يعافُ طَعْمَ الوفاء

* * *

والصّداقاتُ ؟! هَلْ ظَمِئْتَ إلى الوِرْدِ ؟ وكان الصّدورُ بعد ارتواء
أمْ تَخَوّفْتَ حينما ازْدَحم النّاسُ ؟! وأجْفَلْتَ من ضجيج الظّماء
يا لها من مَناهلٍ تُظْمِىءُ الشّارِبَ .. حتى كأنّها غَيْرُ مـاء
لا طَويلُ الرّشاءِ نالَ مِنَ الرّيّ مُناهُ .. ولا قَصيرُ الرّشـاء

* * *

والعداواتُ ؟! هَلْ تَجَرّعْتَ مثلي .. غُصَصاً من مكائدِ الأعْداء
هَلْ تعرّفْتَ . ما الذي أجّجَ الحقْدَ .. وأغرى الأحْشاءَ بالأحشاء
وتبيّنْتَ في الوجوهِ التي تحقدُ .. أسْبابَ حقدها والعِداء
تُرّهاتٌ من أجْلها احْتَرَبَ النّاسُ . وجادوا لها بغالي الدّماء
إكْتَوينا بها .. فهَلْ مَسّكَ لَفْحٌ .. من هذه الرّمْضاء
أمْ تَواريْتَ بالغطاءِ .. وما يحميكَ من لَفْحها سميك الغطاء

* * *

وقَضَيْتَ الحياةَ يكْلؤكَ الأهْلُ .. وتَلْقى منهم ضُروبَ الولاء
أمْ وَحيداً قَضَيْتَها .. إنْ تعثّرْتَ .. تمنّيْتَ آهَةَ الخُلَصاء
في سبيلِك ما تطير له النّفْسُ شُعاعاً .. من رهْبَةٍ والتواء
رِبْعَ منها الوحيدُ لمْ يَعْرِفِ القُرْبى .. وريع المِكثارُ ذو الأقْرباء

* * *

واعْتَزَلْتَ الأنامَ بالطّبْعِ ما يرغَبُ منهم في صُحْبَةٍ والتِقاء
عَلّمَتْهُ الحياةُ بالواقعِ المُرِّ .. بأنْ يَسْتريبَ بالأحْياء
فتحامى العشيرَ .. ما يَبْتَغي الخُلْطَةَ من عِلْيَةٍ ولا غَوْغاء
كَمْ شقينا بوجْه بعد التّداني .. وسَعِدْنا بوجْه بعد التّنائي

* * *

أمْ تلهّفْتَ لاختْلاطكَ بالنّاس ؟! وأمْعَنْتَ مِثْلَهم في الرّياء

أنْتَ منهم . فما اعتزالُكَ ؟! والحكمةُ حيناً تكون في الإغْضاء

رُبّ حُرٍّ يعود من قَسْوةِ الدّهْرِ هَبَاءً .. ولمْ يكنْ بالهباء

كَمْ حَضيضٍ تَلَقّفَ الأملَ الحُلْوَ الذي كان ثاوياً في السماء

وَيْحَ هذا الطّعام .. كَمْ عاثَ في العقلِ فساداً .. وويْح هذا الكساء

* * *

يا نجييّ .. وليسَ في هذه الأرض .. نجيّ السّرّاءِ والضّرّاءِ

رُبّ شَيْبٍ يَدِبّ في الشّعْرِ كالفَجْرِ .. إذا دَبّ نورُه في السماء

إنْ تَكُنْ قُوّةُ الشّباب تخطّتْكَ .. ففي الشّيْب حكمةُ الحكماء

سوفَ نَمْضي إلى الفَناءِ . فنسْتَعْذِبُ .. بعد الحياة .. وِرْدَ الفَناء

إنّ في غَمْرَةِ الفَناءِ ارتياحاً .. لأولي العيش من عَناءِ البَقاء

من عَناءٍ يَكاد يَغْدو به الحَيّ .. لآلامه — من الأشْلاء

كيفَ نَخْشى من الفَناءِ ؟! وما في العيشِ من راحةٍ .. ولا نعماء

رُبّ حَيّ يهفو به الفِكْرُ للموتِ .. فتَأْبى الحياةُ كلّ الإباء

* * *

يا نجييّ . هذي الحياةُ .. وليسَ الموتُ .. أدْعى لحُزْنِنا والرّثاء

قد بكيْنا الموْتى . ورُبّ حياةٍ .. هي أوْلى مِنّا بهذا البُكاء

إنّ أسطُورةَ الخُلود لَمَلْهاةٌ .. حَباها الخَيالُ للشّعراء
إنّما العِلْمُ مِثْلُ فَلْسفةِ النّاسِ . ستغدو رَهْنَ البلى والعفاء
وسيَطْوي الزّمانُ ما أبْدَعَ الفِكْرُ .. ويَلْهو بِلامع الأسماء
وسيَأتي من الجديدِ بما يَهْدِمُ .. ما كان قَبْلَه من بناء
هذه سُنّةُ التّطَوّرِ في الكونِ .. استَوَتْ في بدايةٍ وانْتِهاء
سوفَ نمضي .. وليس يَبْقى سوى الذّكْرِ .. مُثيراً لنِقْمة أوْ رِضاء

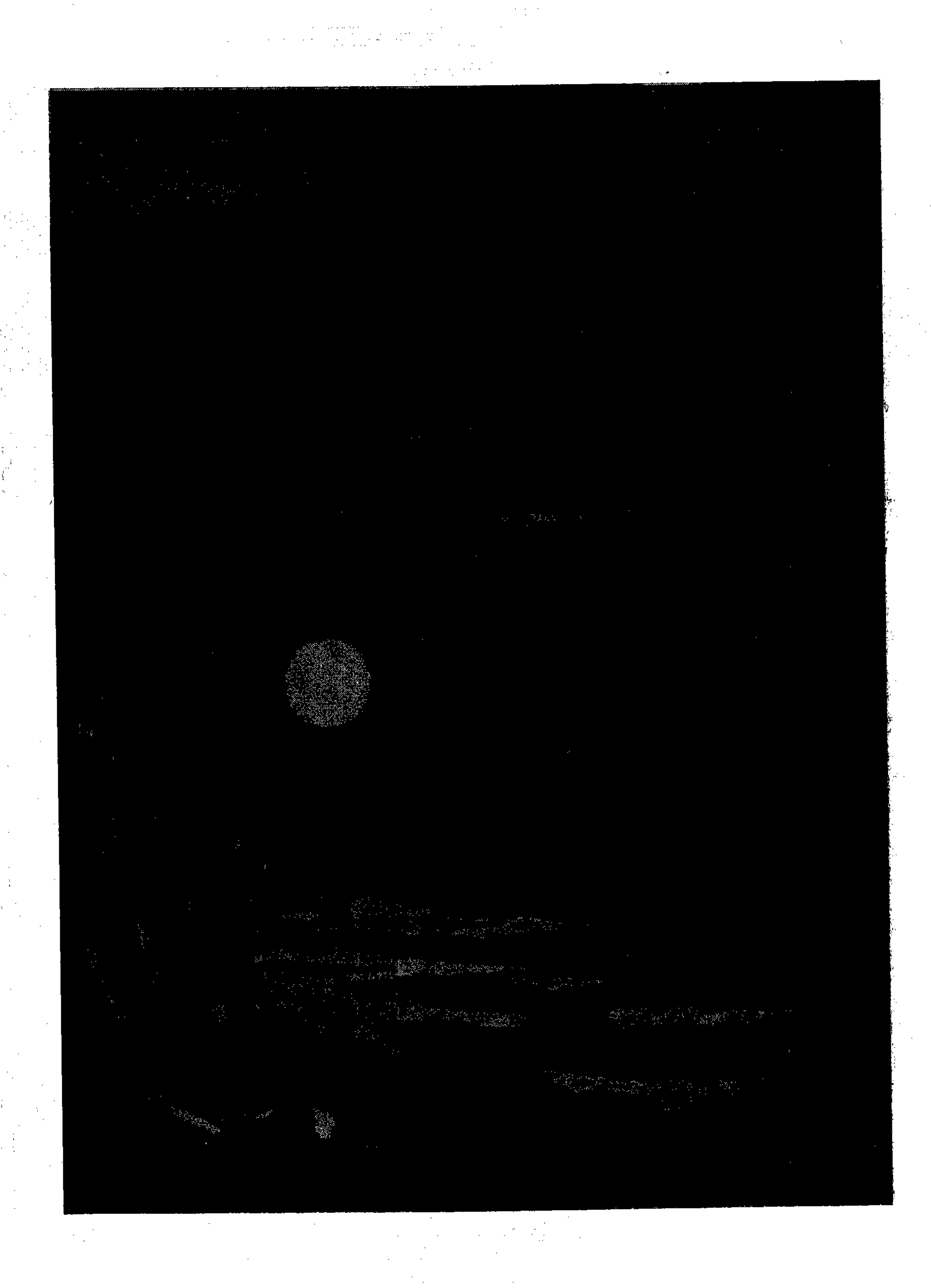
سُخْريةُ الحيَـاة ..

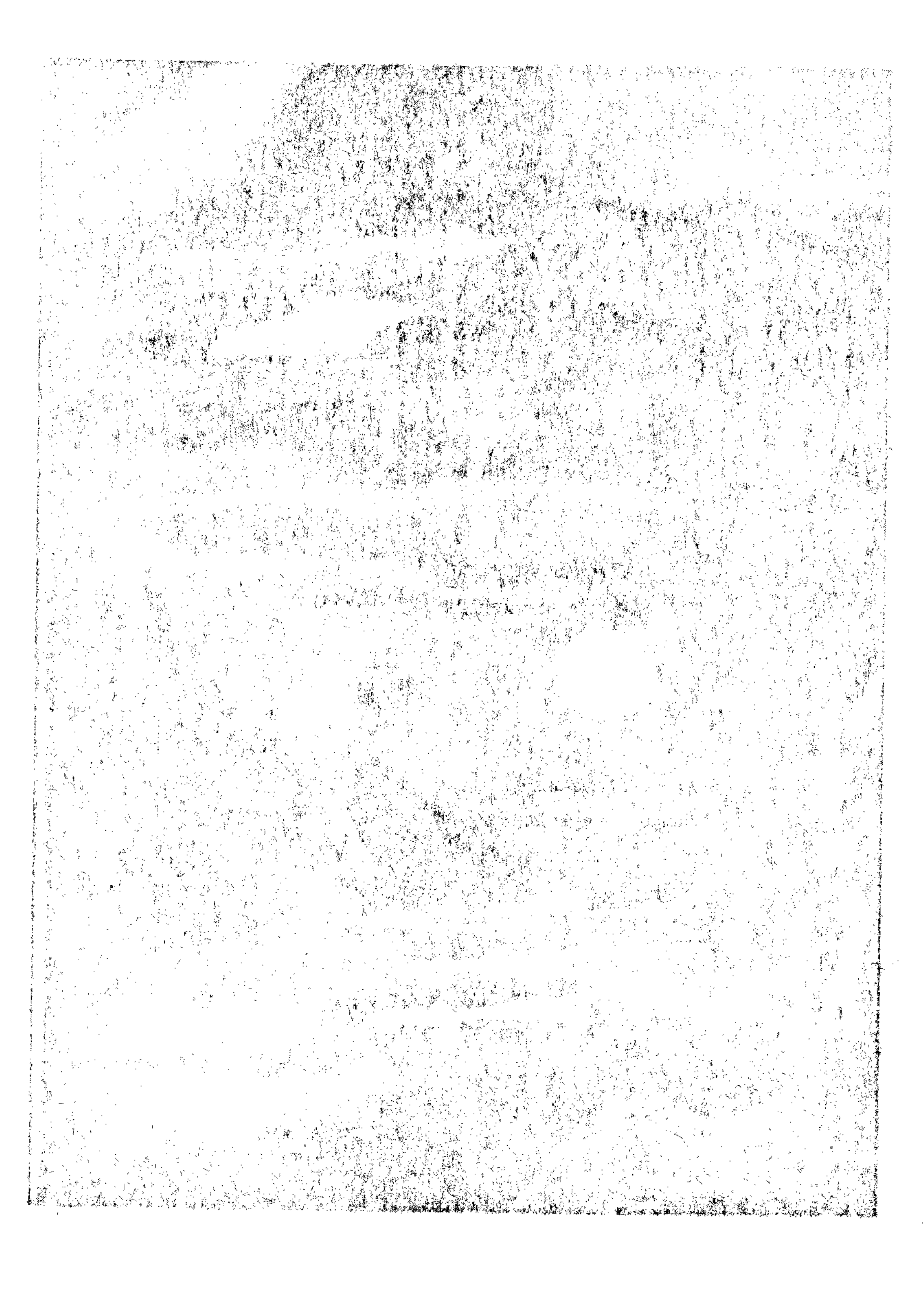
قالَـتْ لي الرّوْضةُ والبُلْبُلُ — والسّنْدس المُخْضَرّ والجدولُ
والرّاحُ تجْري بيْنَنا .. مثْلما — يجري بعذب السلسل المنهـل
يديرهـا بين النـدامى فـتىً — كأنّه الغادة .. أو أجْمَل
يَسْقي بعينيه .. وأكوابه .. — فنحنُ من كِلتيهما نثمـل
والنّايُ مـا أعْذَبَ ألْحانـه — يطْرب من آخرهـا الأول
والبَدْر في الاوج ولكنّـه — بسحْرِه .. مـا بيننا ينـزل
قالوا ـ ولم أصْغ ـ أهذا الذي — تراه .. أمْ قفرك والجنـدل
قلتُ لهم .. بل انني ههنا — مُغْتَرِبٌ ليسَ له منـزل

* * *

وقالتِ الحَسْناءُ : يا ويلتـا — أَلَمْ تزَل في الغيّ تسترسل
ونَفَرَتْ كالظبي ثم انثنت — كأنّما في لحظهـا منجـل

ما أفتَنَك الحُسْن إذا رعته ... أو أنتَ أنكَرت الذي يفعل
أأنْتَ – قالتْ – أيها المُفتري ... مَنْ يُبْصر الحسن ولا يذهل
لقد تجلى الله .. في فَنّه ... بنا .. ولم يَبْخَل كما تبخل
أأنت أعمى .. أمْ به جنة ... وهل تجدّ القول .. أمْ تهزل
وأرْسَلَتْ من عينها فتنة ... وضاءَ لي من ثغرها السلْسل
لا تَنْشِدي يا فتنتي مقتلاً ... فليسَ عندي للهوى مقتل
لمْ يَبْقَ إلاّ نَفْس ذابل ... ومهجةٌ ضاقَ بها الهَيْكل
وتمتمت : أجفلت مني وقد ... يفرّ من فردوسه المجفل
لا تحزني مني .. فيا ربما ... أحزنني من قبلك المعضل
قد جئتُ للدّنيا .. ولما يرح ... قلبي ، الذي يعلم ، أو يجهل
وعشتُ ما تسعدني عزلتي ... كلاّ .. ولا يسعدني المحفل
قد أجد الموئل في غربتي ... وليس لي في بلدي موئل
لا القَصْر يُغْريني بآلائه ... ولا أرى في الكوخ ما يجمل
كِلاهُما يَمْلأ نَفْسي أسىً ... ففيهما العُصْفور والاجدل
وفيهما من همه عوده ... يَصْدح ، أو من همه المعول
يَدٌ من النّعْمَةِ ما تجْتَدي ... إلا رضاها .. ويَد تَسْأل
وما أرى المَجْدَ سوى هالةٍ ... سَوْداء .. يَغْلي وسطها المرجل





يَلْتَمع النـابه فيها كما ..   يلتمع الاخبث والاجهــل
البُوم قد يسبح في جَـوّهِ   حُرّاً .. ويشكو القفص البلبل

* * *

زهدت فيما اصطرعوا حولـه   فليس لي في كسبه مأمــل
وأصْبَحَ القَلْب خواء فما   يرغب من دُنْياه ، أو يوجل
يا لَيْتني الرّوضة في وَشْيهـا   وجهلها .. أو لَيْتني الجدول
يَغْبطني النّاس .. ولو حملوا   من شقوتي المعشار لم يحملوا
ما هذه الدّنْيا سوى معقل ..   فكيفَ لا يرهبنـا المعقــل
تركتُ فيها السّيْف من خيفتي   منه .. وأغراني به .. المغـزل

* * *

أنا الذي هبّتْ جنوبٌ على   آماله .. ثُمّ تلَتْ شمـأل
فاقتلعتها .. فهو من بعدها   يعيش .. وهو الثاكل الأرمل
لو أن حكمي في الورى نافذ   لمْ يبق صلب فيه أو مهبــل

العجز.. والقدرة ؟!

إلى أخي الصديق .. الأديب الإنسان
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي أهدي هذه
القصيدة تحية إعجاب ..

إنْ عفتَ كأسك في العشيِّ فهاتِها — لمُتيَّمٍ يصبو إلى نفحاتها
تأتي إليها .. ثم تظمأ زاهداً .. — في لذةٍ تطويك من لذاتها
دعها لشاربها .. وعش في صحوةٍ — فالكأس تغضب –لو علمت– لذاتها

* * *

فأجبتُه .. والكأس تصرع عصبةً — لن تستفيق العُمْرَ من سكَراتها
ثملَ الغُلام بها .. ونامَ بجنْبه — شيخٌ يُتَمْتم لاهياً بفتاتها
ولّى الرشاد .. فما ترى بوجوههم — إلاّ اللّذاذة في ذليل سُباتها
وغدا الجمال بها وساوس فكرة — مخبولةٍ .. حسبتْه من أقواتها

ترنو إليه .. فلا العفاف يردّها عنه .. ولا هو كاره نزواتها
قد عاد مسْخاً . فهو ربّ قسامةٍ عبثت يد الحوْباء في قسَماتها
الكبرياء تصونه .. لو أنّه .. عرف الحياة .. وصانَ خير هباتها
إنّ الترخّص في الجمال ضلالةٌ ما يسلم المفتون من سقَطاتها

* * *

يا صاحبي .. ولقد شربتُ كمثلكم ورويتُ ريّ جديبةٍ بفراتها
وعشقتُ كلّ مليحة مزهوةٍ بجمالها .. مفتونة بشياتها
لا فرقَ بين الغيد عند مغامرٍ وَقَفَ الحياة على هوى ظَبَيَاتها
وطربت كالمعمود حتى خلتُني من نشوتي دُنْيا بلا حسَراتها
دُنْيا الهزار .. هفتْ بها نَغَماتُه وهَفا بمَسْمَعه إلى نَغَماتها
وصحوتُ ما أجد الشباب ولا الهوى إلاّ بقايا العُمْر في غمَراتها

* * *

يا خيَر مائِدَةٍ مضى بشهيّها .. قَدَرٌ .. وأبْقى للورى فضلاتها
ماذا نريد من الحياة ؟ وهذه .. حسناتها تُفْضي إلى سوءاتها
كمنتْ بها الآلام تحت رغادةٍ كالنّار تكْمن في جميلِ صِفَاتها
نمشي بها في روضة فيْنانةٍ صُبْحاً .. ونُمسي في جديب فلاتها

لا تأمَنَنّ لها .. ولا لصِلاتِها   فلَرُبّ حرمانٍ أتى بصِلاتِها

* * *

وأرابني صَمْتٌ .. وقامت غادةٌ   هَيْفاء تحكي الظّبيَ في لَفتاتِها
ضَجّ الشباب بها فما تصْغي إلى   نُذُرِ الحياة .. ولا تخاف عظاتِها
نَظَرَتْ إليّ فخِلتُ أنّ مباهجاً   شتّى تُطِلّ عليّ من نَظَراتِها
كالخمر تَفْتك بالعقول . وترتوي   منها .. وما ترتدّ عن فتَكاتِها
قالتْ .. وآزرها الجمال . وعربدتْ   كلماتُها .. فسكرتُ من كلماتِها
إنّي لأنكر ما تقول فإنّما   أنوارنا تنشَقّ من ظُلُماتِها
يأبى الشباب .. على اختلاف قبيله   هذي العظات على اختلاف لغاتِها
لَزَهدتَ من عجزٍ . ورُبّ زهادةٍ   سخطتْ على اللّذات بعد فواتِها
ذَكَرَتْ حماقات الشباب وكَفكَفَتْ   من ذكرها .. المنهلّ من عَبَراتِها
لمْ تَحْمِ عفّتك المهيضة في الصّبا   حتى اكتهلتَ . فعدتَ بعض حُماتِها

* * *

أبُنَيّتي . لا تغْضَبي — فلربّما   رَضِيَتْ غضوبٌ بعد غَمْزِ قناتِها
أنا راهبٌ لبس المسوح لأنّه   لم يَلْقَ من دُنْياه .. غير شباتِها
قد كنتُ أجْهَلَ جاهلٍ في قُوّةٍ   فأذبتُها .. ورشفْتُ من قطراتِها
وغدوتُ أعْلَمَ عالمٍ في حكمةٍ   فأضَعْتُها .. وهويت من شُرَفاتِها

أصْغي إليّ فإنّمـا هي آهَــةٌ قد أرْسَلَتْها النّفْس من آهاتِهـا
فلقد يُريني الدّهْر في مرآته ما لا ترى الحَسْناءُ .. في مرآتِها
هذا الزّمانُ .. فَحاذري سنواتِه فلقد تذوب الشمس من سنواتِها
تجري فتلوي من قُوى ضرغامــه كيداً . وتَلْوى من فُتون مهاتِهـا

* * *

لَمْ يَبْقَ للمحرومِ .. غير ثباته لغَدٍ .. وللحمقاءِ .. غير ثباتِهـا

شَبابٌ.. وَمَشيب!

تمَنّى الناسُ. ويْل الناس بل ويْلي أنا وحْــــدي
تَمنَّوا من شباب الأمس مــا غُيِّبَ في اللّحْدِ
ومــاذا في شباب الأمس ممــا يَقْتضي حَمْــدي
ومــاذا في شباب الأمس غـير النّصَب المُكْــدي
وغـير الوجــد مشوبــاً إلى أن ذبْتُ من وجْــدي
وذبْتُ من الجهاد المُــرّ حتى ضاقَ بي جهْــدي
وقد أرجــع بالنّحــس ومــا أرجــع بالســعد
ويُشْقيني — فمــا أسعد —— وصْلي .. شقوة الصــدّ
فمــا هزّْلي بــه فــازَ ولا فــاز بــه جَــدّي
ولا بالرّاحــة المكْســال أخصبتُ .. ولا الكَــدّ

فما أرجو كمثلِ النّاس   منه حَلاوة الخُلْد
ولا أشْكو كمثلِ النّاس   منه مَرارة النّقْد

* * *

لئنْ رجّى الشّبابَ النّاسُ   عَوْدَتَه . وقد ذَهبا
وأعْطوا المجد مرتخصاً ..   له .. والمال .. والنّشبا
فإنّي ما أراه .. ولا ..   أرى آلاءه أربا
فَجِدّوا خَلْفه اني   أجِدّ أمامه هَرَبا
فقد شاهدت في عينيه   من أسوائه العَجَبا
وكنتُ أذوق من لأْوائه   التنكيل والرّهَبا
وما أحسستُ من ذكراه   إلا الوَيْل والحربا
وعُدتُ اليومَ ما ألْعَب   أو أصْغي لمَنْ لعبا
تركتُ اللّهو .. للاّهين   والصّهْباء والطّرَبا
وقاني الشيبَ – بعد شبيبتي –   الكفران والرّيبا
وقاني اللّهب الحارق   لمّا أطْفَأ اللّهبا
فكيفَ أذمّ ما أشْرق   أو أمْدح ما غربا ؟

* * *

وهـذا الشيب مـا أمقت منـه الضعف والخَـوَرا
ولا أمْقتُ منـه الطّعن في الأيـام .. والكِبَـرا
رأيت بـه شباب الأمس — من سوءاته — عِبَـرا
شراستُه تعيـد الصَّفْـوَ من أيّامـه كَـدَرا
ولكنّي وقـد ودّعتـه .. بالأمسِ .. فـانـدثـرا
أرى في الشيبِ .. ما يدفع عني البغـي والبطـرا
ومـا أهفو إلى اللّـذات أو أستعذبُ السّمَـرا
ومـا تـدفعني القـوةُ أنْ أفْـترس البَشَـرا
ولا تدفعـني الغفـلةُ أنْ لا أرْهَبَ القَـدَرا
فإنّ هَزيمـة المَهْزوم قـد تمنحـه الظّفَرا
وانّ النّفْعَ قد يحمـل في طيّـاتـهِ الضّـرَرا
وانّ العُمـرَ أشْقـاه الذي ضَيّعْتُـه هـدرا

* * *

ومـا أنْكر أنّ الشيبَ قـد بَـدّدَ أوْهـامـي
وقـد صحّح بالحكمة .. لي أضْغـاثَ أحْـلامـي
وقـد أنْضَج بالخـبرة .. والتجـريب أحْكـامـي
ولَـوْلاه .. لمـا أطْربَـتِ الأسـماع أنْغـامـي

ولا فَجّرَ سِحْرَ الكون .. من ينبوع إلْهامي

ولا خَفَقَتْ بهام الجوِّ – ما تهدأ – أعلامي

ولكنّي برغم المجد .. قد أنْكرت أيّامي

يكاد المَجْد .. أنْ يخنق آهاتي .. وأنْسامي

أعيشُ بذكْرياتِ الأمسِ .. أسْتروح آثامي

أراها .. رغم ما أنكرت منها – خير أعْوامي

فيا وَيْلي من الخسران سرْتُ له بأقْدامي

ووَيْلي .. أيّ مظلومٍ أنا .. أعْشقُ ظلاّمي

وأهفُو . . لضلالاتي وأسْتَغْفِرُ آلامي ..

رُميتُ فلستُ بالشّاكي وقد كنتُ أنا الرّامي

لا تخافي !

بكتْ عينها لمّا رأتْ أن شعرهــا قد ابيض ، واستولت عليها المخاوفْ
فقد كان كالليّلِ البهيمِ تزينــــه غدائرٌ قد تاهتْ بهن ّ اللفائـف
إذا ما نضتْ عنها المطارف أبرزت من الحُسن ما تحْنو عليه المطــارف
وإنْ لبستْ أضفتْ على الحسن حلّة تضلّ النُهى فيها وتهدي العواطف
بَدَتْ بينَ أتْرابٍ لها فتطلّعتْ إليها عيونٌ — دونهن — لواهف
وسارَتْ فسار الغانيات وراءهـا فهنّ — على لألائهن — الوصائف
تضَعْضَعَ من خوف المشيبِ كيانهـا وهزّتْه من هوْلِ المصيرِ العواصف
أيَذْبُلُ هذا الحُسن بعد رُوائـه فما تجذب الأبْصار منه الطرائـف
ولا تسْحر العُشاق منه مخائـل أضلت سراهم في الهوى . ومعارف
ويرتد عنها الطرف شمطاء تحتمي بمئزرها . كيلا تبين المشـارف



لقد كان هذا الحسن بالأمسِ عارياً ولكنه .. في يومه لا يجـــازف
فما نظرات الامس إلاّ بلاسم وما نظرات اليوم إلاّ قــذائف
فلا تذرفي الدمع السخين فربمـــا تغيض — إذا لم تحبسيه — المذارف

* * *

ولاحتْ كشمسٍ برقعتها غمامــة فلم تهد إلا نورها وهو كاســـف
وكيفَ تداري حزنها وهو جارف وكيفَ تُداوي جرحها ، وهو نازف
تضايقها مرآتهــا في ذؤابـــــةٍ من اللّيلِ . كادتها البروق الخواطف
كأن الدّجى اهدى السلام لقلبهـــا وأوردها الحرب الضياء المجـانف

* * *

كشفتُ لها رأسي وقلتُ لها ارْعَــوي فما هذه الاشجان . إلا سفا سفْ
فهذا مَشِيبي منذُ عشرينَ حجّة تُداعِبني منه الرّعود القواصـف
فما هـَزّني منه الرّدى يومَ محْنتي ولا صَـرَفَتْني عن هـَواي الصّوارف
وقفتُ أمامَ الدّهْر كالطود فانحنى وهالته مني — بعد تلك — المواقف
فما نالَني منه الأذى غـير مرة تخاذلَتْ لمّا استنزفتني النّــوازف
فلا تـَعْجَبي إنّ الرّبيعَ إذا ارْتوى بنضْرَتِـه .. حامَتْ عليه المخارف
ولا تَجْزعي ما أنْتِ إلاّ سلافـة مُعَتّقة تَحْنو عليها الشّــوارف

* * *

وأنْتِ فماذا تَرْهَبِينَ ؟ وهــذه مغانيكِ خُضْرٌ.. نَمْنَمَتها الزخارفْ

فأنْتِ كمثلِ السِّفْرِ نطوي صحائفاً لِتمْتعنا – من بعدهن – صحائفْ

ستبقينَ ما كرَّ الجديدانِ فتنــة مُعَرْبدة .. ألْحاظها والمراشــف

وتَرْتَدُّ عنكِ العاديات وتنطوي على كَمَدٍ منكِ السنين الزواحـف

وما الشّعرات البيض إلاّ قلائد لمفرقكِ الدّاجي .. وإلاّ عوارف

وما كلُّ حُسْنٍ في الحياةِ بخالدٍ ولكنَّ هذا الحُسن حسن مخالف

كأنّ البِلى أعْطاهُ عَهْداً بأنّه مَصُونٌ . فما تَدْنو إليه المتالف

الوَاديـ الظـَّليـل !

الى اخي الاستاذ محمد حسين زيدان الذي اتخيله
رابضاً في كرسيه العريض فتتراءى لي ملامح
من الجاحظ .. فاتمنى له خلوده .. وارجو له
السلامة من اوجاعه .

ألاَ لَيْتَ قبري في رياضكَ جاثم ترفّ عليه المورِقات النّواضرُ
يُباكرني العُشْب النديّ .. بنفحةٍ تمنّتْ – فلم تدرك – مداها البواكر
تُرَفْرِفُ فيه الرّوح فوقَ خميلة من الزّهْرِ تسْقيها السّحاب المواطر
ويُطْرِبها شَدْو البَلابل كلّما ألْحتْ عليها الذِكْريات الغوابر
وتُصْغي فيُشْجيها الحَرير بهمسه كأنْ لمْ تَدرْ يوماً عليها الدوائر

* * *

لقد عشتُ في هذي الحياة بقفرةٍ من الأرضِ ما رَفّتْ عليها البشائر
فإنْ رمقتْني فرحة خفّ نحوها من الحزنِ العادي على دساكر

وإنْ لامستْني نعمـــة تستفزهـا لتصرفها عني .. الحدود العواثـر

وإنْ لاحَ لي وجه الرضى من صبابتي نهاراً .فما في اللّيلِ إلاّ الهواجـر

فكيف أرى في العيش فردوس حالم وقد أنْضَجتْني من لظاه السـواجر

* * *

ويا روض ضَعْ لي من زهورك طاقة بقبري إذا ما استرهبتني المقـــابر

تضوع به عِطْراً . وتملأه سنىً مُضيئاً . فما تسطو عليه الدّياجر

وضَعْ لي به من عشبك النضر مفرشاً تَدور الحشايا حولـه والسّتائـر

وسائِدُه خُضْرٌ تهش لها الرؤى وتهْفو اليها – ما اجتلتها – الخواطر

أراها فأنْسى في الثرى أنّه الـرّدى ويَنْسى عفَائي .. هيكلي المتنـاثر

ومالي لا أنْسى وقد عشتُ خائفاً من الغابِ تغْشاه الوحوش الكواسر

فقد كنت عند الجائعـين فريسـة تناوشها .. أنْيابهم والأظـافر

فإنْ جعتُ لم أملك سوى الفتك مثلهم فليسَ كجوعِ المرء للذنبِ غافر

وها أنا لو خيرت ما اخترت رجعة إلى منزلٍ هانتْ عليـه المـآثر

هنا حيثُ لا أشقى . هنا الطير صادح هنا النبع سلسال.هنا الروض عاطِر

هنا جَنّتي قـالتْ ألست بشاعرٍ فقلتُ بلى . اني بنعماك شـاعـر

لتسـعدني هذي الخمـائل يرتوي بنظرتها حسي . وهذي المخاضر

ويسعـدني اني بربعـك آمـن سـعيد . فما تدنو إلي المخاطر

أنام فما أخشى الظلامة من غـدي		وأصحو . فما تقسو علي المصائر
رفاقي على ما أشتهيه . بلابـل		ونبع . وروض حـالم وجـآذر
رأوني غريباً بينهم فتفرقـوا		ولم يبق إلا مشفق أو محـاذر
فلما اطمأنوا للغريب تكشفت		ظواهرهم عما تجـن السـرائر
فأمـا الذي يبدونه . فهو باطن		وأما الذي يخفونه . فهو ظـاهر
تمنيتهم أهلي وربعي .. وأننـا		قـد اشتبكت أرواحنا والعنـاصر
إذا ما أبت روحي انعتاقاً شدني		إلى الأرض أرحام لهـا نواصر
فإني لتواق إلى مـا يشـدني		إلى منزل . ما دنسته الصغـائر



مراثي



المقبرة الحانية !

طالَ غُدُوّي ورواحي إلى مقبرتي .. الوارفة الحانيَهْ
في كلّ يوم واحدٌ ذاهبٌ من داره الأولى .. إلى الثانيه
من جيرتي الأدْنين . فارقْتُهمْ أبكي .. ومن أهلي .. وأصحابيه
فهل سيأتي بعضُهم .. في غدٍ إليكِ بي .. في المرّةِ الثانيه
ويُودِعوني فيكِ .. في حُفرةٍ مُظْلِمةٍ .. في لحْظَةٍ قاسيه
أرْقُدُ فيها .. ما أبالي الورى ولا المُنى .. مُشْرِقَةً .. داجيه
سِيّان في ظُلْمتِها مَرقَدٌ وطّأه السّقْمُ .. أو العافيه

* * * *

أمْ أنّني .. يا ويْلتي من غدي آتي هُنا .. أحْمِلُ منهم فقيدْ
كنتُ له الدّنْيا .. كما كان لي من قبل أن أصْبحَ هذا الوحيد
هذان روحانِ . فهذا استوى في شِقْوةٍ .. من نَوْمِ هذا السعيد

يُحسّ باللوعة في صدْرِهِ   كأنّها الجمرةُ فوقَ الحصيد ..
هذا الرّدى يَحْصُدُ هذا الورى   فما له يَتْرُكُ هذا العميد ؟
كان رغيدَ العيش في معشرٍ   وقد تَولّوْا . فتولّى الرّغيد
قد لاح لي الوَعْدُ .. فلمّا دنا   منّي بدا لي منه وَجْهُ الوعيد

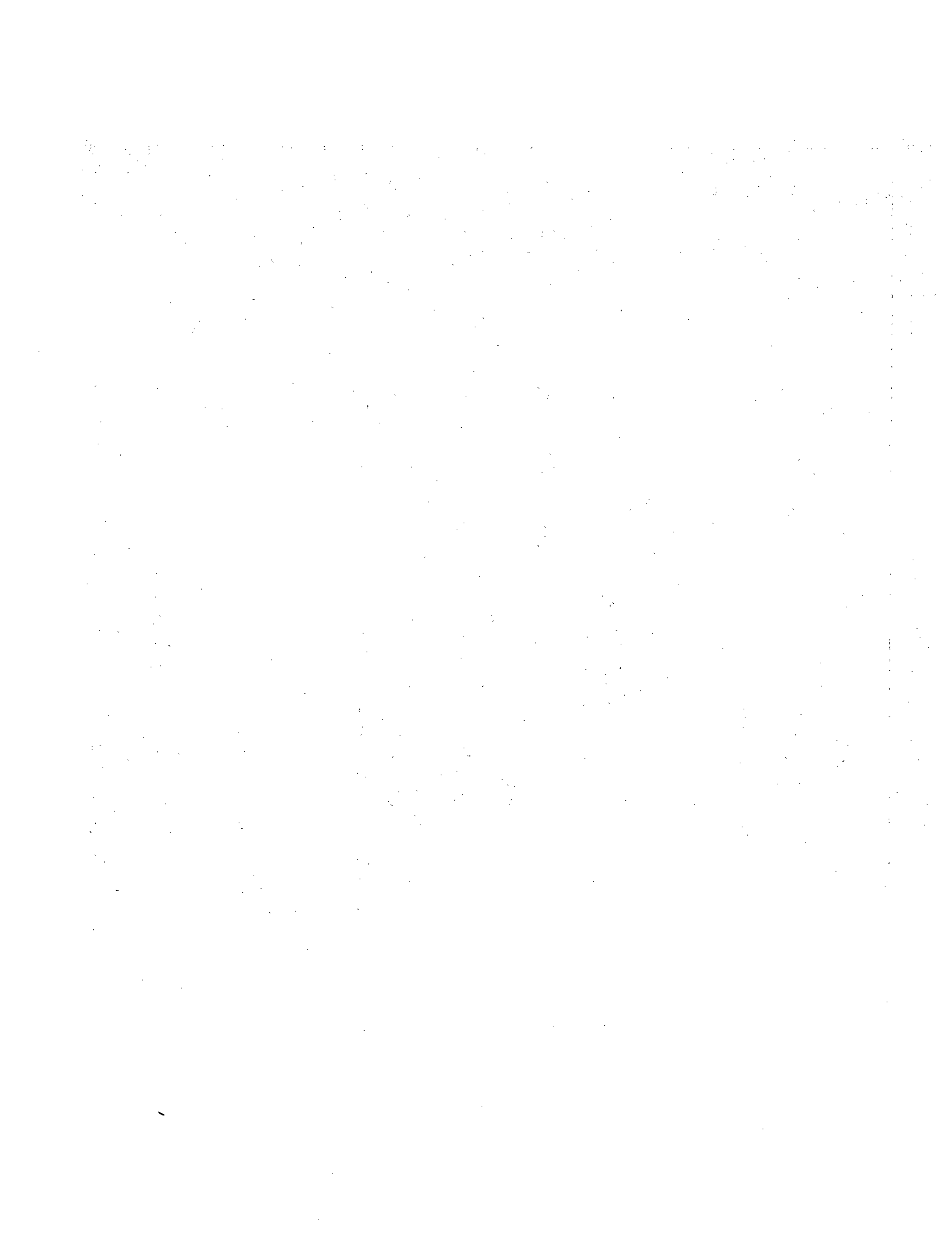
* * *

مَقْبَرتي .هل أنْتِ لي رَوْضَةٌ   فيحاءُ .. أم أنْتِ كهذا الجحيمْ
لا . لسْتُ أشكو فيك حرّ الجوى   وفيكِ لي ألْفُ ولي حميم
النّفْحُ . والنّضْرةُ في صحبتي   لهم . وأفْيائي . وحُلْوُ النّسيم
هل هم رميمٌ في الثّرى هامدٌ ..   أم أنني —من بَعْدهم— كالرّميم
لم تَفْطِمِ الدّنْيا — على شُحّها   نَفْسي .. ولكنّي بطبْعي الفطيم
هذا شكيمي .. من صنيعي فما   عرفْتُ .. إلاّ من صنيعي الشكيم
أنا الذي يضْرِبُ في تيهه   فليس بالظّاعِنِ . أو بالمُقيم

* * *

ولستُ إلاّ شَبَحاً حائراً   في وحْشةِ الليل .. وأغلاسِهِ
يُخيفُه الغيْهبُ .. لكنّه   يحميه — لا — كالنور — من ناسه
يا وَيْحَ من يُرْهِبُهُ نُورُهُ   فيحتْمي منه .. بديماسه
فتارةً يَشْقى بديْجورِهِ   وتارةً يَشْقى بِنِبْرَاسه





مآتِمُ الدنيا .. كأعْراسها   في عقْله الدّامي .. وإحْساسه
أيّامُه تَرْكُضُ مذعورةً   تسوقُها .. رهْبَةُ آماسه
إلى الغدِ المجهولِ في مَهْمَهٍ   ألشّوكُ فيه .. خَيْرُ أغْراسه

* * *

مَقْبَرَتي . يبْكي الورى غَفْلَةً   موْتاهمو – مثلي – فيا للغَباءْ
وكيف يبْكي مَنْ عَداهُ الرّدى   مَن نالَهُ .. كيف استحقّ البكاء
أيّهما أوْلى بهذا الأسى   ينْصَبّ في الدّمْع .. وهذا الرّثاء
هل هو هذا الميْتُ . رَهْنُ البلى   أم هو هذا الحيّ . رَهْنُ البقاء
هذا الذي في الأرضِ تلهو به   دُنْياهُ ؟ أم هذا الذي في السماء
أيّهما . إنّي لفي حَيْرةٍ   تصرعُني .. تتركُني في عماء
هل هو من يَبْقى بذاك الفناءْ ؟   أم هو من يفنى بهذا البَقاء

* * *

وهذه الأصْداءُ تَسْري إلى   سمْعي . بهذا اللّيل . هذا السكون
أسمعُ فيها الحبّ .. أمّا القِلى   فقد تولّى .. قد محَتْهُ المنون
أيّتُها الأصداءُ .. إنّ الثّرى   لو يَعْلَمُ الناسُ .. لصَدْرٌ حنون
لشدّ ما أهْفو إلى مرقَدٍ   تَرْقُدُ فيه.. كلّ هذي الشّجون
أيْنَ يقيني .. أيْنَهُ . قد هوى   من ضَعْفِهِ تحت رُكام الظنون

تَربصَ الدّهْرُ به . فارتمى رشادُهُ .. مُسْتَصْرِخاً بالجُنون
فكيفَ لا أنْشُدُ طِيبَ الكرى تحت الثرى . تحت ظلال الغُصون

* * *

وقالتِ الأصْداءُ . يا ناقِماً من عيشهِ . والعيشُ حُلمٌ قصير
أما ترى الناسَ سِراعَ الخُطى لهذه التّرْبةِ .. هذا المصير
فبعضُهم يخشاه .. كالمُتّقي وبعضهم يرجوه كالمستجير
وكلّهم آتيهِ .. مَنْ حُلْمُهُ في جَنّةٍ .. أو خَوْفُهُ من سعير
ومَن قضى أيّامَه حالياً .. ومَنْ قضاها في الشقاءِ المرير
لسوفَ تَلْقانا .. على غِرّةٍ ولستَ تلقانا .. وأنت البصير
غَمْضَةُ عَيْنٍ .. يا لها فَتْرةٌ وبَعْدَها.. تُبْصِرُ عَيْنُ الضرير

دموع..وخلود!

في رثاء فقيد الادب والفكر الاستاذ
عباس محمود العقاد ..

أأرثيكَ . أمْ أرْثي النُهى والمشاعرا — وأبْكيك . أمْ أبكي الرؤى والخواطرا
فقد كنتَ يوم الجد تطوي ضراغماً — وقد كنتَ يوم اللهو تطوي جآذرا
إذا شرعت يمناكَ سن يراعة — تدفّق منه النور يهدي البصائرا
فما كان منه النَظْم كان قلائداً — وما كان منه النثر كان مآثرا
فما يُبْصر الحسّاد إلا محامداً — ولا يكشف الروّاد إلا مفاخرا
تَسامى فأبْصَرْنا دَخائل نفْسه — فما كان يخفيها ويبدي الظواهرا
وما كان مِثْلَ التافهين محجّباً — يخاف من اللقيا . فيضفي الستائرا
تشابه منه السّرّ والجهر . فالذي — يَراه — يرى فيما يراه — السرائرا

* * *

وقدّمْتَ للفُصْحى وما كنتَ باخلاً ... ثمانينَ بُشْرى تستفزّ البشائرا

ثمانينَ كانت للنواظرِ قُرّةً ... وللفكرِ كانت لحمةً وأواصرا

تسنّمْتَ فيها قمة . ما يطولها ... سواكَ . وأتْعَبت المنى والبوادرا

في عبقرياتِ الخُلود صحائفٌ ... من المجدِ لم نَعْرِف لهن نظائرا

كأن السطور الحالياتِ موائدٌ ... حَفَلْنَ بما يرضي الحجى والضمائرا

عرّفْنا بها فصل الخطاب وأزلفت ... لنا حجج تعيي الخصيم المنافرا

لكَ اللهُ يا عبّاس كيفَ ابتدعتها ... فأمْسَتْ كنوزاً – عندنا – وذخائرا

تمنّى رجالٌ أنْ يجيئوا بمثْلِها ... وهيهات . فالأصْداف ليست جواهرا

* * *

وذدتَ عن الشّعرِ الرّعاعَ فأجلبوا ... عليكَ فحطّمت الدعيّ المكابرا

فما شِعرهم إلا الغثاء فمن لهم ... بشِعْرٍ يهزّ القائلوه المَشاعرا

قوافيه والأوْزان جَرس . ولفظه ... يُشايع معناه .. فيلقاك آسرا

لقد رامَ هذا الشِعْر رهطٌ فأخْفقوا ... فكادوه واسْتَعْدوا عليه الأصاغرا

رَحَلْتَ ويبقى شِعرك الدهر خالداً ... ونهجك . ما نخشى عليه الدوائرا

وعاشوا ومات الشِعر بين صدورهم ... أكانت له هذي الصدور مقابرا

إذا لم يكن في الشِعْرِ ما يستفزّنا ... إلى الخَلْقِ والابداعِ كان قماطرا

فلَسْنا نريد الشِعْر إلا خمائلاً ... ولَسْنا نريد الشِعْر إلا مزاهرا

إذا البُلْبُل الصدّاح فوق غصونه ترنّمَ خِلْنا مَنْ تَرَنّمَ شاعِرا

* * *

ولستَ بهذا وحده كنت مصدراً وإن كان فيه ما يفوقُ المصادرا

بَلَى . فلقد زانَ النُبوغَ رجولة ركبْتَ بها — رغم النّذير — المخاطرا

وما راعكَ الطغيان حين تخاذَلت مواهب . بل قلمت منه الأظافرا

ولا حنَتِ الأيّام رأسكَ فاستوت على عزّةٍ . لم تخش إلا الصغائرا

وما كانت الاخلاق عندكَ سلعة ولا كانت الآداب يوماً متاجرا

فما هي عند الفِكْر إلاّ رسالة تؤدى — وما تخشى المنون — الشعائرا

لبستَ لنا ثوباً نَسَجْتَ خيوطه ولم تَسْتَعِرْ من سابقيكَ المآزرا

ولمْ تُبْدِ طَبْعاً غير طبعك للورى فبَانَ لهم طَبْعاً يُنير المعابرا

ولمْ تقنِ إلا الكتب قنية دارسٍ ولم تقنِ بعدَ الكتب إلا المحابرا

ومُتّ ولم تُنْجب . وها نحن كلنا عيالك . نبكي العبْقَريّ المُغادِرا

وماذا عسى يجدي البكاء . لو اننا أطقنا . لدافعنا عليك المقادِرا

وما نحن إلا للحتوفِ . وإنّما غداً سوف نطري أو نذمّ المصائرا

* * *

سَقى الله يا عبّاس جثمانك النديّ وروحك . حتى تستطيب الأواخرا

ويا قبر غاداك الربيع بصوبه وغادى حواليك الورود النواضرا

مَصرع .. وَرَجُل

يا شباباً لم نبْكِهِ لشبابِهْ بل بكيْنا .. لِكَدِّهِ وطِلابِهِ

وبكيْنا .. لعلمِهِ مُسْتَمَداً من مُضيئَيْن .. عَقْلِه وكتابِهِ

ويْح هذي الحياةِ .. تروي من النبْع وتُظمي .. بِبُعْدِهِ واقترابِه

أيها النبْعُ .. صافياً سلْسبيلاً كان يَرْوي العطاش عَذْبُ شرابه

كيف جفَّ النميرُ منه وكُنّا يومَ أمْسٍ..نرى غزيرَ عُبابِه

حَوْلَهُ فتْيَةٌ .. صغارٌ .. كبارٌ عرفوا المجدَ والتقى في رِحابِه

عرفوا فيه ألمعيّا .. يرى الرّأْيَ فيُدْني سهولَه من صعابِه

فتواصَوا به . فقد كان كالتِّبْرِ يرى الغِشَّ في بقاءِ تُرابِه

ويرى الرّحْمةَ الخصيبةَ في الحزْمِ فيغدو والحزمُ مِلءُ إهابِه

* * *

يا شهاباً قد اختفى .. وظلامُ الليل يهفو .. لومْضَةٍ من شهابِهْ
والحنايا التي أضاءَتْ من الكوكب .. حَنّتْ إليه بَعْدَ غيابه
كان مِثْلَ المنار يهْدي إلى الدّربِ فكيف اختفى وراءَ ضَبابه
كيف قد آثرَ الذّهابَ إلى الخُلْدِ .. ولم يُؤذَنوا بقُربِ ذهابه
إنّ في الأرضِ ثلّةً من مريديهِ .. شجاها الأسى .. ومن أصحابه
تتلظّى .. وما لظاها من البَيْنِ ولكنْ من رُزْئِها بمصابه
فهو رُزْءٌ مضاعَفٌ بمعانيهِ .. بما يستمِدّ من أسْبابه
نابِهٌ غابَ عن حماه —وأمْسى— بعد ما كان رِيّهُ .. من سرابه

* * *

ما هَوى النّجْمُ .. إنّ للنّجْمِ عُمْراً .. خالداً .. في ظهوره واحْتجابه
خالداً بالذي أقامَ من المَجْدِ .. عظيماً .. في ظَعْنِه واغْترابه
هذه حَوْلَهُ القلوبُ .. وقد سارَ .. تراه في بُعْدِه كاقْترابه
من بَنيهِ الّذين ما افْتَقَدوا الرّوحَ التي بَثّها .. ومن أتْرابه
إنّ للجسْمِ أن يزول .. وقد زال .. وللرّوح .. خالدُ الذّكرِ نابه
ليس للنّاسِ كلّهم .. هذه الذّكرى .. بهذا السّنا . وهذي المشابه

* * *

ليس طولُ الحياةِ .. أنْ عَمّرَ المرءُ سنيناً .. ونالَ من آرابه
إنّ طولَ الحياةِ .. أنْ يُخْصِبَ العُمْرُ .. فيجْني الأنامُ من إخْصابه

والحسيب الحسيب في هذه الدّنْيا .. الذي يُسْتَضاءُ من أحْسابِه
رُبَّ ذي نِسْبَةٍ إلى المجْدِ يُخْفيها .. فيَفْشي الزّمانُ سرَّ انتِسابِه

* * *

يا شباباً بكى على الأمَلِ الرّاحِلِ .. كُفّوا .. أنْتُم ثِمارُ شبابِه
ليسَ يبْكي الرّجالُ مَجْداً تولّى . . بعْدَ ما شادَ من رفيعِ قِبابِه
أنتمو المجْدُ .. بَعْثُهُ .. فاطرقوا المجدَ .. بعزمٍ يهزّ من أبْوابِه
والبَسوا منه .. خيْرَ ما يلبَسُ النّاسُ .. القديمَ .. الجديدَ .. من أثوابه
إنّ هذا الصّنيعَ للكوكبِ الآفِلِ .. ممّا يراه خيْرَ ثَوابِه
من أراد الخلودَ .. فلْيَنْذُرِ النّفْسَ له .. للعكوفِ في محرابِه

* * *

يا حجاباً على العيونِ .. وما يَحْجُبُ عن قلْبِنا صفيقُ حجابِه
سنراه .. وإن تحجّبَ بالغيْبِ .. ونروي غَليلَنا .. من سحابِه
شفّ عنه نِقابُه .. فتبدّى .. من وراء الوجودِ .. خلْفَ نِقابِه
رَحِمَ اللهُ .. مَنْ إذا ما ذكرْناهُ .. ذكرنا القليلَ من أضْرابِه

الرّاحِلُ الخَالِد

في رثاء جلالة الملك محمد الخامس الذي كانت وفاته خسارة فادحة شعر بهـا العالم العربي والإسلامي لما للفقيد من منزلة رفيعة في النفوس .

رَحَلْتَ فغَصّتْ أنْفسٌ وعقولُ ⁂ وريع الحمى . بل واعتراه ذهولُ

أتغرب شمسٌ كان للشرقِ مجدهـا ⁂ وللغربِ منها حرقـة وغليـل؟

لقد ذهب الرئبال وهو مُناضِـلٌ ⁂ وعاشتْ — وما تدري النضال—عجول

وقفتَ لأهلِ البَغْي كالطود راسخاً ⁂ فعلّمتهم بالبغي كيفَ يـزول

وقد كنتَ عملاقاً يرى التاج وصمة ⁂ إذا ما حمى تاج الملوك دخيـل

ومـا لقي المستعمرون محارباً .. ⁂ كمثلك .. ما ضاقت عليه سـبيل

قد استنفروا الاوغاد من كل جانبٍ ⁂ عليك .. وعاثت في العرينِ وعـول

فلم تخفض الرأس الأبية عـزة .. ولم ترض ملكاً .. يرتضيه ذليـل
فخلّدكَ التاريخ غير مجامـل .. وليس لمجد الخالديـنَ مثيـــل
وصنتَ حقوق الشعب والعرش فالتقتْ قلوبٌ على مـا تَشْتهي وعقول
وما كنتَ هيّاباً ولا كنتَ طامعـاً فيغريك عَرَضٌ أو يخيفكَ غـول
وأصْغرتَ شأنَ التّافهين فلم يعد لهم فوقَ هامات الشعوب حلـول

* * *

لقد بادَ جيل كان يرضى بظلمـه وقام – وما يرضى الظلامة – جيـل
وأدْبَرَ عهدٌ كان يفسد جهـرة فتهتف أبواقٌ لـه وطبـــول
فليس لفردٍ أن يطاول أمّـــةً ولكنّـــه يعنو لهـا فيطـــول

* * *

رضيتَ بمنفاكَ الكريم ترفّعـاً وأقْصاكَ عن دار الهوان رحيـل
فما زدْتَ في منفاك إلاّ توثباً وإلا انطلاقـاً ليس فيـه قفـول
أبَنْتَ لأهلِ المغرب النهج فاستوى عليـه رعيلٌ دائب ورعيـــل
فما يملكونَ اليومَ إلاّ سلوكـــه وقد قادهم بالأمسِ فيه دَليـل
لقد خَدَعَ المستعمِرون مغفّلاً كما خَدَعَ المستعمرين عميـل
مضى ذلك العهد البغيض بخزيـه وشَيّعه سَخْطٌ عليه طويـل
فلن يجدَ المستعمِرون مطيّـةً ولن يجدي المستعمِرين خليل

* * *

ووجهت قوماً ينتمون ليعرُبٍ   دَماً .. ولهمْ للغاصبينَ ميولُ
يقولون إنّ الغرب أسمى حضارة   وأعرق جذماً .. والشهود عدول
وما كان لاتينيهم بمنسب ..   وليست لآري العلوج أصول
فانقذتهم من حيرةٍ وجهالةٍ   فما عادَ فيهم حائر وجهول

* * *

لقد كان في منفاكَ أبلغ عبرة   لمن ظَنّ أن الراسيات تميلُ
فأين الحجى ؟ قد خانهم فتقهقروا   وعدت .. وما للعرشِ عنكَ بديل
مشيئة شعبٍ لم يكن متزلّفاً   ولكنْ وفياً .. والوفاء جميل
فقد كنت موهوباً يؤدي رسالة   تخلّده .. والخالدون قليل

* * *

إذا كان موت النابهين فجيعة   فإنّ حياة الخاملين فضول

مجـدُ الذكرى ؟!

في رثاء معالي الشيـخ عبدالله السليمان ،
وزير المالية في عهد جلالة المغفور له
الملك عبد العزيز آل سعود رحمه‌الله .

خرّ طَوْدٌ فهزّ من تحته الأرضَ .. وريعتْ من حوله الأبصارُ
كان منها الفِسْطاسَ .. يا وَيْحَ أرضٍ .. زال فسطاسُها .. وثار الغبار
كان فينا الشجاعَ إنْ عَرَضَ الأمرُ .. له رهبةٌ .. وفيه اعتسار
ما يهابُ الأخطارَ إنْ أحجمَ الناسُ .. ويبدو .. فتُحجم الأخطار
يُخطىءُ الناسُ في حِماهُ .. فما يغضبُ .. إلاّ إذا تحدّى .. الصّغار
ويُسفّون دونه فيداري .. دونهم .. ما ينال منه الضّرار
كَمْ رأيْناه .. إنْ أجازَ تَصدّى .. وتحدّى ما يتّقيه الكِبار
كلّ يوم يُقالُ من عثْرةِ العاثرِ .. صفْحاً .. عنه .. ويُضْفى ستار

شيَمٌ للمليك زانت بها الصورة .. من مجده .. وراء الإطـار
كان « عبدُ العزيز » ينْفُخُ فيه .. روحه .. فهو شُعْلَةٌ وأوار
ولقد فارقا الحياةَ .. فطُوبى .. لحياةٍ يبْكي عليهـا الفَخَـار

* * *

نعْمَ هذا الرحيلُ .. يا أيها الراحلُ عنّا .. ونِعْمَ هـذا الجِوار
إنّ هذا الوجودَ يُبْقيه للناس .. ويُفْنيه .. رِبْحُهم والخَسَـار
رُبّ حيٍّ على الزّمانِ .. ومَيْتٍ .. وهو حيٌّ .. لم تَدرِ عنه الديار
والذي يصنعُ الخُلودَ .. ويمضي .. سائراً .. كان للخلود المسار
أرَأيْنا الذي سار بالأمسِ وئيداً .. كيف اتّقـاهُ البـوار
سارَ عنّا بليله .. فوقاهُ .. ليلُه .. مثلما وقـاهُ النّهـار
لن يموتَ الكريمُ من عمَلِ النّاسِ .. ولن يستحلّ منه التّبار
كان يَبْني .. ولم يعُقْهُ انهزامٌ .. عن سبيلٍ .. ولا زَهاهُ انْتِصار
وهو يمشي .. فإنْ تعَثّرَ في الخَطْوِ .. فما ردّهُ الوَنَى والعِثـار
لا الصّخورُ الكبارُ في دربه المُوحِشِ تُثْني .. ولا الخطوبُ الكِثـار
راقَهُ السّيْلُ جارفاً يكْسَحُ الأرضَ ويَجْري .. وراقَهُ الإعصار
فتأسّاهما بجزْمٍ بصيرٍ .. تتَحَدّى ظـلامَـهُ الأنْـوار
قد تقيكَ الأسوارُ حيناً من الضّيْم .. وحيناً تَضيمُكَ الأسـوار

أيها الحقّ .. إنّ من أنكروا الحقّ .. سيَجني عليهمو الإنكار

* * *

يا فقيداً بكتْ عليه الأمانيّ .. وضجّتْ لفقده الأوطار
أذهلَ النّاسَ من شبابك والشّيْبِ .. ولاءٌ .. وفطنةٌ .. واقتدار
لستُ أدري .. هل لو تخيّرْتَ في الأمرِ .. أيفضي إليك هذا الخيار
نحن للهِ أمرُنا في حياتينا .. وكمْ تُخلِفُ الهوى الأقدار
كمْ عجُولٍ يصُدّهُ القدَرُ السّاخرُ .. عمّا ينالُهُ الصّبّارُ
والأمانيّ ما تُذلّلُها النّفسُ .. وفي النّفسِ خشيةٌ وانكسار
ولقد يهبط العليمُ .. إذا خار .. ويَعْلو — بعزْمِه — الجبّار

* * *

إعتَرى النّاسَ من حياتِكَ بالأمْسِ دُوارٌ .. وما اعْتراكَ الدّوار
كان إقبالُكَ العجيبُ إذا لاح .. تولّى .. — من يُمْنِهِ — الإدْبار
جمّعَتْ حوْلَكَ القلوبَ المفاهيمُ التي شايعتكَ .. والآصار
قال قوْمٌ بأنّهُ الدّهْرُ حاباكَ .. وللدّهْرِ لفْتةٌ وازْورار
إنّ للهِ سرّهُ .. ولقد يَظْهَرُ سرٌ .. وتختفي أسْرار
أنتَ للدّهْرِ .. حين والاكَ بالفكرِ حصيفاً .. وبالثّباتِ اعتذار

إعتذارٌ من جَفْوة كان يُبْديها .. لِرَهْطٍ سلاحُه الأفكــارُ

* * * *

فَسَقت قَبْرَكَ الغوادي .. ليَخْضَرّ .. وحيّتْه بالشّذا الأزْهار
فَهْوَ قَبْرٌ تَضُمّ تُرْبتُه المجْدَ .. وتَحْنو عليه هذِي الحجار

* * *

رُبّ روحٍ تمضي إلى عالَمِ الخُلْدِ .. وتَبْقى من بعدها الآثــار



تأمُّلات



الصَّاعِدُون ؟!

تحيرتُ في كنه هذي الجبـال وقد نامتِ الأرض من تحتهـا
لقد جثمتْ فوقها .. ما تحول ولا تكشف الستر عن صمتهـا
أمِنْ فَنّ بارئها تسـتطيلُ فكمْ أبْدَعَ الله في نحتها
أمِ الزهْوُ كالناسِ يغري الجبال بما قـد يؤدي إلى مَقْتهـا
ألا ربّما كانت الراسـيات ترى الخلقَ كالنملِ في سمتها
يُحيّرني صمتها كالقبـور ومن قبل قد حرْتُ في نَعْتِهـا
وهل هو من طبعها ؟. أمْ قضاء تحَكّمَ فيها . وفي كَبْتها ؟

* * *

تحيّرتُ من سرّ هذي البحار وما هو ثاوٍ بجوْفِ البِحـارْ
عجائبُ لمْ يكتشفها الدّجى ولمْ يَعْرِف السرّ منها النهـار

تهيمُ على وجْهها لاهياتٍ فما يَعْرِف السطح منها القرار
وأين .. وما الضعف إلا الحصار فما عنه فوْتٌ .. وإلا الدّمار ؟
وما حيلةُ الآكلينَ الكبار إذا كان قوتهمو .. في الصّغار
لقد صَمتَتْ كلّ هذي البحار كصمتِ الجبال .. وصمْت القفار

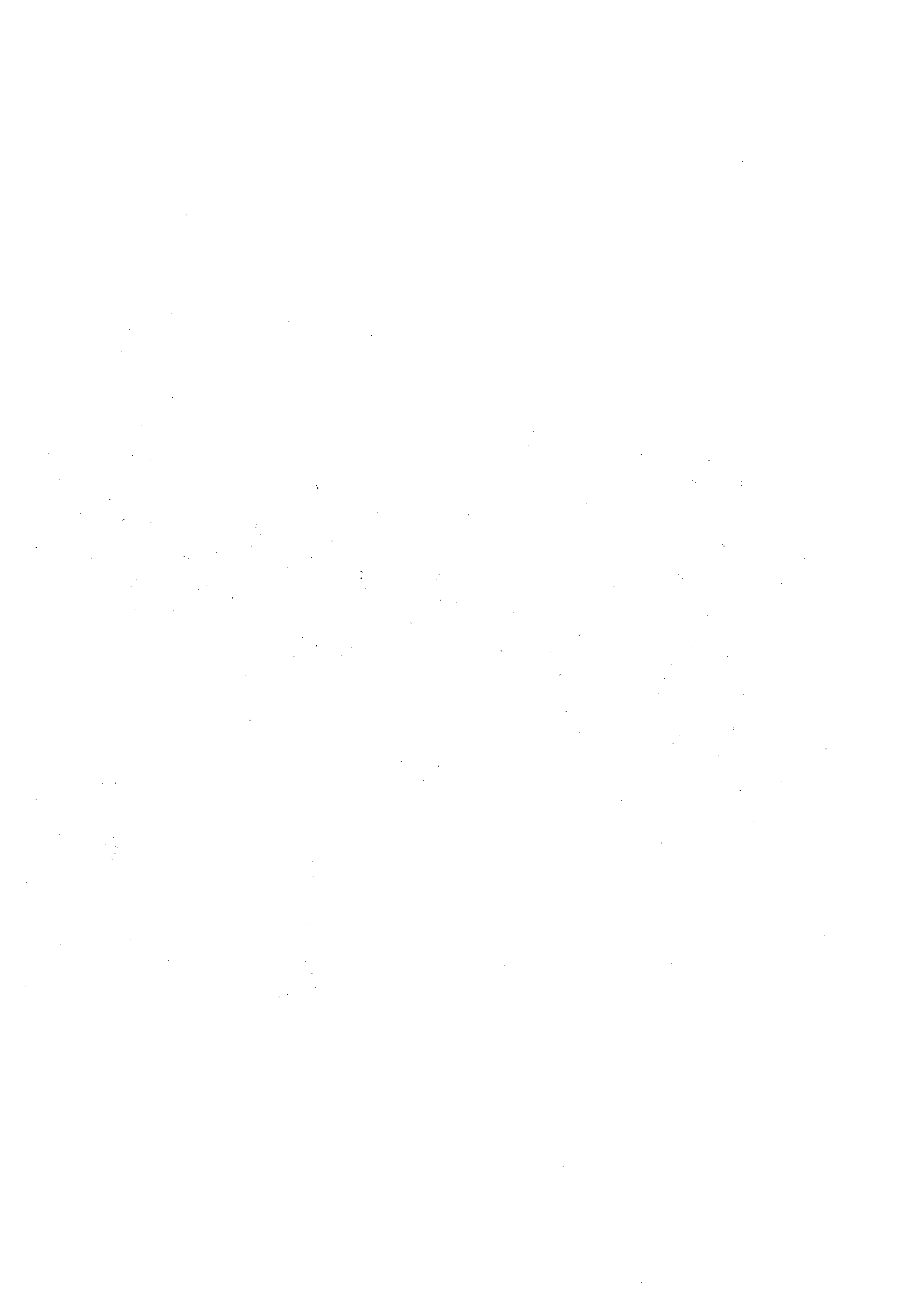
* * *

وجئتُ إلى الأرض ذات السهول وذاتِ الوُعور . وذاتِ الجنانْ
ألا أيها الأرض . . يا أمّنا وهَلْ تضمر الأمّ إلا الحنانْ
سألقى لديكِ الجواب الذي يَضيقُ الزمان به والمكان
أبيني لنا السرّ .. كادَ العَماء يُضَلّلنا عن مرائي العيان
فهلْ أنْتِ يا أمّ كالعالمين حياتك .. أمْ بيديكِ العنان
وهَلْ تَرتَضين بما تُنْبتين وإلا فأنْتِ كَمِثْلِ القيان
ولكنّها صَمَتَتْ مثلهن ويا رُبّ صَمْتٍ كثيرِ المعان

* * *

وعشْت مع النسرِ في جوّه.. كما كنت أغدو إلى وَكْره
فما كانَ يعْرفُ من سرّه وما كانَ يعرف من جهْره
سوى أنّه آلةٌ للقضاءِ فليستْ تجادلُ عن أمْرِه





يرى في القضاءِ مجالَ الحيـاة فينقضّ يأكلُ من خيره
فإنْ صدّهُ العجزُ عن عيشه فليس المجال سوى قبره
يزقّ بما صادَ أفراخَهُ ويا رُبّما صيدَ من دهره
وأسألهُ .. ما ألاقي الجواب فقد أمعنَ النسرُ في حِذْره

* * *

وما كان شادي الطيور الشجيّ ولا الوردَ في كمّه يعرفُ
ولا الماءُ يجري بصافي الغدير ولا الكرمُ يدري .. ولا القرقف
ولا الشمسُ يعبدُها الغافلون عن الله .. والريحُ إذْ تعْصف
ولا البدْرُ يهدي السّنا والشعاع ولا النّجْمُ يرجمُ أو يخطف
ولا اللّيل ذو الهول يدري خُطاه إذا جنّ . والصبحُ إذ يزْحف
ولا البرقُ في حلكاتِ الغيوم بدارٍ . . ولا الرّعدُ إذْ يقْصف
فما هُنّ إلاّ هباءٌ يسير ويجْهلُ .. أينَ هو الموقف

* * *

وفكّرتُ لكنّني ما اهتديْتُ إلى فكرةٍ في معاني الوجودْ
لقد كنتُ أنشُدُ منها الوِصال فما أكرمتْني بغيرِ الصدود
وقد كنتُ أطلبُ فكّ القيود فمنّتْ عليّ بِشدّ القيود

سدودٌ تراها العقولُ الكبار فما تستطيع تخطّي السّــدود
إذا رَغِبَتْ في اجتيازِ الحدود تصدّى لها الهولُ عند الحـدود
فما هي إلا النّعاج الضّعــاف وما تلكَ إلاّ ضَواري الأسُـود
رُويدَك .. ما أنت ذات الحُمود وأنْتِ التي عَصَفَتْ بالحمود
ولكنّه السرّ أعْيا العُقول وأعْيا الصدورَ . وأعْيا الورود
حَيارى .. نعم نحن في حيرة تساوى الصّحاةُ بهـا والرقود

* * *

ألا رُبّ شكٍّ يقود الفؤادَ لايمـانه . ويقيــه الجحود
صعدنا بـه .. فعرفنا الالهَ وباركَنَا .. فحمدْنا الصعود
ومـا كان سبحانه بالظّلوم ولكنّـه . لا يريـد الجمـود

زفـرات

أينَ أصْحابي .. وأهْلي . ذَهبوا للموت قبْلي ؟
وأنا المَكْدود من دُنْيـاي .. تُبْقيني لثكـلي
إنّهـا دُنْيا خرُافات .. وأوْهـام ودَجْـلِ
إنّهـا دُنْيا حَزازات .. وأحْقاد وختْـلِ
إنّما الاقْبال في شرعتهـا .. مثـل التـولّـي
ليسَ مَنْ راحَ بانجـاز .. كمن راح بمَطْـل
إنهـم أشْباح أطْمـاع .. تجـازيهم ببُخْـل

* * *

إيه يا دُنْيا الحَقَارات .. ويا دُنْيـا التجنّي
كَمْ تمنينا الهدى منك .. فأعْيـانا التمنّي ؟
لو عجلنـا لك ارضـاء .. لآثرت التـأنّي

أو تأنينا لأغْضينا .. على ذُلّ وَوَهْنِ
نحنُ في ميزانها الفَذْ .. هَباء دونَ وَزْنِ
إنّها غانية تَسْطو .. بحسْنٍ .. وبدنِ
وَيْح صرْعاها .. إذا أعْطَتْهمو ظهر المجن

* * *

رجع الطرْف .. ألا تبصر نعمى وشقاءَ
ان فوقَ الأرض قَوْماً .. يَسْتحقّونَ الرّثاء
حَسَدوا المَوْتَى على الرّاحةِ .. واسْتَعْدوا الفناء
غير أنّ الموتَ لا يَرْحمُ ... قوماً بؤساء
انّ في الأرضِ من البؤس .. لما يبكي السماء
أفَمَجْد العيش .. أنْ نَلْقى طَعاماً وكساء
إنّ مَجْدَ العيش .. أنْ نَكْسَب حَمْداً وثناء

* * *

يا رِفاقي .. سأريكم .. إنما الامْجاد زورُ
إنما الامجاد .. أنْ يسطع في الارواحِ نور
إنما الامجاد .. أنْ يُلْقى عن الاعناق نير
إنما الامجاد .. أنْ يُرْفَع دون الظلم سور

إنمــا الامجاد .. أنْ يُكرْم عقــل مُستْتَنير

إنمــا الامجاد .. أنْ يحيــا مــع النعمى الفقــير

هــذه الامجاد .. لا تبْغي علينــا وتجــور ..

* * *

يا لَقَوْمي .. لستُ أحْيا .. بينكم إلاّ خيَــالا

أنا مَنْ يرغبُ عن دُنْياهُ .. ضِيقــاً ومــلالا

قد بحثت العمر عن هديي .. فلاقيت الضــلالا

ورأيْتُ المــالَ .. قــد أغرى نســاءً ورجــالا

ورأيْتُ المَجْدَ .. أوْهامــاً .. وأحْلاماً ثِقــالا

قلْتُ للمجْدِ وللمالِ .. وقــد مَالا اختْيــالا

أغرْبا عنّي ... فمــا أعــدل بالخُلْدِ الزوالا

ازدواج الشخصيّة

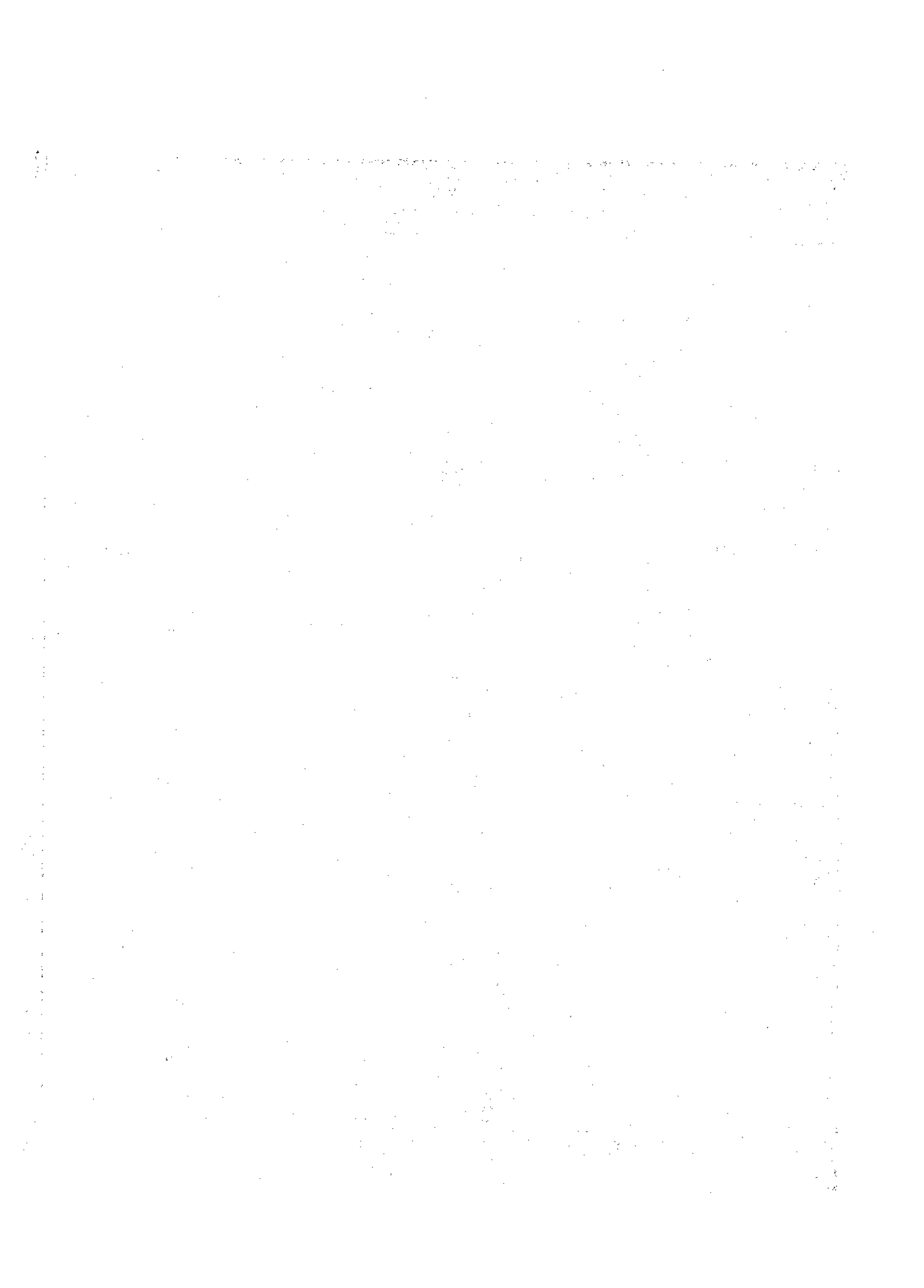
أيها النفس قد شقيت من البر ء كما قد شقيت من أسقامي
ولقد قادني سلوي إلى اليأ سِ كما قادني إليه غرامي
ولقد حرت في اليقين فشككـ ـت فزادت من حيرتي أوهامي
ولقد رحت في الهدى أنشد النو ر فلاقيت ـ كالضلال ـ ظلامي

* * *

وتلمستُ في المحبّةِ والبغـ ـض سلامي فما وجدت سلامي
قيلَ : للصفْحِ لذّة غير اني لم أجدْها في الصفح والانتقام
وارْتضاعي اللذات قد أسقم الرو ح ولم يشفها مرير الفطام
وبلوت الهوى فما كان صلحي فيه أدْعى إلى الرّضى من خصامي
كَمْ تذوقته فضقت بلونيـ ـه وكانت كصحوتي أحلامي

* * *





وتبطّرت بالغنى ثُمّ أملقـ ـت فمرغت جبهتي في الرغـام

وتزلّفْتُ للطمـوحِ فأردا ني ، ولاقيت في الخمول حمامي

وتنكّرت للذكـاءِ فعَـادا ني غباء عرفتـه في الأنام

وأراني وقد بلغت من العمـ ـر عتياً .. في مثلِ جهل الغُلام

لم يُرِعْني المَشيب ينذر بالفو ت . فما نلت من شبابي مرامي

* * *

وتمرّسـتُ بالشّجاعة والخو ف فكان النكوص كالإقْدامِ

إنّني للمنون أمْشي فسيّا ن عبوسي لنكبتي وابتسامي

وتعـاليتُ فاستبنت مـع العليـة اني أعيشُ عيشَ الطغام

وتبيّنتُ في الشعاعِ أمـانيّ ولكنّني وجـدتُ حُطامي

ولقـد صمْتُ عن مُدامي فأبْلَسْت ، وعاقرتها فطاب صيامي

* * *

وتطلّعْتُ للسماءِ فشدّتني إلى الأرضِ رغبـة في الزّحـامِ

وترهبْتُ فـاعْتراني من الوحـدةِ رجف ضاقتْ بـه أيّامي

وبَدَأتُ الحيـاة جداً فلاقيت هَواناً فكـان هَزلي ختـامي

وتعَلّمْتُ فاتجهتُ إلى خلْفي فلمـا جهلت سرت أمـامي

* * *

وتكاسلت فاستمعت إلى مـد حي فلمّا نشطت قام اتهامـي
وتمسّكْتُ بالحَلالِ فما نِلْتُ كَفَافاً وعفت أكل الحرام

* * *

ورعيتُ الذّمام فاستَنكر النا س سلوكي حتّى خفرت ذمامي
واتخذت السمو درعاً فما اغ نى .. وغصتْ مقاتلي بالسهام
فتحاملت أتّقيهـا ومـا أمـ لك إلا ضـلالتي وآثـامي
لَمْ يقدني إلى السكينة إخبا تي ، ولا قادني إليه اجترامي
أين منّي سكينتي .. انصرَم العُمر وكَلّتْ من السرى أقْـدامي
شَدّ ما كنت أشْتهي لذّة الرا حة حتّى سـعدت بـالآلام

رَهِينِ المحبسَين

هالَكَ الظُلْم فانتضيت على الظلم حُساماً يروع الظلاما
لمْ يصغه الحديد ، والصانع الماهر ، لكنّه يصوغ الحِماما
مِنْ نسيجِ البيان ، مِنْ وقْدةِ الحسّ ، من العقل ثائراً هداما
من عذابِ الضميرِ ، من لوعة الفكرِ ، من الحق يرهف الاقلاما
من دواعي الرّشاد حاربها الغي فزادت توثقاً واعتزاما
إيهِ ، يا قاهر الطُغاة ألمْ يكفك انّ الطغاة صاروا حُطاما
أنتَ فردٌ وهُمْ ألوف فبادوا ، وامتطيت الخلود ظهراً وهاما
وعبرت الأجيال تعصف باالناسِ وتحبوك في ذراها مقاما
ليس بعد الذَهاب عن هذه الدُنْيا رياء يبرّر الاتهاما
رُبّ حيّ كميتٍ . ودفينٍ . ذو حياة تُغالب الأيّاما

* * *

ولقد هالَك النِفاق وأهلوه ، فسفّهت منهمو الأحْلاما

هي حربٌ أعلنْتها غير هيّاب ، وودّعت في لظاها السلاما

عشتَ ما عشتَ في نضالٍ مع اللؤمِ وكانَ المُناضلوكَ لِئاما

قلت، إن النفاق عار على النّاسِ ، فهلاّ ترَسّموا الانعاما

عافَتِ الطير والوحوش دَناياه ، فكانت أجلّ منها مَراما

برئَتْ منهمو الرجولة ان جازوا على الغبنِ والهوان ابتساما

ولبخس بيع الضمائر بالرزق ، وخزي يُجلّل الاقزاما

وقبيح بمن تسلسل عن آدم ان لا يرى النِفاق حراما

* * *

والخرافات تستمدّ معانيها ضلالاً فتخلب الاقْواما

شايعتها عماية رفع الجَهْل لها بين أهْلها أعْلاما

وغذاها التدجيل فاسْتبهم الحقّ وعادَ الضياء فيهم ظلاما

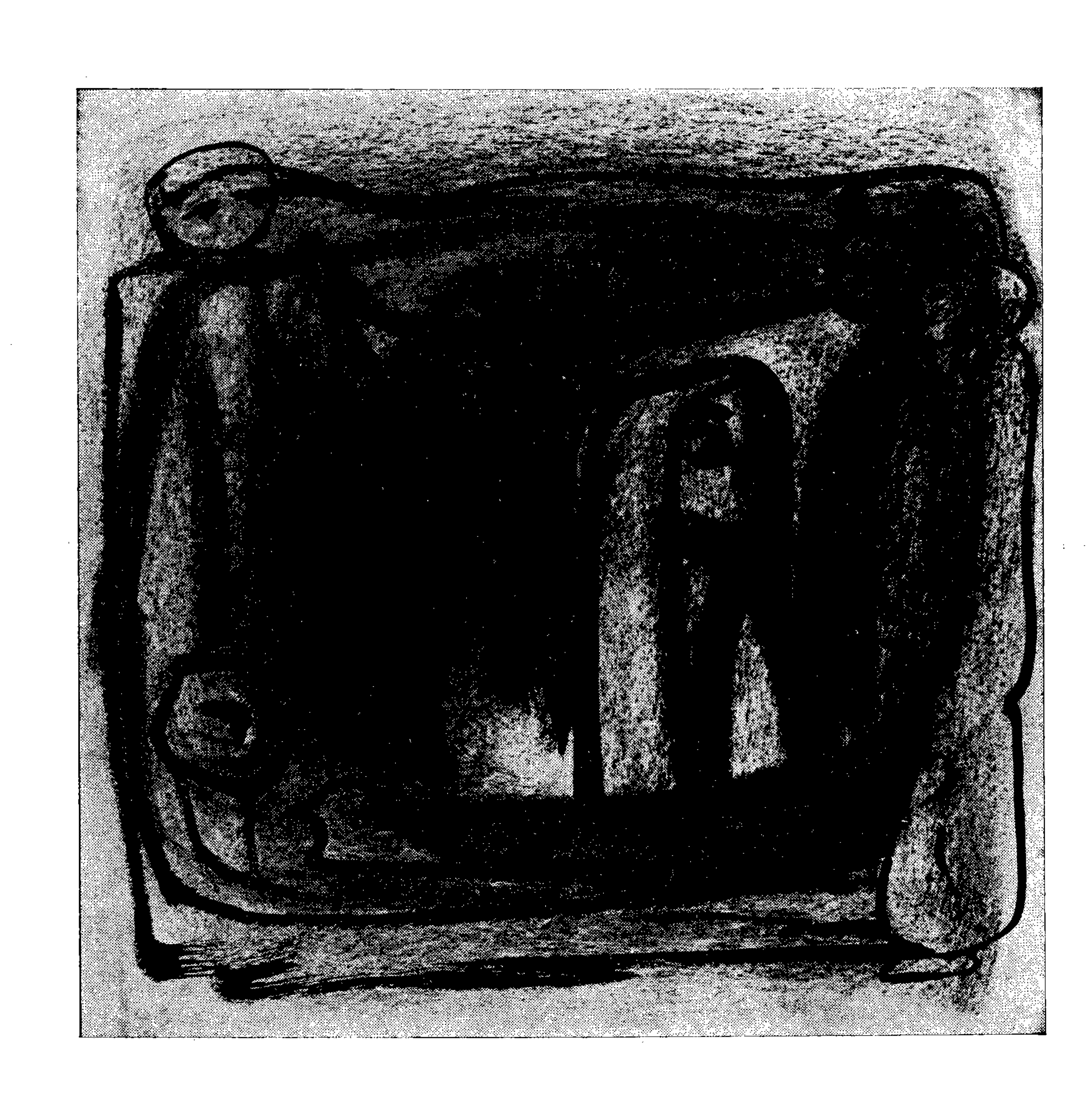
صحت فيهم ضللتمو أيها الحَمْقى ، وكانت طقوسكم أوْهاما

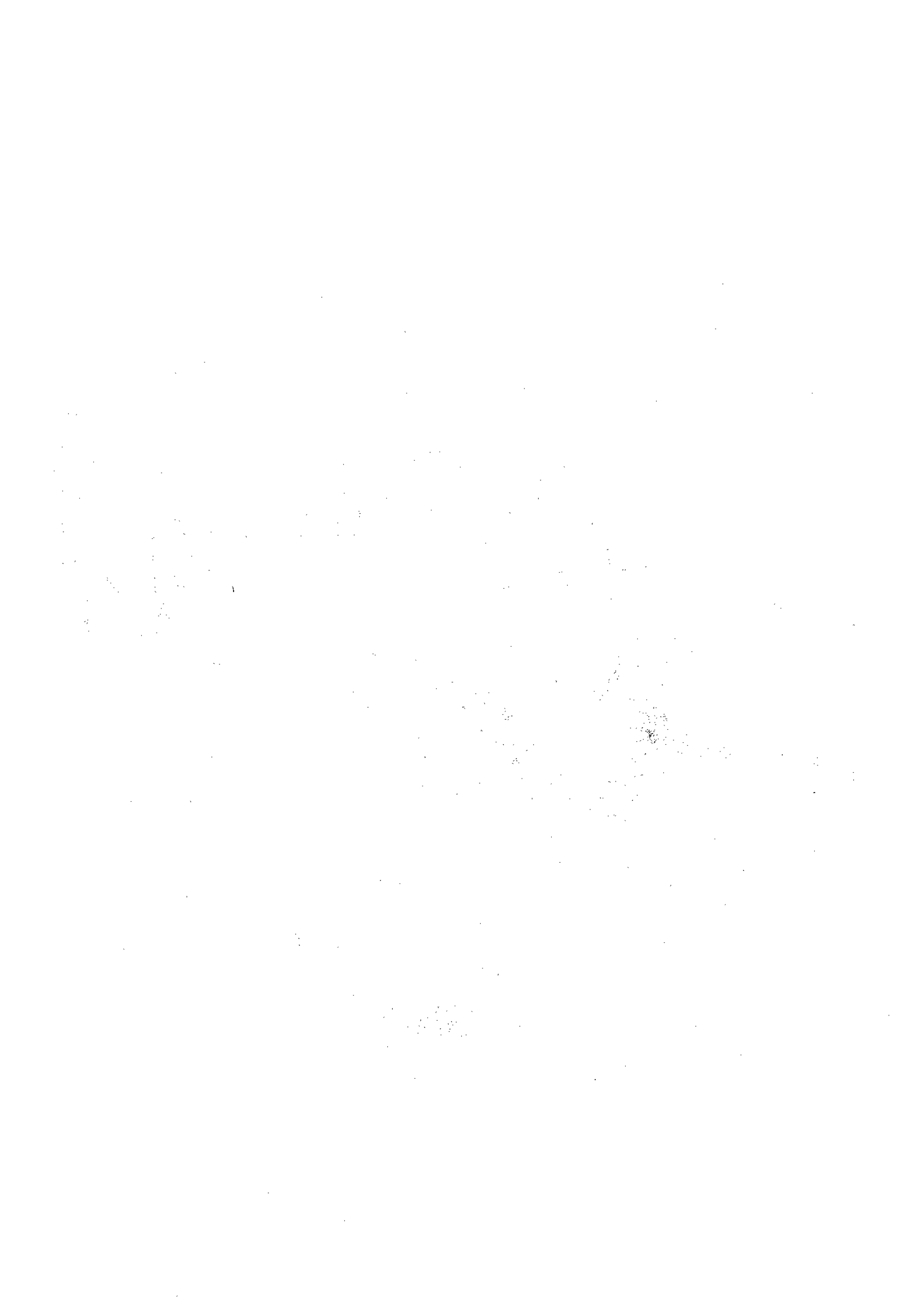
ارجعوا بالأمورِ للعقلِ فالعقلُ حكيمٌ يسدد الاحكاما

شككوا فاليقين رائده الشك ، وصونوا عن البلى الافهاما

أيها العقلُ ، يا دليلي إلى الخيرِ ، تباركْتَ هادياً وإماما

وتورعت أن تطل دم الروح فحرمتها عليك طعاما





وتبلغْتَ بالبُقولِ ، وأمْسكت عن العهر عفّةً واعتْصاما

وتعاظمت أنْ تسفهك الخمر فجانبتها وعفت الندامى

وترفّعتَ عن مخالطة الناس ، فظنّوا بك الظنون جساما

ضقْتَ ذَرْعاً بهم وضاقوا فلما ، مُتّ أوْلوا رفاتك الاعظاما

* * *

أيها السّاخر المشكّك حطّمت بتشكيكك اليقين العقاما

عرف العقل فيك عابده الفذ ، فنلت المثوبة الالهاما

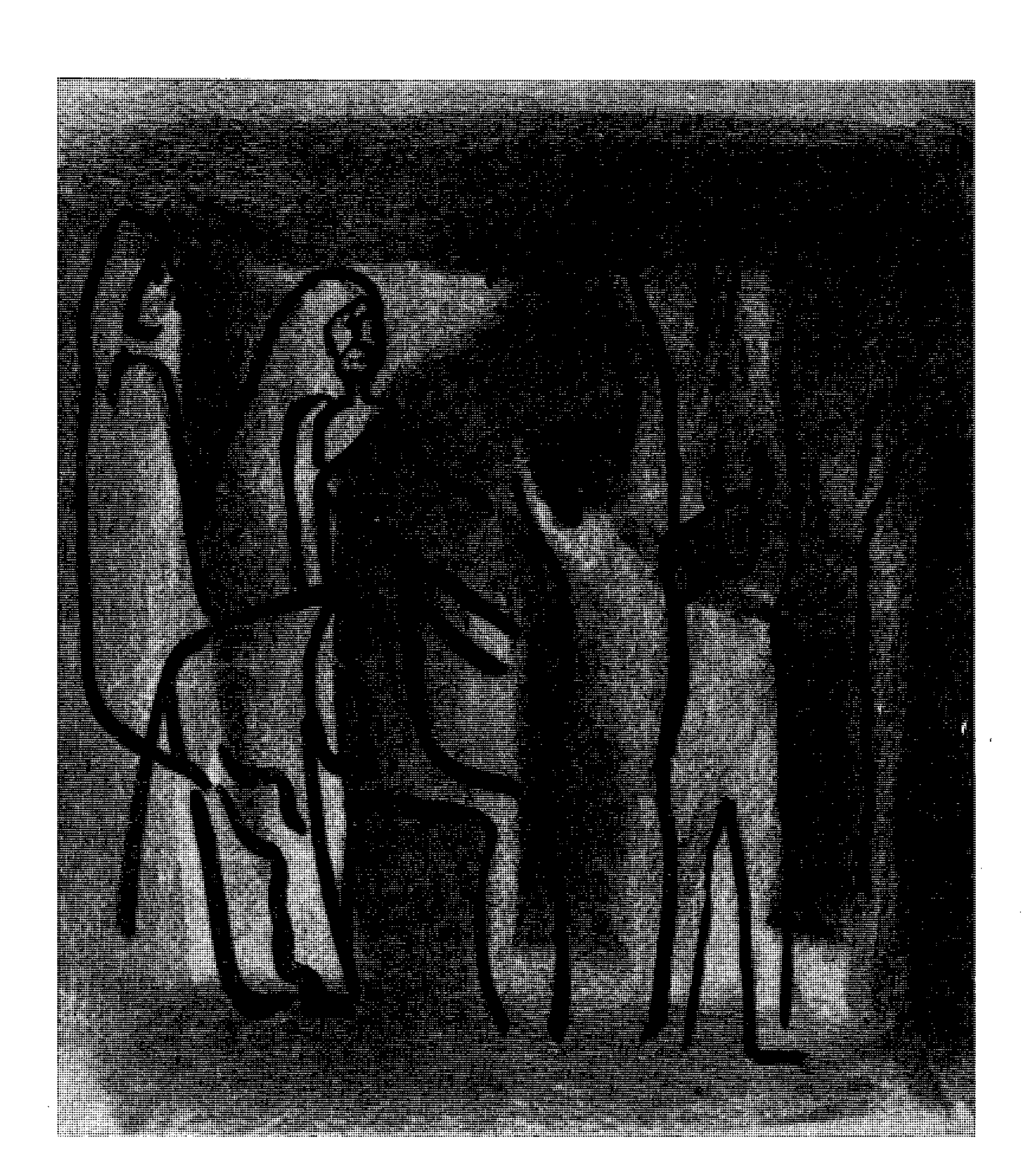
الرّحى .. والطّحين ؟!

يا دَمي المسفوكَ في الكبْش .. الذي يَطْحن ضِرْسي
كيفَ لم أرْحمْك .. بل كيفَ تغذّيت بنفسي ؟
أكل المأكولُ من أصْلي .. ومن فرعي .. وعرسي
من قبور النفر الماضين . من عشبٍ وغرس
نبتا من هذه الأجساد .. من ظُلْمة رمْس

* * *

فرَعاها ذلك الكبْشُ .. الذي أمْسى طَعاما
أفلَمْ تُنْبِتْه آبائي وأبنائي لحماً .. وعظاما ؟
رُبّما كانَ الذي يمضغه منهم .. غراماً وانتقاما
رُبّما كان .. وما يعنيه أن يعلم .. هدْياً وأثاما
هي مثل الكبْش لمْ تحْفَل .. فقد أمْسَتْ رِماما

* * *





نحنُ قُوتٌ للثّرى .. للنّبْت .. للدّودِ اللّهامْ
ولقد يَقْتاتُ منا الوحش والطير .. ويقتات الهوام
ولقد نقتات من بعضٍ .. وما نجفل من هذا الطّعام
كلّ ما في الكونِ .. للكون حياةٌ واحترام
مَنْ تُرانا ؟ ! أجماداً ؟ ! أمْ وحوشاً ؟ ! أم أنام ؟

* * *

يَزْدَهي الإنْسان بالعقلِ .. وهذا العقلُ أعْمى
ما الذي في العقلِ ؟ ! إلا أن يكونَ العقل هَمّا
شَدّ ما كانت لياليه .. على العاقلِ دُهْما
ما أرى الكونَ سوى بالعقلِ .. إجْحافاً وظُلْما
وأنا من بعدِ تفكيري .. وتجريبي .. وجدتُ العقل وهْما
ووجدتُ الحسّ .. ما أقْساه .. تنكيلاً وغُرْما

* * *

أفبالعقلِ .. وبالحسّ نَعِمْنا ؟ ! مثلما يزعم قوْمُ
إنْ يكنْ هذا .. فإنّ الواقع الملموس وهْمُ
شدّ ما أشْكو .. فما ينصف من شكواي .. عِلْم

يا شَقائي .. أفلا تُعْقِبُ هذي الحربَ سِلْــم
أعْطني الجهل .. بما شئتَ .. فإنّ الجهلَ غُنْم

* * *

هو نُعْمى .. ولقد تاقَ لهــا .. نضوُ عذابْ
كلّ مــا جدّ إلى النّبْعِ .. تلقّاه السّرابْ
فَمَضى يلهث .. في الرمْضاءِ .. في الأرضِ اليبابْ
لمَحَ النّور .. وأغْراه .. فواراه الحجــابْ
فهو لا يُبْصِرُ معنى النور .. إلا في الضّبــابْ

* * *

وهْوَ لا يَفْقَهُ .. للآلامِ .. والآمال مَعْنى
أيّ معنى لهما .. أو رجفةٍ في نفْس مُضْنى
إنْ تمَنّى .. جاءَه غير الذي كــانَ تمَنّى
أو رعاه الدهر .. قال الناس .. إنّ الدهرَ جُنّا
فهو ممّا ألِفَ الغبنَ .. يرى في الحقّ غَبْنا

* * *

ولقد أيأسَه أنْ يعرف النّاس .. وأنْ يعرف نفْسَهْ
فإذا عِرْفانُه يُتْرِعُ .. بالأوجــاعِ كَــأسَهْ

فاحتَسى .. ما زلزل الرّوح .. وما أضعف بأسَهْ
ولقد قالَ لَهُ النّاس .. وقد أنْكَر جنسَهْ
أيها التّاعِس .. ما يبكي الذي يخلق تعسَهْ
لِمَ لا تلبس .. ما يَرْغب كلّ النّاس لبسَهْ

* * *

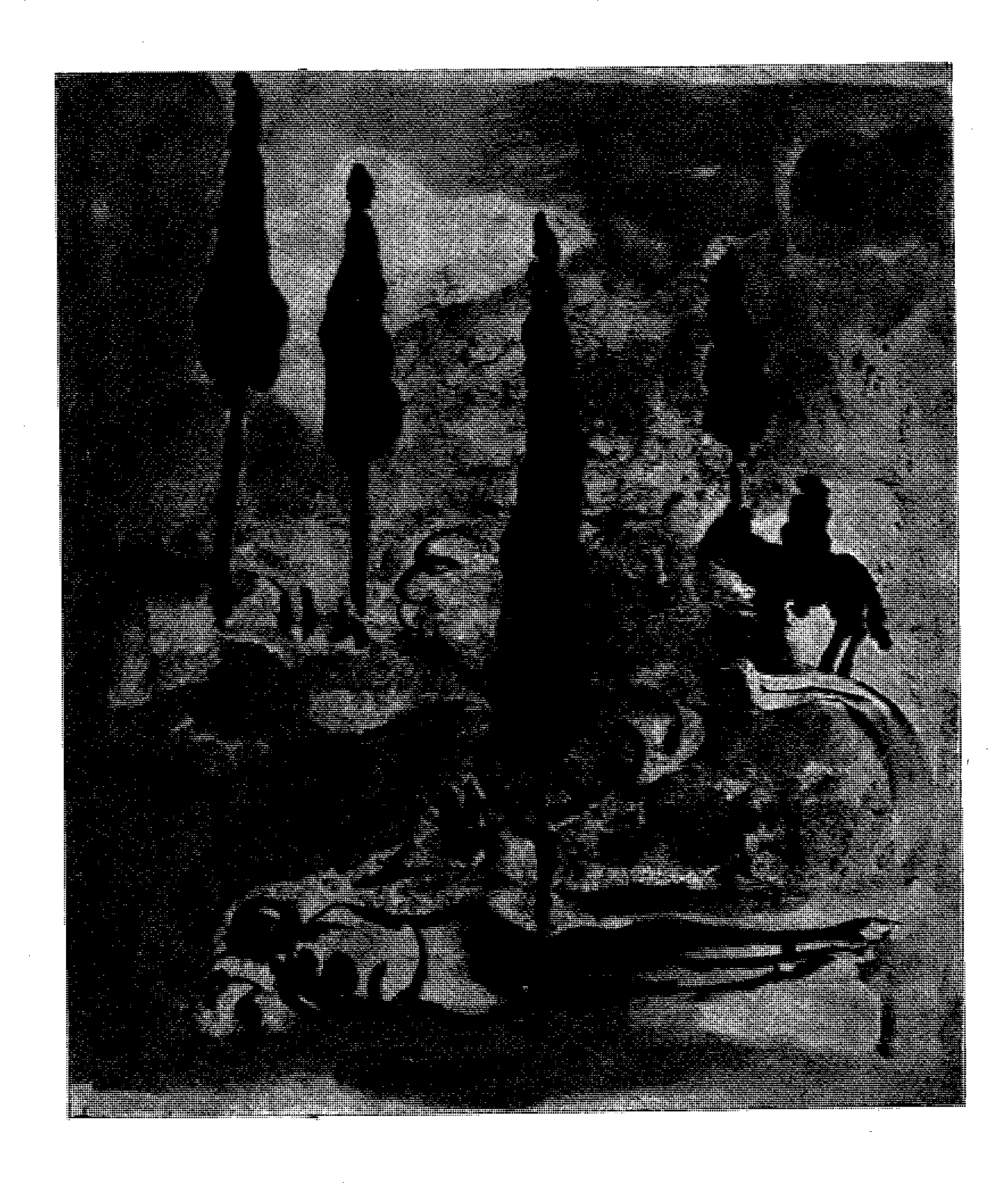
آه .. لو يعرف هذا الناس .. ما يُثْقِلُ قَلْبي
أنا محرومٌ .. فما يسعدني .. بُغْضي وحُبّي
قد تمَنّيت على الدهرِ .. وما كان لدهري أن يُلَبّي
ان أحِسّ الحُبّ .. والبغْضاءَ .. في روحي ولُبّي
فأبي .. يا ويح مَن عاش بلا سِلْمٍ وحَرْبِ

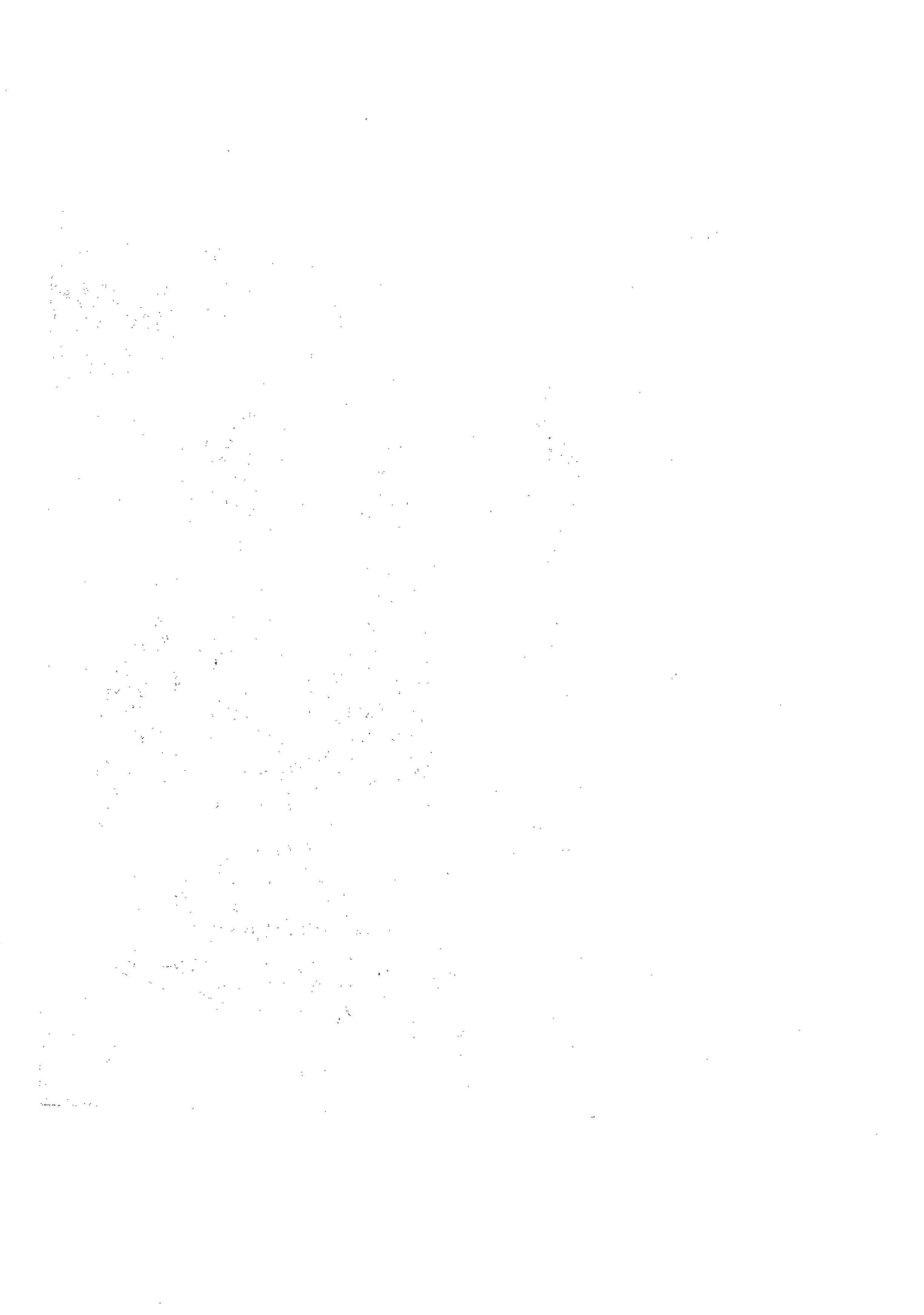
خاتمة المطاف[٧]

تَعِبْتُ من التجوالِ في غير طائلِ وإبْتُ من الترحالِ من غيرِ نائلِ
فما أنا بالرّاضي بعيشةِ مانحٍ ولا أنا بالرّاضي بعيشةِ سائل
وذقتُ أفانين النعيم فلَمْ أجِدْ بها غير طعم واحد متشاكل
وجرّبتُ ألواناً من الناسِ فاسْتوتْ فضائلهم عندي بأخزى الرذائل
وقالوا بأنّ البؤسَ نعمة خالدٍ فألْفَيْتُ أنّ البؤسَ نقمة زائل
ورحتُ لأهلي أنشُدُ العونَ عندهم فأرْجعني نشدانهم غير آمل

* * *

لسيّان ان أسْعى مع الناس عاملاً وأن أتوارى خلفهم غير عامل
وإنْ قيل عني انني خير نابه وإن قيل عني انني شر خامل
وإن كان شربي آسناً عافه الصدى أم العذب صفواً من كريم المناهل
لئن كنت للعلياءِ أول صاعد فاني عن العلياءِ أول نازل





يزهدني فيها انتصار مخاتل ... ويصرفني عنها اندحار مناضل
ويفزعني ان المشاعر والنهى ... طرائد .. تجري بين شتى الحبائل
وان العقول المستنيرة تنحني ... أمام جدود مشرفات المخائل
وأن يتفانى في الحقيقةِ عالمٌ ... فيختال في ابرادها كلّ جاهل
وان يتصدى للعلا عزم ناجح ... فيثنيه عن قصده .. كيد فاشل
وان يتردّى في المهالك كادح ... ليرفل في النعماء أكسل عاطل
وان يتخطّى الموبقات مغامر ... ليهلك فيها محجم غير واغل

* * *

ألا رُبَّ مجدٍ قد تمنّاه باسل ... فخاب . ومجد ناله غير باسل
واكْليل غارٍ فوقَ جبهة ظالمٍ ... واكْليل شوكٍ فوقَ جبهةِ عادل
ولستُ بقدّيسٍ تَسامى عن الهوى ... ولا بغوي سادر في المجاهل
ولكنّني نصف ونصف . مباذل ... معربدة .. قد تهتدي بشمائل
وكمْ من جدود فارغات تواثبت ... على صهواتٍ من عقولٍ حوافل

* * *

تمنيت لو اجدت علي فرائضي ... فخبت . وما اجدت علي نوافلي
وكيف . وغربان الشكوك تنوشني ، ... وتنفث في روحي سموم الدخائل

وكيف . وقد حاولت خمسين حجة نجاة . فأعياني وثيق السلاسل
رسفْتُ بها حتى تبلّد هيكلي وحتى اطمأنّت محنتي فوقَ كاهلي

* * *

وعلّمني سخر المقادير .. اننا ضحايا المآسي . أو ضحايا المهازل
وأن نعيقَ البوم شكوى حزينة إلى ربّها من طيب شَدْو البلابل
ففيمَ بزيفِ النحس يبدو تشاؤمي وفيمَ بزيفِ السعد يبدو تفاؤلي

* * *

وقال أصيحابي هلمّ فإننا سنرحلُ .. كلا إنني غيرُ راحل
فليس ارتحالي بالذي ينبت المنى بأرضي . فخصبي قد غدا مثل قاحلي
وما انشدُ المَثْوى فراراً من النّوى فَرُبَّ منيخ حظّه حظّ قافل
إذا شَرِبَ الصّادي فلستُ بشاربٍ وإنْ أكل الطاوي فلستُ بآكل
فقد يفتك الماء النمير بظامئٍ وقد يقتل المنهوم خير المآكل
وما أرْتجي المَحْيا ولا أجتوي الردى فأمْسي ويومي كالغدِ المتحامل

المحتوى

أمم وشعوب

حُبّي

في موكب الحيـــاة

مراثي

تأملات